الحمل على اللفظ والمعنى

فى القرآن الكريم



فى ضوء القياس على المشهور و النادر

الدكتور

محمود عكاشة

MAUB

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

الحمل على اللفظ والمعنى

فى القرآن الكريم

في ضوء القياس على المشهور والنادر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الذين عكفوا على العلم ، وانشغلوا بهموم الأمة وقضاياها لا يعلمهم كثـير من الناس ، لكن الـلـه يعلمهم .

إلى روح أستاذى العلامة الراحل الأستاذ الدكتور محمـد عبـد المـنعم خفـاجى رحمه الـلـه ، العَلَم بين العلماء ، والقدوة والرمز. أوسع علوم العربيـة بحثـاً ، ورصد عمره لها ، فملأ الدنيا كتباً ، واحتسب أجره عند الـلـه تعالى .

غفر الـلـه تعالى له وجزاه عنا خيراً !

محمود عكاشة

الحمل على اللفظ والمعنى في القرآن الكريم

في ضوء القياس على المشهور والنادر

الدكتور

محمود عكاشة

MAUB

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

الكتاب: الحمل على اللفظ والمعنى فى القرآن الكريم
في ضوء القياس على المشهور والنادر
المؤلف: الدكتور / محمود عكاشة

مراجعة لغوية: قسم النشر بالدار
رقم الطبعة: الأولى
تاريخ الإصدار: 2009 م
حقوق الطبع: محفوظة للناشر
الناشر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى
العنوان: 82 شارع وادى النيل المهندسين ، القاهرة ، مصر
تلفاكس: 561 33034 (00202) 012/1734593
البريد الإليكترونى: J_hindi@hotmail.com
رقم الإيداع: 2006 / 8771
الترقيم الدولى: 9 - 18 - 6149 - 977

تحذير

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، مُنَزِّل الكتاب المحكم بلسان عربي مبين على خاتم النبيين محمد ﷺ ذي الخطاب الفصل المبين، وبعد:

فالعربية لغة القرآن الكريم، لما فيها من حسن البيان، وقد مدح الله تعالى القرآن بالبيان والإفصاح وحسن التبيين وبجودة الإيضاح، وحكمة البلاغ، قال تعالى: ﴿**هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ**﴾[آل عمران:38] والتبيين يكون باللغة، وهذا أمر يقتضيه الإبلاغ، قال تعالى: ﴿**نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾[النحل:89]، والإبلاغ يقتضى الإبانة والتفصيل، قال تعالى: ﴿**كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً**﴾[الإسراء : 12] وهذا التفصيل يقتضي لغة واضحة مبينة فأنزله الله تعالى بلسان عربي: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾[طه : 113]، ﴿**وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾[النحل : 103].

وقد اخترت موضوع " الحمل على اللفظ والمعنى فى القرآن الكريم "، لقلة البحوث فيه، ولأنه غرض الطاعنين فى القرآن الكريم والعربية، وموطن الظن والشبهة والتوهم عند الضعفاء، والقرآن الكريم حمَّال وله وجوه ولا يفهم معناه ووجوهه إلا أولو العلم، والحمل على اللفظ والمعنى باب واسع فيه، وقد توسعت فى بحث الحمل، فتناولت أثر الحمل فى مطل الحركات، وتشاكلها، وإتباع بعضها جنس بعض، وتناولت الحمل فى حروف المعانى، فبحثت وقوع الحرف موقع غيره فى اللفظ والمعنى والعمل الإعرابى، وبحثت تماثل الأصوات وتقاربها وتجانسها، وبحثت الحمل على الجوار فى الحركات والأبنية والإعراب، وبحثت الحمل فى العدد والنوع، وبحثت الحمل على اللفظ والمعنى فى الأبنية، وتوسعت فى الحمل فى الإعراب؛ لكثرة قضايا الإعراب، وأثر اختلاف وجوه الإعراب فى المعنى، وأثر وجوه المعانى فى الإعراب.

وقد انبرى بعض ضعاف العقل والرأي ومرضى القلوب والمرجفين للطعن في العربية والتشكيك في قدرتها على التعبير وليست أقوالهم فيها إلا هباءً منثوراً، فقد تكفل الله تعالى بحفظ هذه اللغة في أهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:9] فالله تعالى حفظ العربية من الاندثار، فجعلها لسان كتابه الكريم، فبقيت وانتشرت في غير العرب بفضله سبحانه وتعالى، واندثرت لغات أخرى أو زالت عن وضعها فتحرف لفظها، بيد أن العربية ازدادت اتساعاً في اللفظ والمعنى وانتشرت في اللسان وتفاعلت مع الثقافات، وجَنَّدَ الله تعالى عباداً أولي إيمان صادق ينافحون عنها، ويردون كيد المنافقين مرضى القلوب الذين التمسوا المتشابه ليلبسوا على الناس أمرهم، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، فطعنوا في قواعد العربية ونفروا الناس منها، وزعموا أنها ليست مطردة وأنها من صنعة العلماء، وأن العربية الفصيحة لا تقوم عليها، وتوهم ضعاف الرأي منهم أن سيبويه وضع قواعد العربية، فطعنوا فيه، وهذا الرأي عليهم عمى، فقواعد اللغة أخذت من اللغة وقيس عليها وليست من وضع واضع، وليس سيبويه الذي وضع قواعد اللغة، فقد كان مسبوقاً بأفذاذ رواد استنبطوا القواعد من النظام اللغوي وبينوا أحكامها، وعملوا بالمشهور فجعلوه قياساً يقيس عليه المتأخرون، ويقيمون عليه لفظهم، ولسيبويه الفضل في جمع هذه القواعد في كتابه الإمام " الكتاب "، وهو أول كتاب جامع وصلنا غير كتب موضوعية ورسائل تركها سابقوه ليست بجامعة علم النحو مقنناً، فأحصى سيبويه فيه آراء المتقدمين عليه، وزاد فيه من اجتهاده، ولا يدعي غير الجاهل أن العلماء وضعوا قواعد اللغة، فالواضع العرب الأوائل وغيرهم من المتقدمين في اللغات الأخرى، ثم أعقبهم مقلدون حتى جاء جيل المتعلمين فاستنبطوا الأنظمة التي أقام عليها السابقون لسانهم، وجعلوها مقياساً لخطابهم وقانوناً يحتكم إليه، وقد صدروا في هذا القانون اللغوي عن كلام المتقدمين عليهم من

ذوي اللسن. وقد غالى بعض المتطرفين الحداثيين فطرحوا العربية عن القرآن الكريم، ليأخذوها عن غرة فلا تجد دعماً لها، وليجردوها من سلاح طالما قاتلت به، وانتصرت، وطالما احتفظت به فحفظها، ومقصدهم أن تخوض المعركة معهم دون سلطان نصير، والعربية مَدين للقرآن الكريم بكل ما فيها فلولا القرآن الكريم لكانت في عداد اللغات الميتة، فأنى تقطع عنه ؟ واستدلوا ببعض الآيات خطأ فى مخالفة القاعدة، والقرآن الكريم حجة عليهم.

وزعم بعضهم أن العربية القديمة ليس فيها نظام قواعدي واحد يعمل به في كل موضوع وعدوا وجوهاً تختلف فيها العربية، فأبطلوا العمل بالقاعدة لوجود ما يخالفها وعمَّوا على العامة، وألبسوا عليهم معرفتهم المتواضعة وذكروا ألفاظاً في القرآن الكريم زاعمين أنها تخالف القاعدة التي اصطفاها العلماء – حسب زعمهم- والقرآن الكريم يقاس على لفظه ولا يقاس بغيره من كلام العرب، وقد وضعت القاعدة عليه ولا يطوع لفظه أو وجه من القراءات على قاعدة، فالقاعدة تبع للمشهور من وجوه القراءات وغير المشهور الذى عرف بالشاذ يؤخذ به عند فقد المشهور، فالشذوذ يعنى عدم انتشار القراءة والإجماع عليها، وهذا لا ينفى عنها صحتها والأخذ بها فى العربية، فالمشهور يقاس عليه، ويقاس على النادر - إن عزَّ المشهور- والقراءات الشاذة فى حكم النادر، لعدم شهرتها، والشاذ منها يحتج به، ولا يجوز الأخذ عن القراءات الفاسدة التى ثبت فساد روايتها ومخالفتها عرف العربية، ووجوه القراءات فسرت في ضوء لهجات العرب الفصيحة ووجوه العربية في التعبير، وهذا متفق عليه، وهؤلاء المعادون للعربية لا يفقهون شيئاً عن عرف العربية ووجوه التعبير فيها، ولا يحيطون علماً بأن الاختلاف في اللفظ يكون لوجه من وجوه المعنى وأن العدول عن الأصل إلى ما يخالفه يكون للتفريق بين الشيء وما يشبهه أو للمبالغة، وأن قواعد العربية التي استنبطها العلماء من العربية قامت على المشهور من كلام العرب تيسيراً على المتعلمين، وأنها لا تعني الإجماع على وجه واحد، فهذا

محال في كل اللغات، وقد وقع الاختلاف في الخطاب المنطوق ولا ضابط في كلام الناس يردهم عن المخالفة ووقع ذلك في العربية قبل الإسلام حتى نزل القرآن الكريم فاصطلح المسلمون على خطابه وما وافقه من المشهور من لسان العرب، فاختاروه قوالب لهم يقيمون عليها كلامهم ويقطعون بها اختلاف اللهجات التي كادت تكون لغات مستقلة، ولولا القرآن الكريم لانشقت عن لسانها وأصبحت هنالك لغات محلية فجمعهم القرآن الكريم على لسان واحد، فأوغر هذا صدور قوم ضلوا يبغون الفتنة والتفرقة، فتأولوا الاختلاف على غير وجهه ودسوا في الناس غيظ قلوبهم التي ملئت حقداً، ولكن الله تعالى سلم فقيَّد لهذه الفتنة رجالاً يخمدونها ويقطعون لسان مشعلها، وهم مشمرون لدرء الشبهة وإطفاء الفتنة كلما أوقدها مرضى القلوب الذين يتتبعون مواطن الخلاف الشاذ والردىء فيدفعونها في العامة، ويغرون ضعاف الرأي وطلاب الهوى والسمع بالخوض في حديث الأفك ولا يغني عن الحق شيئاً. وقد استوجب حق ديني وحق لغتي وأمتي عليّ أن أدفع بسهمي، وأن أجند نفسي للدفاع عن اللغة العربية فلها علي حقوق: أنها لغة القرآن الكريم، وأنها لغة التراث، وأنها لغة أمتي ووطني، فأعظم بها من حقوق تستوجب الوفاء بها.

وقد اخترت موضوعاً يعد فرعاً في عرف النظام اللغوي بيد أنه عظيم الشأن في وجوه التعبير فيها، وهو الحمل على اللفظ والمعنى، وهو موطن يلج منه المرجفون للطعن في العربية ويعدونه ثغرة فيها وأنا أعده معلماً تعرف به العربية بين اللغات، فالعربية تعبر عن المعاني المختلفة بوجوه مختلفة، وقد يحتمل الوجه وجوهاً، وهذا اتساع وتيسير، ولا تعاب اللغة عليه بل تعاب على التضييق والإسراف في اللفظ والمعنى، وليس في التعدد والاتساع مشقة على المتعلم، فليس له من ذلك إلا ما تحتاج إليه وجوه التعبير عن معانيه فقط، فيترك ما لا يعن له العمل به.

والرأي في تعدد وجوه العمل بقواعد النحو أن المتعلم المبتدئ يحتاج منها الحكم لعام المشهور الـذي لا يشذ عن المعمول به من قواعد اللغة في لغتنا المعاصرة، وليس في حاجة إلى معرفة الوجـوه الأخـرى التـي يحتملهـا القـول، والتوسـع في معرفـة وجـوه الاخـتلاف للمخـتص والباحـث وأولى العلـم الـذين يحتاجون إلى معرفة الفروق اللغوية ووجوه الاخـتلاف لفهـم الـنص وتفسـيره، والمبتـدئ وغـيره ممـن يشتغلون بغير علوم اللغة والدين والأدب ترهقهم مسائل الخلاف وتنفرهم من اللغة، ويعوذهم مـن ذلك ما يصلح لغتهم من القواعد ويقيم خطابهم؛ لئلا يفروا من عربيتهم إلى اللغات الأجنبية.

والـلـه تعالى أسال أن يهدينا إلى الحق وإلى ما ينفع الناس وفيه صلاح أمرنا، وأساله أن يهدينا وأن يرزقنا علماً نافعاً ورأياً صائباً وقلباً حافظاً وواعياً وفهماً وسداداً، فهو ولي ذلك والقـادر عليـه، والحمـد لله رب العالمين.

الدكتور محمود أبو المعاطى عكاشة

لاظوغلي – القاهرة

1427هـ / 2006م

10

القياس : حمل مجهول على معلوم أو حمل غير المنقول على المنقول، ويعني في اللغة إقامة اللاحق على السابق الذي يحتج به في العربية، فيشبه به ويجري عليه في الحكم، فيرد الشيء إلى نظيره والحكم بمقتضاه عليه في اللفظ والمعني، فحملت الألفاظ على الألفاظ والمعاني، وقد يحمل لفظان مختلفان على قاعدة واحدة لمعنى بينهما، وقد يحمل لفظ على معنى لفظ آخر في القياس، ومن ثم يعد القياس أكثر أبواب اللغة اتساعاً في الحمل على اللفظ والمعنى.

وتعميم القياس أو الحمل على المشهور قاعدة عامة في العربية[1]، وعلماء العربية يحملون على الأكثر، ويهملون ما خالفه ويسمونه لغات (لهجات)، وقد ذهب إلى هذا أبو عمرو بن العلاء والخليل وسيبويه، وهذا منهج البصريين في معالجة مسائل اللغة، فيجعلون المشهور المتفق عليه أساساً في القياس، ويحكمون بشذوذ القليل والنادر، والمخالف للمشهور المغرق في الاختلاف سموه رديئاً، وأضعفه ما خالف النص القرآني وشعر الجاهلية المروى عن الفصحاء[2]، والنادر القليل الذى صح عن فصحاء العرب، ولا يخالف مشهوراً يجوز القياس عليه، ويؤخذ به بعد المشهور لقلة وجوده، والشاذ ما خالف القياس من غير النظر إلى قلة وجوده أو كثرته[3].

والقياس مقياس لنا على المشهور، فنحمل ما نجهل على ما نعلم، والقياس يكون في اللفظ والتركيب، والقياس أساس في اللغة يمارسه متعلم اللغة صغيراً أو أجنبياً في مرحلة تلقي اللغة، فهو سليقة عند الطفل يقيس ما يقوله على ما يسمعه، وكذلك الأجنبي، وقواعد اللغة تضبط هذه المقاييس وتقيمها على القصد

---

(1) ارجع إلى: مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق فان فلوتن، الهيئة العامة لقصور الثقافة ص 9،8،7. والاقتراح في أصول النحو وجدله، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى، تحقيق محمود فجال، مطبعة الثغر، ص214.

(2) ارجع إلى: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، الهيئة العامة للكتاب، تحقيق الدكتور النجار، جـ1 / 97 وما بعدها.

(3) الأشباه والنظائر، السيوطى، تحقيق عبدالقادر الفاضلى، المكتبة العصرية، 1420هـ 1999م ج 241/1.

الصحيح الذي يقوم على سنن الفصحى من لفظ القرآن الكريم والحديث الشريف الصحيح وما انتقاه العلماء من مأثور كلام العرب شعراً ونثراً[1]، فقواعد اللغة قامت على مقاييس لغوية في الأبنية ونظام ترتيب الجملة.

وعلماء الفقه الذين وضعوا القياس في بعض مسائل الفقه فقاسوا الشبيه بالشبيه به، وهو من الاجتهاد ويقبل الاختلاف، وهذا غير الحكم القطعي الذي يقوم على صريح النص وليس فيه اجتهاد، وقد تأثر عُلماء اللغة بعلماء الفقه والحديث، وكثير منهم كانوا قراء وفقهاء ومحدثين، فأفادوا من هذه العلوم في منهجهم اللغوي فى بحث اللغة، ومن ثم كانت اللغة مبحثاً في صدر كتب الفقه، فالأحكام المستنبطة من النص تقوم على فهم لغة النص وتراكيبها ودلالتها.

وبحث العلماء رواية اللغة، واللغة التي يحتج بها وحكم السماع والقياس، فتوسع بعضهم وأخذ بالمسموع عن العرب؛ لتجديد اللغة وتطويرها، ولتستطيع مواكبة الحياة والتعبير عن مستحدثاتها[2].

واختار علماء العربية المشهور مما يقع في كلام العرب اللسن وجعلوه قاعدة يقضون بها في صحة الكلام أو فساده، وهذا الحكم جارٍ في الخطاب وأساليبه والنص المكتوب، والقواعد التي يلقنها المعلمون تلاميذهم ليقيموا عليها لسانهم، والعربية فيها وجوه يصعب على المتعلم إحصاؤها، فاختار العلماء أشهرها تيسيراً على المتعلمين والمتعربين، فصارت أساساً للغة المتأخرين الذين ضعفت لغتهم فاحتاجوا إلى قواعد تقيمها وتصلحها، وهذا لا يعني فساد الوجوه الأخرى، ولكن التخفيف من عبء تعدد الوجوه فيه تيسير وسهولة تعجلان بتعلم مبادئ العربية، ومن أراد السعة انتقل من المشهور إلى النادر منها ملتمساً وجوهه في

(1) ويرد قول من زعم أن قواعد العربية قامت على شواهد انتقائية، فالانتقاء وقع في صفوة كلام العرب فقط، وعولوا على كل ما ورد في القرآن الكريم ووجوه القراءات القرآنية والحديث الشريف .

(2) ارجع إلى: المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطى، تحقيق جاد المولى، وأبو الفضل، والبيجاوى، مكتبة دار التراث جـ1/ 137 وما بعدها. ودراسات لغوية، الدكتور عبد الصبور شاهين، 1995م مكتبة الشباب ص12.

لهجات العرب أو لغاتهم، فيبحث الشاذ والقليل ووجوه القراءات ووجوه الإعراب ووجوه تأويل الإعراب على المعنى.

وقد حرص القدماء على تيسير قواعد العربية فوضعوا قاعدة عامة يقاس عليها، ثم ذكروا إلى جوارها وجوه التعدد الأخرى في باب النادر أو الشاذ أو الرديء ثم قضوا بحكم العمل بالنادر؛ فأجازوه فى الضرورة لعدم ذيوع غيره فى موضع الاحتجاج، فإن وجد المشهور لم يُلتفت إلى النادر لاطراد العمل بالمشهور الذى يمثل القاعدة العامة التي تغني عنه.

ولهذه الجهود فضل كبير في تيسير العربية الفصيحة التي احتملت وجوهاً عديدة، فكل لهجة فيها وجوه تميزها عن غيرها، وهى في ذاتها لغة؛ ومن ثم أطلق القدماء عليها " لغة " يريدون خطاباً له ما يميزه من الظواهر الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، والإلمام بهذه الظواهر في لهجات العرب جهد غير يسير، والأخذ بوجوهها في لفظ واحد محال، والعمل بكل وجوه التعدد فيه مشقة.

وقد أحصى علماء العربية هذه الوجوه لتفسير نصوص العربية الجاهلية ووجوه قراءات النص القرآني، ويتأولون عليها ما يسمعونه من لهجات العرب السابقين عليهم والمعاصرين لهم، وقد أطبق العلماء على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربية إذا لم تخالف قياساً مشهوراً، وأجازوا الاحتجاج بما خالف القياس منها، ولكنهم لا يقيسون عليها لعملهم بالمطرد فى القياس، ويخرِّجون عليها ما ليس له وجه فى المشهور، وأخذوا كذلك بالنادر الذى لا يخالف القياس المطرد فيما صح من كلام العرب وإن كان قليلاً لعدم مخالفته القياس ولا يوجد ما يخالفه[1]. ولجأتْ إلى الاحتجاج بالنادر والقراءات الشاذة مجامعُ اللغة في عصرنا لتجويز العمل ببعض ما وقع في الخطاب المعاصر، فما وافق منها وجهاً من وجوه العربية ولهجاتها القديمة أجازوه وإن كان الشاهد نادراً أو شاذاً،

(1) الأشباه والنظائر، ج 241/1، والاقتراح ص 152 ، 153.

وذلك للضرورة ولصعوبة دفع ما وقع في ألسنة الناس من الألفاظ والأساليب التي خرجت عن نظام اللغة العام المقيس عليه فلجأوا إلى النادر القليل أو الشاذ، وبحثوا عن دليل يتوسلون به إلى إقرار العمل بما وقع في الخطاب المعاصر ولا سبيل لرده، وجوزوا بعض الوجوه المعاصرة وتأوَّلوها على ما يشبهها من لهجات العرب النادرة، وصارت القراءات القرآنية الشاذة (غير المشهورة في القراءة) من المراجع التي يرجعون إليها في النظر في صحة الأساليب المعاصرة، وكان القدماء يتعصبون للمشهور فقط دون النادر أو الشاذ لتضييق السبيل على التعدد في وجوه العربية.

وكان الهدف من هذا التضييق سد باب التعدد في وجوه القواعد والتضييق على اللهجات، وكان لهذا المذهب فضل عظيم في توحيد أنظمة العربية والاتفاق عليها، وصارت أساساً لكل المتكلمين بالعربية فليس هنالك نظامان في قواعد العربية أو أكثر بل نظام واحد عام في القاعدة وإلى جواره بعض الوجوه النادرة يتأولون عليها نوادر كلام العرب ووجوه القراءات القرآنية وبعض ما دخل إلى العربية وتطور فيها.

وقد كانت العربية قبل هذا ذات وجوه متباينة ، فقد كان لكل قبيلة لسان تعرف به، وهذا التعدد كان باباً لاتساع الخلاف بين لهجات العربية ومعيناً على انشقاق اللهجات واستقلالها وتفتتها إلى لغات محلية واتساع هوة الخلاف بينها حتى تتباين وتصبح اللهجات لغات مستقلة، ولكن الله تعالى سلم وسدد بينها وقارب حتى التأمت في لغة مشتركة تمثل لساناً عاماً اتفق العرب أجمعهم عليه وهو لسان القرآن الكريم الذي وافقه المشهور من كلام العرب الفصحاء، ثم أتى علماء العربية من بعد ذلك فاصطفوا قاعدة واحدة على ما اختاروه من فصيح اللهجات، لتضييق الطريق على تعدد وجوه القول في قاعدة واحدة؛ لئلا تشق العربية على أهلها ومتعلميها، وقد كانت القاعدة في بدء وضعها لضبط لغة المتعلمين من الأعاجم ولإصلاح لسانهم ولتقويم عربيتهم، وهذا التقويم يتطلب

وجهاً واحداً، ثم احتاج العلماء إلى ضبط اللهجات المتعددة والقضاء في حكم صحتها والأخذ بها، فاتسع العمل بالقاعدة وراجع العلماء بحثها ومحصوها ودعموها بمزيد من الأدلة لتقوية العمل بها في الاحتجاج ولسد فتوق النادر والشاذ والرديء، فالتمسوا الأدلة من القرآن الكريم، وفصيح شعر العرب الجاهليين والمأثور عنهم، وبعض الحديث المتفق على لفظه، وأجازوا الأخذ عن الإسلاميين الفصحاء في القرن الأول، وبعضهم استشهد بكلام فصحاء العرب حتى مستهل القرن الرابع الهجري، فاصطفوا بعض شعر الصفوة من الفصحاء الذين حذقوا لغة العرب؛ فبلغوا أعلى مراتب الفصاحة فيها وأقاموا عليها شعرهم، وكان آخر أعمدتهم في الاستشهاد اللغوي أبو الطيب المتنبي (شاعر العربية – ت 354 هـ) وكان معاصراً لابن جني (المتوفى 392 هـ)، وقد استشهد ابن جني ببعض شعره[1].

وبعض المعاصرين هموا بالطعن في الأسس التي أقام عليها القدماء قواعد اللغة، فقالوا إن اختياراتهم كانت انتقائية، فاختاروا ما ارتضوه وتركوا ما دون ذلك مهملين كماً عظيماً من لهجات العربية النادرة وتراثها، وهذا تجني على القدماء وتسفيه لوعيهم، وطعن في أمانتهم العلمية ومقاصدهم الشريفة، فهؤلاء الأئمة اصطفوا صفوة كلام العرب والمشهور منه لوضع نظام قاعدي موحد يجمعون عليه أبناء العربية ومتعلميها، للتخفيف والتيسير ودرء للتعدد والاختلاف وكثرة القواعد، ولهذا العمل فضل عظيم في تسهيل تعلم العربية وانتشارها، ويسَّرَ على الأعاجم تعلمها، والعربية المعاصرة تواجه صعوبة، فبعض المعاصرين يستثقلون قواعدها وكثرتها مقارنة باللغات الأجنبية التي تحصى قواعدها في زمن وجيز، فيقبلون عليها نافرين من عربيتهم العتيقة

---

(1) استشهد ابن جنى بشعر المتنبى فى كتابه الخصائص ج25/1 ، 240،328.ج29/2 ،159، 405، ج244/3، كان يقول عند النقل عنه: شاعرنا. ونقله عنه فى المحتسب ج295/1،141.ج19/2 ، 130،153،201، وكانت له مع المتنبى مناظرات، وكان المتنبى معجباً بعلمه وفهمه، وله شرحان على ديوان المتنبى، وكان المتنبى يحيل الناس إلى ابن جنى ليسألوه عن معانى شعره وقضاياه، فإنه يعلم ما قاله وما لم يقله.

الغريبة بين العرب، وليست العربية في زماننا بلغة الحضارة المعاصرة بل لغة التراث والدين، وقد وجهوا إليها سهام الطعن! وقد كان القدماء عقلاء راشدين إذ يسروا العربية، وقد كانت لغة الدين والحضارة والدولة العظيمة التي تهيمن على السياسة العالمية، وتتحكم في دفة العالم، وكانت لغة الأدب والثقافة الراقية وتعد شرفاً لكل من يتعلمها ويجيدها، فيسرت هذه الظروف للعربية منزلة عظيمة، ووسعت رقعتها، وتعربت أمم كثيرة وصارت لغة الأدب والمجالس والاتصال في نواحي الدولة وأطرفها في أمم أعجمية.

والقدماء لم يهملوا اللهجات بل دونوها وجمعوا نوادرها ووجوه الاختلاف فيها والمناظرات وبحثوا وجوه التأويل وتوجيه القراءات القرآنية وتفسير النص القرآني وتعدد وجوه تفسيره وتعدد وجوه القول في لفظه وقراءته ودلالته.

وقد أحصى ابن جني هذه الوجوه في كتابه الفريد " المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها "[1]، وكتب إعراب القرآن وكتب التفسير التي تناولت وجوه القراءات وأثرها في المعنى، والأحكام الفقهية والكتب التي تناولت بلاغة القرآن الكريم ووجوه إعجازه، فالمصدر الأول في تفسير القراءات القرآنية لهجات العرب، فهي العمدة في فهم القراءات ووجوه معانيها، والقرآن الكريم حمّال ذو وجوه، ولا تفهم هذه الوجوه إلا في ضوء معرفة لهجات العربية وأساليبها وعرفها في التعبير عن المعاني.

ويمثل القرآن الكريم أعظم مراحل التجديد والتطوير في حياة العربية، فقد انتقل بالعربية من التعبير عن البداوة والحياة الحسية إلى التعبير عن الحضارة والمعاني المجردة، وألفاظه ذات دلالة واسعة، فارتقى بالألفاظ ووسع المفاهيم، وحدد الدلالة بعد أن كانت مطلقة في اللفظ، وتجديد دلالة اللفظ واتساع المفهوم وغزارة المعنى وتنوعه من معالم اللغة العالمية التي تصلح لكل الأمم، وتستطيع

---

(1) المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، حققه على النجدى ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 1415هـ 1994م.

أن تعبر عن الحضارات دون تقصير، وهذا ما حققته العربية في تاريخها العظيم فهي أطول اللغات عمراً وأغزرها لفظاً وأعظمها تراثاً وأوسعها دلالة وأسرعها تجديداً وأدقها تعبيراً.

وقد وضع التعميم في القاعدة علماء العربية في أمر جلل، وهو مخالفة القاعدة العامة لبعض ألفاظ القرآن الكريم النادرة وبعض القراءات، فالقرآن الكريم مثل اللسان المشترك اجتمعت فيه وجوه العربية واحتملتها قراءاته فأين يذهبون بما خالف القاعدة العامة، وهم لا يستطيعون أن يستبعدوا النص القرآني أو أن يقولوا بتضعيفه أو القضاء بشذوذه، فهو مصدرهم الأول في وضع القاعدة، فالتجأوا إلى التأويل وتوجيه النص القرآني في المواضع التي خالفت فيه القاعدة النص، وكان أولى بهم أن يجوِّزوا الوجوه التي وردت في القراءات المشهورة، ولكن هذا أمر شاق يزيد في قواعد العربية ومن ثم جعلوا لتفسير النص القرآني والمأثور عن العرب القدماء خصوصية، فالنصوص اللغوية المشهورة تعد مصدراً رئيساً في قواعد العربية العامة، وتفسر وجوه القراءات الشاذة التي لا تدخل في القاعدة الموحدة في ضوء لهجات العرب وتعدد وجوه العربية، وتعلم – أخي - أن القرآن الكريم يقاس عليه ويحتج به ويلتجأ إليه في صحة الكلام، ولا يجوز مطلقاً أن يقال إن النص القرآني خالف القاعدة أو شذت القراءة الصحيحة عن القاعدة، فوضع القاعدة لاحق على النص القرآني، ولا يقدم لاحق على سابق، فقد سبق القرآن الكريم وضع القاعدة، وهو لسان العرب المشترك جمع الله فيه ألسنة العرب فاحتملها واحتمل وجوه التعبير فيها، وهذا من آيات بيانه وتبيينه وإحكامه وإتقان لفظه ورصانة تركيبه وعلو بلاغته ورسوخه في ألسنة العرب، فالعرب طعنوا في النبيﷺ فقالوا: ساحر ومجنون وشاعر وبه جنة وكذاب، وقد برَّأه الله تعالى من ذلك، ولكنهم لم يطعنوا في سلامة لفظ القرآن وبلاغته وعلوه وأنه يعلو ولا يُعلى عليه، فلغة القرآن وتراكيبه ودلالته وبلاغته لا يرقى إليها قول، ولم يطعن فيها، قال تعالى:

﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**﴾[هود:1] وقد أعجزهم أن يأتوا بمثله، فهو لفظ قوي محكم لا يأتيه الباطل من لفظه أو معناه، وقد سلّم العلماء جميعهم أنه المصدر الأول من مصادر العربية، ولا يقدم عليه قول.

بيد أن بعضهم غالى في رفض الاحتجاج بالحديث الشريف واستحى من الاحتجاج به لصحة روايته معنى، وأن بعض رواته ليسوا من أصول العربية، فلم يأمنوا سلامة لفظهم وخلوه من اللحن؛ لأنهم حسبوا أن العربية قريحة وطبع وسجية يتوارثها العرب الفصحاء وقيدوها بالبيئة العربية النقية التي لا تغتالها اللغات الأخرى، فجعلوا العربية الفصيحة في جنس العرب الفصحاء، وسجينة الفيافي أو الفلوات أو البوادي تصحبهم أينما انتجعوا وتسكن منازلهم حيث أقاموا ما لم تدخل الحواضر ومجالس المترفين، وقد طلب الحديث عرب أقحاح وغير عرب عكفوا على الرواية وكانوا على علم بالعربية، وكثير منهم من رجالها، فعلماء القراءات وكثير من علماء الحديث من علماء العربية أيضاً، وجمعوا العربية وشعرها ونثرها.

بيد أن المتأخرين فى القرن الثانى والثالث الهجريين جعلوا العروبة أصْل اللسن فتركوا الأخذ عمن ليسوا من أصول عربية؛ أن معظم رواته ليسوا من أصول عربية، وأنه يجوز روايته بالمعنى فيكون اللفظ للراوى، فتركوا الاحتجاج بالحديث اكتفاء بالنص القرآني وشعر الجاهلية، وهذا أمر فيه نظر، فهنالك أحاديث دوّنت في حياة النبيﷺ وتداول الرواة صحفها فكانت محفوظة في الذاكرة وفي الصحف، وهنالك أحاديث متفق على لفظها، وهنالك أحاديث أحصيت فيها وجوه الاختلاف في لفظ أو أكثر أو وقع فيها لفظ موقع غيره من المعنى أو حديث فيه زيادة أو مفصل، والرواة كانوا من أبناء القرن الأول والثاني وهما من عصور الاحتجاج التي تبدأ فى الجاهلية حتى القرن الرابع، والرواة من غير العرب كانوا على علم بالعربية، فالبخاري ومسلم وغيرهما لم يطعن في لفظ ما رووه ولم يلحنهم العلماء، وما وقع من لحن أو تصحيف أو

تحريف أو تغيير في رواية أحصاه العلماء وصوّبوه[1]، وهو قليل جداً قياساً إلى الصحيح، ومعرفة الخطأ وتصحيحه يرفعان احتمال الشك في النص؛ فالتنبيه على الخطأ وتصحيحه إلى الصواب.

وقد أخذ العلماء عنهم رواية القراءات القرآنية وائتمنوهم عليها، وهي تحتاج إلى ضبط وإحكام ودقة في السماع والقراءة والنقل أكثر مما يتطلبه الحديث، وكان كثير من القُرَّاء من أصول غير عربية.

وأرى أن الذي أوقعهم في هذا التعسف في ترك الأخذ عمن كانت أصولهم غير عربية أنهم اعتقدوا أن الفصاحة طبع وسليقة في العرب، والثابت أنها في اللسان والوسط اللغوي الذي يتلقى المتكلم منه لغته، فأبناء البادية سلمت لغتهم؛ لأنهم تعلموا لسان الآباء، وهو لسان عربي نقي لم يدخله دخيل ولم يتأثر باللغات الدخيلة فلم ينحرف عن أصله فسلمت لغتهم، وأبناء الأعاجم الذين عاشوا في بادية العرب وتعلموا لغتهم كانوا فصحاء، وقد نزل كثير من العلماء بوادي العرب طلباً للغة بمخالطة البدو الفصحاء، فتعلموا الفصاحة منهم واللسن فأخذوا عنهم اللغة، ودونوا ما سمعوه منهم.

وقد تجافى بعض المتأخرين من العلماء عن مذهب بعض السابقين في ترك الاحتجاج اللغوي بالحديث، فأقبلوا عليه واستشهدوا به وبحثوا بعض وجوه الإعراب واللغة فيه.

وكان أكثرهم اهتماماً به جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي (ابن مالك 600هـ - 672هـ) فقد استشهد به في كتبه النحوية، وأفرد كتاباً سماه "

(1) تعقب بعض العلماء الخطأ والتصحيف فى رواية الرواة، وتعقبوا كذلك أوهام الشراح فلم يتركوا شيئاً من ذلك حتى أتوا عليه، وصوبوا الخطأ والتصحيف، وحققوا القول فيما توهمه المفسر، ومن أشهر الكتب فى ذلك شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، للحسن بن سعيد العسكرى، حققه عبدالعزيز أحمد وطبعه الحلبى 1383هـ 1963م وله طبعات حديثة، وله أيضاً تصحيفات المحدثين، ومن ذلك أيضاً كتب غريب الحديث، وقد ألف فيها معمر بن المثنى وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن الأثير والزمخشرى وغيرهم.

شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح[1] " وقد ناقش فيه بعض وجوه الإعراب في بعض الأحاديث وبحث تخريجها في العربية، ورد على بعض العلماء الذين أطلقوا الحكم عاماً في بعض قضايا النحو، وسدوا باب التعدد في وجوه الإعراب واحتمال وجود ما يخالف أدلة القاعدة العامة وأدلتها.

ونرى أن هذا التعدد جائز في تخريج النصوص اللغوية القديمة وفي توجيه معانيها واحتمال التعدد في وجوه الإعراب وأثره في المعنى، ولكن لا يقتضي هذا وجوب العمل به في كل موضع من خطابنا؛ لصعوبة العمل به، فالخطاب المعاصر يتطلب التيسير والتخفيف، والتخلص من الأثقال في معركة العربية مع اللغات الأخرى التي دخلت حدودها الإقليمية وتخفيف مؤنتها يكثّر أنصارها ويجريها على ألسنتهم ميسورة.

وقد رد بعض علماء العربية سبب خروج بعض كلام العرب على القياس العام إلى الضرورة أو الشذوذ أو المخالفة أو الخطأ، وبعضهم خفي عليه ما خالف القياس، وقد صح بعض كلام العرب مخالفاً القياس العام، وليس فيه شيء مما سبق، وترجع المخالفة إلى أن القياس العام وقع على المشهور، وقضى به العلماء في عموم كلام الناس وأساليب الخطاب، بيد أن تراث العرب الذي سبق وضع القواعد العامة جمع وجوه الاختلاف في لهجات العرب واتساعها في التعبير ومباريات القول، وقد عوّل عليه العلماء فى وضع القواعد العامة؛ ومن ثم احتملت قواعد العربية وجوهاً أخرى صحت في العربية لا مناص من قبولها من دون القياس عليها لندرتها ولتعميم العمل بقانون المشهور من كلام العرب درءاً للخلاف وتأليفاً لنظام عام يحتكم إليه متكلمو العربية جميعهم، فالعلماء

---

(1) حققه الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى، ونشرته دار الكتب العلمية، بيروت. ومن الذين احتجوا بالحديث: السهيلى (ت581هـ) وهو أول من توسع فى الاحتجاج بالحديث، وابن خروف (ت609هـ) وابن هشام (ت761هـ) ومن الأعلام الذين تركوا الأخذ بالحديث: الخليل بن أحمد (ت170هـ) وسيبويه (ت175هـ) وأبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمرو، والكسائى، والفراء وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير، ومن الممانعين من المتأخرين: ابن الضائع (ت686هـ) وأبو حيان الأندلسى (ت745هـ).

احتجوا بالنادر فى تصحيح ما وقع عليه دون أن يتوسعوا فى الأخذ به فلم يجعلوه قياساً. وسنبين ذلك في حديثنا عن وجوه صحت في العربية تخالف القاعدة العامة التي التزمها العلماء في القياس.

الحمل في القياس(1) يقع على وجوه :

الأول- حمل فرع على أصل: مثل إعلال الجمع وتصحيحه حملاً على المفرد، كقولهم في جمع قيمة: قيم، ودِيمَة: دِيَم، (والدِّيمة: المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق) يقال: دامت السماء تديم: ديمة. وزوج: زِوَجة، وثور: ثِوَرة، لم تعتل الواو في الجمع فصحت فيه دون قلب حملاً على الأصل فى المفرد، وله نظير فى القرآن الكريم وكلام العرب مثل: استحوذ، وقد يحمل بناء الفعل على معنى غيره، فلا يعلّ نحو بناء افتعل من عور، يقال: اعتوروا: أي تناوبوا، ونحو: اجتوروا: أي تجاوروا، لم يعلَّ اعتور، واجتور لكونهما بمعنى من لا يعل(2).

والقياس في الإعلال أن تقلب الواو المفتوحة وما قبلها مفتوح ألفاً، ومثلها الياء نحو: اختار، والأصل: اختير، واكتال من اكتيل.

والمشهور في مصدر أفعل من معتل العين أن تزاد فيه تاء في آخره عوضاً عن المحذوف (وهو عند بعض النحويين العين وعند الآخرين ألف المصدر إفعال)، نحو: أقال: إقالة، أعان: إعانة، والأصل: إقْوَال، وإِعَوان مثل: أحسن: إحسان، وأكرم: إكرام، وآمن: إيمان (والأصل: إئْمان فخففت الهمزة الثانية ياء)، وحذف التاء جائز في الإضافة، بل من الفصيح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ﴾[الأنبياء:73].

---

(1) القياس في العربية على أربعة أقسام: الأول - حمل فرع على أصل (القياس المساوي)، والثانى - حمل أصل على فرع (ويسمى قياس الأَوْلى)، والثالث - حمل نظير على نظير (ويسمى المساوي أيضاً)، والرابع - حمل ضد على ضد (قياس الأدْوَن). ويوجد قياس القلة، وهو أن يقاس على القليل النادر لعدم وجود ما يخالفه ولعمل العرب به. وليس الأخير بمطرد إنما هو في النادر.

(2) شرح شافية ابن الحاجب، الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1402 ، 1982م جـ1 / 109.

ورأى بعض العلماء أن حذف التاء قليل والمشهور زيادتها، ولم يجعلوا الحذف قياساً، ويرون تغليب المشهور أولى، وأرى أن ترك الصحيح والفصيح، والقياس على المشهور فيه مغالاة، فالأولى أن يقاس على لفظ القرآن الكريم وإن خالف المشهور الذي انتقاه العلماء من مأثور كلام العرب شعراً ونثراً؛ لأن صحة الرواية فيه وعلو الفصاحة لا يعلى عليهما، فلا مانع من إجازة الوجهين.

وبعض العلماء يرى أن عدم الإتيان بالتاء في " إقام الصلاة " جاء حملاً على لفظ إيتاء، فحذفت التاء لمشاكلتها في اللفظ ، وهذا ليس بممتنع أيضاً، مع العمل بحذف التاء في المصدر من أفعل معتل العين رجوعاً إلى الأصل الصحيح نحو: أحسن: إحسان، وأكرم: إكرام.

وقد سمع مصادر أخرى في العربية ليس فيها تاء عوضاً عن المحذوف نحو: إجاب من أجاب، يقال: قبول وإجاب، وجعلها علماء النحو في المسموع فقط دون المشهور[1].

وقد صح المصدر من الحذف والقلب في إغيال وإعوال وإخيال من أغيل، أعيل، أخيل، والقياس أن يقال في الفعل: أغال، أعال، أخال ومصادرها على غير القياس: إغيال، إعوال، إخَيال، وعده سيبويه شاذاً[2].

وقد أجاز أبو زيد التصحيح دون القلب بالإعلال في الأفعال التي لم يكن لها فعل ثلاثي[3].

والمصدر من استفعل استفعال، وتزاد فيه تاء إن كانت العين معتلة نحو: استقالة، استعانة، وقد خالف ذلك بعض الأفعال ومصادرها نحو: استنوق واستحوذ واستصوب واستروح ومصادرها: استنواق، استحواذ، استصواب، استرواح، وقد أجازها أبو زيد وعدها قياساً إذا لم يكن لها فعل ثلاثي، بيد أن

---

(1) ارجع إلى: شرح التصريح على التوضيح جـ2 / 394.

(2) الكتاب ج4 / 83. والمنصف ، لابن جني جـ1 / 467.

(3) شرح الشافية جـ3 / 112 ، 113.

سيبويه حملها على الشذوذ، فالقياس الإعلال وزيادة التـاء[1]، وأميـل إلى رأي أبي زيـد لموافقتـه الـنص القرآني، قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ [المجادلة:19] وقولـه تعـالى: ﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾[النور:63] لواذ مصدر، صحت الواو لتحركها في لاوذ يقال لاوذ يلاوذ ملاوذة ولواذاً أو يلوذ لوذاً ولياذاً، انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها اتباعاً للاذ في الاعـتلال[2]، وقـد صـحت الـواو فى المصـدر مـع انكسار ما قبلها؛ لأنها تصح فى الفعل: لاوذ، ولو كان لياذاً لكـان مثـل: صـام: صـياماً. وتصـحيح حـرف العلة في بعض لهجات العرب، فبنـو تمـيم يصـححون الـواو بعـد اليـاء في: مبيـوع، مخيـوط، معيـوب، مسيور، معيون (مغطى عليه)، مطيوب، مغيوم، مزيوت، مديون، وقد أحصى ابن جنـي ذلـك وانتهـى إلى أنه واسع فاش[3]، وهذه الظاهرة فاشية في الخطاب المعاصر، يقولون: مـديون، مخيـوط، معيـوب. وصحت الواو بعد الواو في بعض ما سمع عن العرب نحو: مقوود، معوود، مصوون، مدووف (الممزوج أو المبلول)، مقوول. وقد أجازها المبرد كذوات الياء، بيد أن بعض العلماء رأوا أن ذوات الواو من القلة بحيث لا يقاس عليه[4]، وهذا يجيز الإبقاء على الأصل مع ترجيح العمل بالمشهور.

الثـانى- حمـل أصـل عـلى فـرع ويسـمى " قيـاس الأَوْلَى " : ويـراد بـه مـا يـرجح فى الكـلام لشـهرته: منـه الاخـتلاف فى صرف " رحمـن " ومنعـه، فـبعض العلـماء أجـاز صرفـه؛ لأنـه الأصـل فى الأسـماء ولـيس لـرحمن وزن فعْـلى مؤنـث فعْـلان، وقـال كثـير مـن العلـماء يمنـع مـن الصرف؛ لأن الغالـب فى بـاب فَعْـلان عـدم الصرف، فحمـل عليـه، وهـو أولى مـن الحمـل عـلى الأقـل، ومثـال ذلـك أيضـاً

---

(1) ارجع إلى: شرح الشافية 3/ 112، 113 ، والكتاب لسيبويه جـ4 / 71، والمنصف ابن جني 1 / 467.

(2) الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي ، المكتبة التوفيقية – جـ12 / 271 ، 272 . والنسفى ، دار الكتب ، بيروت ، جـ 4 / 156 .

(3) المنصف لابن جني جـ1 / 286 ، وشرح التصريف الملوكى ص352 .

(4) الممتع في التصريف لابن عصفور جـ2 / 462 ، وشرح الشافية جـ3 / 149 .

إعلال المصدر لإعلال فعله وتصحيحه لصحته، نحو: قام : قياماً . وقاوم : قِوَامَاً[1].

وقد وقع نقل في أقام ويُقيم؛ ويشترط أن يكون الساكن الذي ينقل الحركة إليه متحركاً في الأصل، فلذا لم ينقل في نحو: كال وباع، وقوْل بَيْع، ووقع نقل في أقام ويقيم، فإن لم يسكن في الأصل لم يسكن في الفرع.

وقد منع النحويون النقل في المضعف نحو: ابيضَّ واسودَّ، لئلا يلتبس مثال بمثال، لأن ابيضَّ لو نقلت حركة عينه إلى ما قبلها لانقلبت الياء ألفاً، فتصبح اباضَّ، ثم تحذف ألف الوصل لعدم الحاجة إليها لتحرك ما بعدها، فتصبح " باضَّ " فيلتبس باسم الفاعل باضّ (من البضاضة) وهي نعومة البشرة، ومثلها اسودَّ الذي يلتبس بـ " سادّ " اسم الفاعل من سدَّ[2].

وقد يحمل الأصل على الفرع تشبيهاً له في المعنى الذي أفاده ذلك الفرع من ذلك الفرع نحو: جواز جر كلمة " الوجه " في قولك: هذا الحسنُ الوجهِ، فالجر في " الوجه " قيس على قولهم: " الضارب الرجلِ " بجر الرجل[3] على الإضافة إلى لفظ الضارب، وتعد الألف واللام فيها زائدتين.

والعرب إن شبهت شيئاً بشيء مكنت ذلك الشبه الذي لهما، فأجروا أحدهما مجرى الآخر، فقد شبهوا المضارع بالاسم فأعربوه، لوجود شبه بين المضارع والاسم[4]. وشبهوا الاسم بالفعل، فأعملوه عمله فقد شبهوا اسم الفاعل والمصدر واسم المفعول والصفة المشبهة بالفعل، فهذه أسماء تعمل عمل الفعل.

---

(1) الكتاب لسيبويه جـ1 / 199 : 201، ونقل عنه ابن جني هذا الرأي في الخصائص جـ1 / 303: 311.

(2) ارجع إلى: الحمل على الجوار في القرآن الكريم، الدكتور عبد الفتاح أحمد الحمور، مكتبة الرشد، الرياض ط1 / 1405هـ 1985م، ص65، وهو بحث حسن فى باب الجوار وهو فرع من الحمل فى اللغة.

(3) الكتاب جـ1 / 199، 200.

(4) الخصائص جـ1 / 308 وما بعدها. والاقتراح ص227. يشبه المضارع الاسم المبنى فى أنه يتوارد عليه معان يبينها الإعراب، نحو: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، يحتمل النهى عن الفعلين مطلقاً، وعن الجمع بينهما، والنهى عن الأول واستئناف الثانى، فيدل كل معنى منها بإعراب.

وشبهوا الوقف بالوصل في نحو قولهم: " عليه السلام والرحمت "، وجاء ذلك في قول الشاعر أبي النجم العجلي[1]:

اللـه نجاك بكفي مَسْلَمَـــــتْ   من بعد ما وبعد ما وبعدَمتْ

صارت نفوس القوم عند الغلصمَتْ   وكادت الحرة أن تدعى أمتْ والمراد: مسلمة، والغلصمة، وأمة.

وبعض العرب يجري الوقف مجرى الوصل - ومنهم طيئٍ – يقولون في الوقف: طلحت، شجرت، ثمرت، وقيل إنها سمعت في قبيلة حمير، قال رجل منهم: " ليس عندنا عربيت .. "، وأصلها: عربية، أي: ليس عندنا عربية كعربيتكم[2]. وتصح التاء في الإضافة وكتب التاء في الرسم القرآني لعدم جواز الوقف على المضاف دون المضاف إليه نحو: (رحمت اللـه)[البقرة:218] و(كلمت اللـه)[الأعراف:137] ومثل: (سنت)[الأنفال:38] و (لعنت)[آل عمران:61] و(شجرت) [الدخان:43].

وقيل إن التاء الظاهرة في الأسماء حملت على الأصل الذي كانت عليه العربية الأم وأخواتها (السامية)، والتاء أصل في تأنيث الفعل، وعدوا الهاء فى الأسماء تطوراً لها في الوقف[3].

وبعض اللـهجات المعاصرة تنطقها تاء على الأصل نحو: الحيات (الحياة)، القضات (القضاة). وقد يجري الفعل المتعدي مجرى الفعل اللازم، ويسمى التضمين لتضمنه معنى فعل آخر لازم، وقد جعل النحاة منه قوله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**﴾[النور:63] تضمن الفعل (يخالفون) معنى (يخرجون).

---

(1) خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي1387هـ، جـ177/4، ولسان العرب م472/15، والخصائص1/ 304، وشرح المفصل جـ5 / 89، والاقتراح ص227، وبعدمت، أراد بعدما، فأبدلت الألف هاء ثم أبدلت الهاء تاء تشبيهاً بهاء التأنيث، وشرح شواهد الشافية ص 218.

(2) أسرار العربية، ابن الأنباري، ط دمشق ص413، وأضداد الأصمعي، تحقيق الدكتور هنز ص45، ولسان العرب: عرب .

(3) ارجع إلى: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ص 260 ، 261.

ومنها قراءة أبي طالوت بن شداد والجارود بن أبي سبرة: ﴿**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[البقرة:9] بضم الياء وفتح الدال (يُخْدَعون)، نحو: خدعت زيداً نفسه؛ والتقدير عن نفسه، وعلى هذا يجوز النصب على حذف الخافض كقوله تعالى: ﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً**﴾[الأعراف:155] أي: من قومه.

وبعض العلماء حمله على المعنى فأضمر له ما ينصبه، فيجوز أن يقال في: خدعت زيداً عن نفسه. يدخله معنى: انتقصته نفسه، وملكت عليه نفسه.

وقد رجح ابن جني ذلك ورآه من أسدّ مذاهب العربية، فالفعل قد يحتذي معنى صاحبه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ**﴾[البقرة:187] والأصل في رفث بها ومعها، فضمن رفث معنى الإفضاء فتعدى بإلا، يقال أفضيت إليها، ومن ثم تعدى رفث بإلى[(1)]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى**﴾[النازعات:18] ومنها قولهم: هل لك في كذا ؟ بمعنى: أجذبك إلى كذا وأدعوك إليه، ومعنى الآية: هل لك فيما ينفعك ؟ ومن ذلك قول الفرزدق[(2)]:

كيف تراني قالياً مِجَنيٍّ   قد قتل اللـه زياداً عنِّي

استخدم " عن " مع قتل؛ لما دخله معنى قد صرفه اللـه عني؛ لأنه إذا قتله فقد صرف عنه.

وأجرى العرب غير اللازم مجرى اللازم، ومن ذلك قول المرار العدوي[(3)]:

وقمت للزَور مرتاعاً وأرقني   فقلت أهي سَرَت أم عاداني حُلُمُ

---

(1) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق النجدي والنجار وشلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1415هـ ، 1992م جـ1 / 52.

(2) المحتسب لابن جني، جـ1 / 52.

(3) وقيل هو لزياد بن جمل، وقد جاء في خزانة الأدب 5 / 245، وشرح الحماسة للمرزوقي جـ3 / 1396 والخصائص 205/1. والاقتراح ص228.

وقول الشاعر[1]:

ومن يتق فإن الـلـه معه ورزق الـلـه مؤتابٌ وغاوِى

والشاهد"يتق" حذف مفعوله، والأصل: ومن يتق الـلــه، فحـذف لفـظ الجلالـة (الـلــه) لشـهرة وقوعه مفعولاً للفعل اتقى،والعرب يجوزون حذف ما يعرف من الكلام.

وأجرى العرب النصب مجرى الرفع في الأداء الصوتي، وعلى ذلك قرأ طلحة بـن سـليمان والفـيض بن غزوان قوله تعالى: ﴿**عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾ [القيامة:4] بالاقتصار على ياء واحدة مع سكونها في " يحْيِ " وحقها النصب بعد أن، وأن تحرك اليـاء الثانيـة بـالفتح (حركـة النصـب)، ولكـن القـراءة بيـاء واحدة ساكنة، وهي تسكن في الرفع، فأُجري النصب مجري الرفع، الذي لا يلزم فيه الحرف أصلاً[2].

ومنه قول الحطيئة[3]:

يا دارَ هِنْد عَفَتْ إلا أَثَافِيْهَا بين الطوى فصارة فواديها

الشاهد: أثافي سكن الياء في موضع النصب، وهو للضرورة ويستحيى بياءين فى لغة الحجاز، وأما تمـيم فتقول: يستحى (بياء واحدة) فيحذفون إحدى الياءين، إما التى هى فى عين الكلمـة وإمـا التـى فى لام الكلمة، وهذا للتخفيف، ومن ذلك قول العرب: لا أكلمك حِيرىْ دهر، فأسكن الياء في حِيرى، وهـي في موضع نصب، والأصل حِيرىّ دَهْر[4].

---

(1) الخصائص جـ1 / 306 . والمحتسب 1 / 361. والاقتراح ص228.

(2) البحر المحيط: 8 / 391. والاقتراح ص228. والمحتسب جـ2 / 342.

(3) ديوان الحطيئة ص201 وشرح شواهد الشافية ص410 الطوى: البئر المطوية بالحجارة، ويريد بئراً، الصـارة: جبـل بين تيماء ووادي القرى.

(4) جاء فى شرح المفصل (ط التوفيقية): " أكلم جـرىْ دهـر " بـالجيم والصـواب حَـيْرىّ، وحَـيْرِىْ وحَـيرِىَ وحـير أمـد الدهر، وتحيَّر الدهر وبقائه. اللسان: حير م 682/2. د دار الحديث، ولكن محقق طبعة التوفيقية لم ينتبه للخطـأ، وتكرر مثله فى مواضع أخرى من الكتاب، وهذا آفة محققى الطبعات التجارية وضعاف التحقيق من غير العلماء.

أي: مدة الدهر، فحذف إحدى الياءين، فبقيت الأولى ساكنة كما كانت قبل الحذف، وقال الفرزدق[1] في نصر بن سيَّار:

تأملتُ نَسْراً والسِّماكَيْن أيْهما   **عليّ من الغيثِ استهلَّت مواطره**

حذف إحدى الياءين من أي، وقيل هذا جائز للوزن ويجوز تخفيفاً، ومثال ذلك قول الشاعر أبي كبير الهذلي:

أزُهَيْرَ إنْ يَشِبِ القَذالُ فإنني   **رُبْ هَيْضَلٍ لَجبٍ لففتُ بَهَيْضَلِ**

وقد حذف الباء الثانية المفتوحة وأبقى الأولى الساكنة[2] وروى بفتح باء "رب"، وقيل خففت للتكثير، والأصل فيها التقليل.

وحُمِلَ الجر على النصب في مالا ينصرف مثلما حملَ النصبُ على الجر في المثنى والجمع، فالياء علامة الجر فيهما، وينصبان أيضاً بالياء حملاً على ياء الجر، وحمل كذلك مالا ينصرف في الجر على النصب، فالممنوع من الصرف ينصب بالفتحة نيابة عن الكسرة، كقولك: " مررت بإبراهيمَ "، وحمل النصب على الجر في جمع المؤنث السالم.

ونُوِّنَ غير المنصرف إتباعاً للمنصرف قال تعالى: ﴿**وَجِئْتَكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينْ**﴾[النمل:22] وسبأ اسم القبيلة، فيمنع من الصرف، لكنه حمل على غيره، وبعض العلماء يرى أنه اسم جد القبيلة فصرفه.

وقوله تعالى: ﴿**إنّا أعْتَدْنا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلا وَأَغْلاَلاً وَسَعِيرَا**﴾[الإنسان:4] نُوِّنَ سلاسلا حملاً على أغلال، ووزن فعالل لا ينون؛ لأنه ممنوع من الصرف لمنتهى الجموع.

---

(1) لسان العرب م 682/2. مادة حير، والأشباه والنظائر جـ48/1، ومغنى اللبيب 107/1، وفسر السِّماكان مجموعة من النجوم.

(2) ديوان الهذليين جـ2 / 88 شرح الشافية جـ284/4 وشرح المفصل م284/4، وخزانة الأدب 535/9، وقد رويت " رب " بالفتح فيه للتخفيف، وزهير يريد زهيرة، والقذال: ما بين الأذنين والقفا، والهيضل: جماعة متسلحة أمرهم في الحرب واحد. ولجب: له جلبة، مرس: ذو مراسة وشدة. والبيت منسوب لأبي كبير الهذلي.

ومثله قوارير فى ﴿قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَا مِنْ فِضَةً﴾ [الإنسان:15،16][1].

وحملت الألف على الياء في قول رؤبة[2]:

إذا العجوزُ غضبت فطلِّق ولا ترضَّاهَا ولا تَمَلَّق

الشاهد الألف في ترضَّاها، والأصل ولا ترضَّها، ولكنه لم يحذف الألف بل أثبت الشاعر اليـاء دون حذف فى قوله[3]:

ألم يأتيكَ والأنباءُ تَنْمى بما لاقت لَبَونُ بنى زياد؟

فحمل الشاعر الألف فى " ترضاها " على الياء فى " ألم يأتيك " وقيل الزيادة للضرورة، وقيـل هـذا توسع وقيل لغة، وقد قيل إنه لم يحذف للضرورة الشعرية. كما شبهت الياء بـالألف فى " أيـديهن " في قوله أيضاً[4]:

كأنَّ أيدِيْهِنَّ بالقاع القَرِقْ أيدى جَوَارٍ يتعاطينَ الوَرِقْ

سكَّن الياء فى أيديْهن، والأصل أن تنصب بأنَّ، ولعل الداعى إليه الوزن. ووضع الضـمير المنفصـل موضع المتصل، ومن ذلك قول الفرزدق[5]:

بالوارث الباعِث الأموت قد ضمنت إياهم الأرض في دهر الدهارير

الشاهد: ضمنت إياهم الأرض، والقياس: ضمنتهم الأرض.

ووضع كذلك الضمير المتصل موضع المنفصل في قول الشاعر[6]:

---

(1) ورد لفظ سلسلاً فى الرسم أعلاه الصفر المستدير للدلالة على زيادة الحرف وعدم النطق به، ومثله قواريراْ، وهـذا المشهور الذى يوافق الإعراب، وقد ورد التنوين فى بعض القراءات (نـافع، والكسـائى، وهشـام، وأبـو بكـر) ووردت سبأ منونة فى الرسم المصحفى والتنوين يراد به جد القبيلة.

(2) ديوان رؤبة ملحق ديوانه ص 179، الخصائص جـ307/1 وخزانـة الأدب جـ359/8. وشرح المفصـل جـ106/10. والاقتراح ص229.

(3) البيت لقيس بن زهير العبسى، شرح شافية بن الحاجب 184/3 وأوضـح المسـالك جـ86/1، المحتسـب جـ67/1، والكتاب جـ59/2، وهو لقيس بن زهير العبسى، ويروى: ألم يبلغك مكان يأتيك، فلا شاهد فيه على هذه الرواية.

(4) ديوان رؤبة (الملحق) ص179، شرح الشافية 184/3، والعين 22/5، والأشـباة والنظـائر 269/1، الخصـائص306/1، والمحتسب 1/ 126، وخزانة الأدب 8/ 347، والاقتراح ص 22.

والقرق: المكان المستوى لا حجارة فيه. الورق الدراهم، وانظر لسان العرب، مادة رضى جـ 165/2.

(5) ارجع إلى: المحتسب جـ126/1، والكشاف للزمخشرى، مكتبة مصر م 4 /513، 514.

(6) الخصائص307/1، 2 / 195. وشرح المفصل ج3 /101، وخزانة الأدب278/5، والاقتراح ص230.

وما نبالي إذا ما كنت جارتَنا　　　　أن لا يجاورنا إلاك دَيَّارُ

ورأى بعض العلماء أن الظاهر الذي قام هذا الضمير مقامه مرفوع، فوجب أن يكون كذلك في الضمير بالقياس عليه، فوقع حملاً عليه[1].

ويجوز استعمال الضمير الأول متصلاً والثاني منفصلاً،في المتعدي للمفعولين، ومنه قول سهل بن سعدﷺ: " فأعطاه إياه "[2]، وقول هرقل لأبي سفيانﷺ: " كيف قتالكم إياه؟"[3]، واللفظ العربي للراوي أبي سفيانﷺ وقول القوم للرجل: " ما أحسنت، سألتها إياه "[4].

ورأى ابن مالك أن هذا جائز مع إمكان استعماله متصلاً[5]، والأصل أن لا يستعمل المنفصل إلا عند تعذر المتصل، لتعذره لإضمار الفاعل نحو: قوله تعالى ﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[البقرة:40]. ويجوز الاتصال والانفصال إن اختلف الضميران، ولم يحتمل اللبس نحو قول النبيﷺ: " ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة، بفضل رحمته إياهم "[6]، يجوز الاتصال والانفصال. وعند تقديم الضمير المفعول وحقه التقديم نحو قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ [فاتحة الكتاب:5] وعند استخدام العطف بين الضميرين، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ**﴾[النساء:131]، وعند وقوع الضمير بعد " إلا "، قال تعالى: ﴿**أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [يوسف:40]، وبعد واو المصاحبة، قال أبو ذؤيب الهزلي[7]:

---

(1) الاقتراح ص325.

(2) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب في الشرب.

(3) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي.

(4) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة.

(5) شواهد التوضيح والصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي النحوي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص24 ، 25.

(6) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب. والحَنْث: الإدراك والبلوغ.

(7) شواهد التوضيح ص25، والمعنى: حلفت أن أكتب قصيدة فكيفما تكون أنت وهي مثلاً بعدي.

فآليت لا أنفك أحذو قصيدة   تكون وإياها بها مثلاً بعدي

وصح اتصال الضميرين في المتعدي إلى مفعولين، وهو الأصل.

ومنه قول المرأة : " يا رسول اللـه إني نسجت هذه بيدي لأكسوكها "[1].

ويتصل خبر كان أو إحدى أخواتها بها عند إضمار اسمها، وهو الأفصح كقول النبيﷺ لعمرﷺ في ابن صياد: " إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله "[2].

ويجوز الفصل إن أظهرت اسم الفعل الناسخ في نحو: " صديقي كنت إياه "، والاتصال أفصح لثبوته في أفصح كلام العرب المنثور وبعض الشعر.

ورأى ابن مالك أن استعمال المتصل أصلاً؛ لأنه أخصر وأبين؛ لأنه لا يقع به لبس، وقد يقع اللبس في المنفصل، نحو: إياك أخاف، فيه وجوه: أن يريد تحذيره من شيء، أو أن المخاطب خائف، أو أن المتكلم يخافه.

وقوله: " أخافك " أخصر فى اللفظ وأبين فى المعنى، فالمراد خوف المتحدث من المخاطب، وأمن اللبس[3].

ويجوز فصل الضمير للضرورة الشعرية، كقول الشاعر[4]:

أما عطاؤك يا ابن الأكرمين فقد   جعلت إياه بالتعميم مبذولا

الضمير إياه: منفصل؛ لإقامة الوزن.

ويجوز في كان وأخواتها إن اتصل بها ضمير الرفع نحو قول الشاعر[5]:

عهدتُ خليلي نفْعُهُ متتابع   فإن كنت إياه فإيَّاه كُنْ حَقًّا

---

(1) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة.

(2) شواهد التوضيح ص27، رواه مسلم فى كتاب الفتن عن عبد اللـه بن عمر رضى اللـه عنهما، وجاءت رواية " وإن يكن الذى تخاف من تستطيع قتله " وكان تامة. وارجع إلى صحيح مسلم بشرح النووى جـ18/ 53، 54، وروى " فلن تستطيع قتله ".

(3) نفسه ص26.

(4) شواهد التوضيح ص27، والبيت مجهول.

(5) شواهد التوضيح ص28 والبيت مجهول.

فضل الضمير إياه في: إن كنت إياه، وهذا جائز بكنت ضمير الرفع، وهذا قليل في الشعر والمشهور اتصال الضمير.

والرأي عند ابن مالك أن الأصل اتصال الضمير أو الضميرين، فهو الأصل والثابت في أفصح الكلام، قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللـه فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ﴾[الأنفال:43]. والحديث الصحيح على لسان الخضر عليه السلام: " يا موسى إني على علم من علم اللـه علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم علمكه اللـه لا أعلمه "[1]، وما جاء في الأحاديث التي سبق ذكرها " لأكسوكها " و " أكسنيها ". وهنالك مواضع خصَّها ابن مالك بالانفصال، أوجبه في بعضها وجوَّزه في أخرى، منها :

- إذا تعلق بعامل واحد ضميران متواليان، واتفقا في الغيبة وفي التذكير أو التأنيث، وفي الإفراد أو التثنية أو الجمع ولم يكن الأول مرفوعاً نحو: فأعطاه إياه، لعدم جواز قولنا: فأعطاهوه، متصلاً؛ لما فيه من استثقال توالي المثلين مع إيهام كون الثاني توكيداً للأول.

- إن اتفقا في الإفراد والتأنيث نحو: فأعطاها إياها أو في التثنية والجمع بصيغة واحدة نحو: " أعطاهما إياهما، وأعطاهم إياهم، وأعطاهن إياهن "، فالاتصال ممتنع هنا للاستثقال واحتمال اللبس، ويجوز الاتصال والانفصال لعدم الثقل واللبس، وقد بينا ذلك في جواز الانفصال والاتصال.

- ورجَّحَ ابن مالك الانفصال على الاتصال إن اختلف الضميران وتقاربت الهاءات نحو: أعطاهوها وأعطاهاه، فالانفصال هنا حسن للتخلص من قرب الهاء من الهاء وليس بينهما فصل إلا بالواو، وهي إشباع للضمة في أعطاهوها، والألف إشباع للفتحة في أعطاهاه[2]، وهذا بخلاف أسمعهموها وأعطاهماه، فرقت الميم والألف بين الهاءين.

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم ؟ فيكل العلم إلى اللـه.

(2) ارجع إلى: شواهد التوضيح والتصحيح ص29 ، 30، وارجع إلى: شرح قصيدة كعب بن زهير، ابن هشام، ص 52، 153.

- ويرجح الاتصال إن اختلف الضميران فى الرتبة، وقدم أقربهما رتبة نحو: أعطيتكهوه وأعطيتك إياه، والاتصال أرجح لموافقته الفصيح والمشهور. وسيبويه يرى الاتصال واجباً والانفصال ممتنعاً، وخالفه ابن مالك ورجح الاتصال على الانفصال وجوّز الانفصال لثبوت العمل به في فصيح ما ثبت في صحيح الرواية، وأرجح رأي ابن مالك لثبوت الأدلة فيه، ولما فيه من توسعة في القاعدة مع ترجيح العمل بالأرجح وعدم تخطئة الوجه الثاني الذي يجوز الانفصال، ولشيوع الفصل في خطابنا المعاصر نحو: سلمتك إياه، ولدفع التشابه في نحو: أعطاهوها وأعطاهاه وأعطاهوهم، وأعطاهوك، فالانفصال حسن في قولنا: أعطاه إياها. وصعوبة النطق في: أعطيتهوك، والمتكلم يميل إلى السهل ويتخلص من الثقيل.

ويحمل الفرع على أصل بضرب من الشبه، غير العلة التي عُلق عليها الحكم في الأصل[1]. ومن ذلك حمل الإعراب في الفعل المضارع على الإعراب في الاسم، فالإعراب في الأفعال فرع يختص به المضارع فقط، فالأصل في الأفعال البناء، وهو أصل في الأسماء، وقد أعرب المضارع كالاسم لمشابهته الاسم في وجهين أولهما- دخول لام الابتداء عليه كالاسم. ثانيهما- أنه على حركة الاسم وسكونه، فيعرب بالضمة في الرفع، وينصب بالفتحة[2].

وقد يحمل الأصل على غيره فيشاكله، جاء في حديث النبيﷺ: " أَيَّتُكنَّ صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوْأب "، فكَّ (الأدبب) قياساً على الحوأب، والأصل الإدغام الأدبّ[3].

---

(1) لمع الأدلة في أصول النحو، ابن الأنباري، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية 1377هـ ص107 ، 109.

(2) الاقتراح ص291.

(3) الأشباه والنظائر جـ1 / 19، والحديث رواه أحمد فى مسنده 97/6 وذكره الألبانى فى الأحاديث الصحيحة 474، والحوأب الوادى الواسع، وقد وقع الحديث للسيدة عائشة رضى الله عنها، فقد أخرجها الناس إلى العراق، وندمت على الخروج يوم الجمل.

ومنه حَمْل الأصل على الفرع كحذف الحروف للجزم، وهي أصول حملاً على حذف الحركات له، والحركات زوائد. ومنه حَمْل الاسم على الفعل في منع الصرف، وحَمْله على الحرف في البناء، والاسم أصل، وهما فرعان.

وقد حملت " ليس وعسى " في عدم التصرف على " ما و لعل " وقد رأى بعض العلماء أنهما حرفان لعدم تصرفهما في المضارع.

وحملت " ما " على ليس، فعملت عملها عند من يعملون " ما " عمل " ليس " نحو: ما أحدٌ نائماً[1].

وحملت " متى " على " إذا "، و" إذا " على " متى "، وحملت " لو " على " إن" في الجزم بها[2] ، وسوف نبين ذلك في الحمل فى الحروف والإعراب.

الثالث - حمل نظير على نظير، ويسمى قياس المساوي أيضاً، والنظير إما في اللفظ أو في المعنى أو فيهما، أولهما - النظير في اللفظ نحو: زيادة " إن " بعد " ما " المصدرية الظرفية، والموصولة؛ لأنهما بلفظ " ما " النافية. وكف " إنْ" المخففة الزائدة " ما " عن العمل قياساً على ما بعد إن وأخواتها نحو: ما إن زيد قائم، برفع قائم، وبعض العلماء أجاز النصب لمجيئه في نادر كلام العرب و" إن" تقاس على " ما " في: إنما زيد قائم. فكفتها عن العمل.

ومنه أيضاً دخول " لام " الابتداء على " ما " النافية حملاً في اللفظ على " ما " الموصولة[3]. ومنه توكيد المضارع بـ " النون " بعد " لا " النافية حملاً لها في اللفظ على لا الناهية.

ومنه حمل " أن " المصدرية التي تنصب الفعل على " ما " المصدرية فلم تعمل أن النصب في صلتها لحملها على عدم عمل " ما "، ومن ذلك قراءة مجاهد بالرفع: ﴿**لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ [البقرة:233].

---

(1) ارجع إلى: الخصائص جـ1 / 303 – 311، والاقتراح ص230 ، 231.

(2) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك، ص19.

(3) ارجع إلى: الاقتراح ص232، وشرح ابن عقيل، دار التراث جـ1 / 303.

برفع يتم[1].

ومنه حذف فاعل " أفعل به " في التعجب، لما كان مشابهاً للفعل الأمر في اللفظ. ومنه: بناء باب " حَذَامِ " على الكسر، تشبيهاً له بـ " دَرَاكِ " و" نَزَالِ "، فحمل على ذلك قطام ورقاش.

وبناء " حاشا " الاسمية، لشبهها في اللفظ بـ " حاشا " الحرفية.

ومنه إدغام الحرف في مقاربه في المخرج أو نظيره فيه وليس من جنسه، وقد أدغم فيه لمشاركته إياه المخرج أو في صفة؛ فحمل عليه وأدغم فيه.

ثانيهما- النظير في المعنى، ويراد به حمل اللفظ على نظيره في المعنى. ومنه جواز قولنا: " غيرُ قائمٍ الزيدان " حملاً في المعنى على " ما قام الزيدان "، لأنه في معناه، ولولا ذلك لم يجز؛ لأن المبتدأ إما أن يكون ذا خبر أو ذا مرفوع يغني عن الخبر فيسد مسده، ونحو: أمضروبٌ الزيدان- الآن أو غداً " الزيدان : نائب فاعل.

ومنه: الحُدَّاث جمع على غير قياس، والأصل: المتحدثون، ولكنه حمل فى الجمع على نظيره فى المعنى سامر: سُمَّار، فإن السمار المتحدثون، فجمع على ما حمل معناه.

ثالثهما- النظير في اللفظ والمعنى معاً، ومن أمثلته حمل اسم التفضيل على " أفعل " في التعجب، فقد منعت أفعل التفضيل من أن ترفع الاسم الظاهر بعدها لشبهها بــ " أفعل " في التعجب وزناً وأصلاً إفادة للمبالغة.

وأجاز العرب تصغير " أفعل " في التعجب " لشبهه بأفعل التفضيل فحمل عليه في التصغير. يقولون: أُمَيلح، وأُحَيسن[2].

الرابع- حمل ضد على ضد ، ويسمى " قياس الأدوَن "، فقد يحمل الشيء على مقابله، وعلى مقابل مقابله وعلى مقابل مقابل مقابله.

---

(1) شرح المفصل، ابن يعيش، المكتبة التوفيقية م4 / 65.
(2) الاقتراح ص232.

فالأول- نحو: " لم يضربِ الرجلَ "، حمل الجزم على الجر، فقد تحركت الباء بالكسر لالتقاء الساكنين جوازاً.

والثاني- نحو: " اضربِ الرجلَ " حمل البناء فيه على الكسر الذي هو مقابل الجر من جهة أن الكسرَ في البناء مقابل الجر في الإعراب.

والثالث- " اضربِ الرجلَ " حمل السكون فى البناء فيه على الكسر فى الإعراب الذي هو مساوٍ للجر الذي هو مقابل الجزم، والجزم مساوٍ السكون، فالجزم فى الإعراب مقابل للسكون فى البناء، فحمل الكسر على الجر الذى هو مقابل الجزم، والجزم مقابل السكون.

وجعل سيبويه اللام وحدها للتعريف قياساً على التنوين فى التنكير، وهو نقيضه، ويقال: رضى على، والأصل: رضى عنى، فعدى الفعل بعلى؛ لأنه بمعنى سخط على، فحملت على نقيض المعنى، ومنه قول القحيف العقيلى:[1]

إذا رضيت عليَّ بنو قشير لعمر اللـه أعجبنى رضاها

يريد: إذا سخطت على.

وحمل الحروف العاملة النصب على الحروف العاملة الجزم، وحمل الجازم على الناصب كالنصب بـ " لم " حملاً على الجزم بـ " لن " وهى حرف ناصب وحملت على الجازم فإن الأولى (لم) لنفي الماضي والثانية (لن) لنفي المستقبل[2].

ومنه حمل كم فى الاستفهام على معنى حرف الاستفهام، فتبنى حملاً على الحرف، وإن كانت خبرية تبنى حملاً على " ربَّ " وكم الخبرية نقيض كم الاستفهام، وكم للتكثير وربَّ للتقليل فحمل النقيض على النقيض للمشاكلة.

ومنه حمل بناء الجمع على نقيض معناه نحو: جمع أفعل على فِعَال، وأفعل مؤنثها فعلاء، وتجمع على فُعْل وأفاعل نحو: حُمْر وأحامر، ولكن أعجف

(1) الأشباه والنظائر جـ214/1، وشرح المفصل 120/1.
(2) ارجع إلى: الاقتراح ص233.

جمعت على عجاف وزن فِعال، قال تعالى: ﴿سَبْعُ عِجَافٌ﴾[يوسف:43] والقياس: عجفاوات وجاء فى النص عجاف لتماثل سمان، وهذا حمل على نقيض معناه سِمان فى الآية، فشاكل بينهما فى البناء لتحسين اللفظ فى السمع.

الحمل على القليل، ليس من شرط المقيس عليه الكثرة، فقد يقاس على القليل لموافقته القياس ويمتنع القياس على الكثير لمخالفته له، ومثال القياس على القليل، قولهم في النسب إلى " شنوءة " (اسم قبيلة): شنئي، وليس له نظير له في الألفاظ المسموعة، وقد نطقت به العرب، ويقاس عليه إجماعاً، مع أنه لم يسمع غيره؛ لأنه لم يسمع ما يخالفه، وقد أطبقوا على النطق به[1]. ويقاس على شنوءة: رَكُوبة: رَكَبِيّ، وحَلُوبَة: حَلَبِيّ، وقَتُوبة: قَتَبِيّ، لقد أجروا فيما سبق وزن " فعولة" مجرى " فعيلة " للمشابهة بينهما من أن كل منهما ثلاثي، وأن ثالثهما حرف لين وآخرهما تاء التأنيث، وأن وزني " فعول " و " فعيل " يتواردان نحو: " أثيم " و" أثوم " و" رحيم " و" رحوم " و" مَشيّ " و" مَشُوّ " و" نهيّ عن الشيء و" نَهُوّ". فلما وقع الشبة والمشاركة بينهما في هذه الأمور جرت واو " شنوءة " مجرى ياء " حنيفة "، فالنسب إلى حنيفة يكون بحذف حرف اللين وتاء التأنيث، يقال حنفيّ، وهو القياس، وحذفت الواو وتاء التأنيث في شنوءة قياساً على ما حذف في النسب إلى " حنيفة "، وهي كلمة واحدة وعليها وقع القياس في: ركوبة، وحلوبة، وقتوبة، ولكن لا يطرد هذا القياس في مضعف العين واللام لثقله؛ لأن باب " فعيلة " المضاعف نحو " جليلة " لا يقال فيه جَلَيليّ استثقالاً، بل هو على الأصل: جليلي، ويقاس عليها خليل: خليلى.

ولا يجوز أيضاً في وزن " فعولة " المضاعف فلا يجوز في ضرورة: ضَرَري، ولا في حَرَوْرَة: حَرَرِيّ لثقله[2]. فالجائز فيهما: ضَروريّ، وَحروری،

---

(1) الاقتراح ص169.

(2) ضرورة: اسم لمصدر الاضطرار، ورجل ضرورة: ذو حاجة. وحَرْورة: وحروراء موضع من الكوفة أقام به الخوارج، ونسب إليها الخوارج: حرورى، ويقال فى الجمع حروريَّة مثل: الشعوبية والمفرد شعوبى.

وأجاز العلماء النسب لاسم الجمع الذى غلب فى جنس أو جيل من الناس أو جماعة نحو: أنصار: أنصارى، ومجوس: مجوسى، ويهود: يهودى، وشُعُوب (جماعة من العجم تتعصب للعجم وتفضلهم على العرب) : شُعُوبِى، جاز النسب للجمع لغلبته فيهم على المفرد. والحذف في غير المضاعف هو القياس، فيقال في: قريش: قرشي، وثقيف: ثقفي، وجهينة: جُهَني[1].

وقد حمل الصحيح على المعتل في قراءة أُسيد عن الأعرج: ﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ﴾[البقرة:233] بإسكان الراء، والأصل في التسكين أن يقال: لا تضارِرْ بفك التضعيف، وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء، و " تضارْ " براء ساكنة حذفت الراء الثانية المتحركة؛ لأنها أضعف تخفيفاً للتخلص من استثقال التكرير.

ولكن المحذوف في قوله تعالى: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[طه:97] هو الحرف الثاني والأصل ظلل، وذلك أنهم شبهوا المضعف بالمعتل العين، فحملوا ظلت على لست، والأصل: ليس، فحذفت الياء لسكون السين بعدها عند اتصالها بالتاء المتحركة وقيس على ذلك: مَست في مسستُ، وأحست في أحسست. وقال أبو زُبيد[2]:

خلا أن العِتاق من المطايا أَحْسَنَ به فُهُنَّ إليه شُوسُ

والأصل: " أحسسنا به " فحذفت السين الأولى قياساً على الأجوف، فحذف الحرف تشبيهاً بحروف اللين، وحروف اللين تصح بعد الألف في مثل: عاودَ، طاول، بايَع، سايَر، ولكن الراء الأولى لم تحذف في تضارْ؛ لأنها لو حذفت بقيت الراء المتحركة على الأصل، والحرف الأخير في الحذف يبقى على حركته نحو: لا توالِ ظالماً، وهذا يؤكد أن الراء الثانية المحذوفة وبقيت الساكنة[3].

---

(1) ارجع إلى: الاقتراح للسيوطى ص223 – 225، والخصائص جـ1 / 115.

(2) المحتسب جـ1/ 123 والشوس: جمع أشوس وشوساء: النظر بمؤخرة العين تكبراً وتغيظاً، وهو من قصيدة وصف فيها الأسد.

(3) المحتسب جـ 1 / 123.

والحركة تبقى على الأصل؛ لتكون دليلاً على المحذوف نحو: ادعُ، الأصل ادعُو فالضمة دليل على الواو، ومثلها: اسمُ من سمو، واقضِ، الكسرة دليل على الياء فى قضى، ومثلها امضِ، واهدِ.

وقد يكون التنوين بالكسر دليلاً على الياء نحو: قاضٍ، ماضٍ. وتبقى فى ترخيم المعتل نحو: يا حارِ، ويا سارِ وبقيت فى الصحيح حملاً على المعتل فى نحو: يا قاصِ (من قاصّ وزن فاعِل)، ويا صاحِ (يا صاحِبِى). والكسرة فيه حركة العين فى بناء فاعل، وليست عوضاً عن المحذوف، وبقيت الفتحة دليلاً على المحذوف قبل واو الجماعة نحو: سَعَوا، غَوَوا. وبقيت الواو في العواوِر، ومنها قول الشاعر (جندل بن المثنى)[1]:

غركِ أن تقاربت أباعري

حنى عظامى وأراه ثاغري

وكحل العينين بالعواور

صحت الواو الثانية وتحركت بالكسر بعد الألف، لتكون دليلاً على الياء التي حذفت لإقامة حرف الروى، والظاهر أنها تقلب كما قلبت في أوائل، والأصل: وواول مفردها أَوَّل ضد الآخر، والأصل: أوْأل أو وَوْأل، فقلبت الواو الأولى همزة. والحقيقة أنها ليست منها، فالأصل العواوير وحذفت الياء تخفيفاً، وجعل تصحيح الواو في العواور، دليلاً على إرادة الياء في عواوير فعدل عن الأصل إلى الفرع للدلالة على المحذوف، والحذف للتخفيف جائز فيما لا لبس فيه، ومن ذلك قول الشاعر[2]:

ارهن بنيك عنهمُ أرهن بنيْ

---

(1) الكتاب لسيبويه جـ1 / 370، والخصائص جـ195/1، وجـ164/3، 326. والمحتسب جـ1 / 108 واللسان: رهن. وثاغر: من خفرته أى: كسر ثغره، وهو في الأصل المبسم، ثم أطلق على الثنايا أراه من راه الشيء رواهاً اضطرب، والعواور جمع عوار، وهو جمع العين وفسر بالرمد، وبالوخذ يجده الإنسان في عينه، والمخاطب في البيت امرأة.

(2) المحتسب جـ1 / 108.

بتسكين ياء بني الثانية، فحذف الياء لتخفيف القافية، وهـذا جـائز في الشـعر، ومـن ذلـك قـول الفرزدق[1] :

تنظرتُ نصراً والسِّماكين أيْهُما   علَىّمن الغيث استهَلَّت مواطرُهُ

خفف الياء في أيْهُما، والأصل التضعيف، ولكنه حذف الياء الثانية لإقامة الوزن.

ووقع في بعض قول العرب نحو: الطجع، والأكثر والأقيس أن يقـول اضـطجع وزن افتعـل، قلبـت التاء طاء لمجاورتها الضاد المفخمة، وهذا قياس فيما كانت فاؤه من أصـوات التفخـيم (ص ، ض ، ط ، ظ).

وقولهم: " الطجع " قلبت الضاد لاماً، فانتفى بذلك سبب القلب، فحق التـاء في افتعـل أن تعـود تاء على الأصل، فيقال : التجع؛ لأن اللام لا تستوجب قلب التاء طاء، قياساً على التجم، والتحم، والتـأم، والتجأ[2].

ولكن من قال الطجع أبقى على القلب تنبيهاً على الأصل الذي عدلوا عنه، وهو اضطجع، فـأبقوا الطاء على أصلها من البدل، ليعلم أصل البناء، ومن ثم ترك الضاد؛ لتكون دليلاً على قلب الضـاد لامـاً؛ فالأصل: اضطجع وزن افتعل من الضجعة. وقولهم: العوَاوِر، صحت الواو الثانية وقبلهـا ألـف، وحقهـا في القياس أن تكون العوائر، مثـل: الفضـائل، والعمائـر، والقبائـل، وأوائـل والأصـل أواول، والعـواور لا تحمل على ذلك فى القياس؛ لأنها ليست من هذا البناء فأصلها العواوير، فحذفت الياء تخفيفاً فصحت الواو بالكسر؛ لتكون دليلاً علـى الأصل، فدلت على المحذوف بمخالفة القياس تنبيهاً على الأصل.

الحمل على مالـه نظـير : احتملـت بعـض الألفـاظ وجوهـاً مـن التصريـف، فـرجح فيهـا مالـه نظـير، ومـن ذلـك: مَـرْوَان: يحتمـل أن يكـون وزن فعـلان؛ فتكـون

---

(1) ديوان الفرزدق ص246 السماكان: كوكبان نيران يقال لأحدهما الِّسماك الرامح، لأن أمامه كوكباً صـغيراً، يقـال لـه راية إسماك ورمحه، ولآخر السماك الأعزل؛ لأن ليس أمامه شئ.

(2) المحتسب جـ1 / 124.

الألف والنون زائدتين، ويحتمل أن يكون وزنه مفعالاً؛ فتكون الميم والألف زائدتين، ويحتمل أن يكون وزنه فَعْوالاً، فتكون الواو والألف زائدتين، وقد رجح العلماء الوزن الأول فعلان؛ لأن لـه نظـيراً فحمـل عليه، وليس للآخرين نظير فتركا[1].

وتزاد الميم في آخر الكلمة نحو: حُلْقوم وزن فُعْلـوم، لأنـه مـن الحلـق، وبُلْعُـوم، لأنـه مـن البلـع، وسَرْطَم: فَعْلَم؛ لأنه من الاستراط، ورأس صُلادِم: فُعالِم؛ لأنه من الصَّلْد، وأسد ضُبَارم: فُعالِم؛ لأنـه مـن الضَّبْر، والتضبير، وقد زيدت الواو فـي الـلـهم، وقد قيل إنها زيدت عوضاً عن ياء النداء، وقد روى ما يخالف ذلك.

ومنه قول الشاعر[2]:

إني إذا ما حَدَثٌ ألَمَّا   أقول : يا الـلـهمَّ يا الـلـهمَّا

وقيل فيه: زيدت للضرورة الشعرية، وقيل أصلها: يا الـلـه أمَّ، أى: أقصد، فسقطت الهمزة لكثرة الاستعمال واتصلت الميم بلفظ الجلالة.

وزيدت الميم للمبالغة في زرقم لشديد الزرقة، وشَدْقَم: عظـيم الشـدق، وشَـجْعَم، ومنـه قـولهم: الشجاع الشجعم؛ لتوكيد الشجاعة، وحُلْكم: من الحلكـة، شـدة السـواد. ودِرْدِم: مـن الأدرد (لا أسـنان له). ودِلْقِم: من الدلق. وفُسْحُم من الفسحة، وامرأة خَـدْلم: للخدلـة، وصَـلْقم: مـن الصـلق (الصراخ)، وهذا من النادر. وأنتما، وأنتم، وقمتما، وضربتكما، وضربتكموا، وبهـما وبهـم المـيم فيهـا زائـدة، وقـد زيدت الألف بعد الميم فى المثنى لإخلاص التثنية، وزيدت الميم للدلالة على الجمع[3].

(1) والأشباه والنظائر جـ1 / 196.

(2) الرجز لأبي خراش الهذلى فى الدرر41/3، والمقاصد النحويـة 216/4. ونسـب لأميـة بـن أبي الصـلت، خزانـة الأدب 295/2، وأوضح المسالك 31/4، والمقتضب 242/4، سر صناعة الإعراب جـ1، ص426، 432، والمحتسب م238/2.

(3) التصريف الملوكى ص57 : 59. وسر صناعة الإعراب (التوفيقية) جـ2 / 49.

وقد بحث العلماء زيادة الميم في ابنم، فزادوا فيه الميم كما زادوها في الفم، والأصل فاه وفوه وفيه، من فوه قال تعالى: ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم**﴾ [آل عمران: 167] ولم يرد فيه: بأفمامهم، وقد زيدت الميم في المفرد وزيدت في المثنى، ومن ذلك قول الشاعر:

منا ضرار وابنماه وحاجِب

وجاء في الجمع ، قال الشاعر[1]:

أتظلم جارتيك عقال بكر وقد أوتيت مالاً وابنمينا

الشاهد: ابنمينا، جمع ابنم جمع بنين. ويرى بعض العلماء أن الميم تحولت إلى نون في حرف الإعراب في العربية الشمالية، وأصبح في العربية الجنونية التمييم (ميم آخر الكلمة) في مقابل تنوين في العربية الشمالية.

وقد خَرَّج عليه بعض العلماء بعض ما في الشعر، ومنه قول المتلمس[2]:

وهل أمّ غيرها إن هجوتها أبي اللـه إلا أن أكون لها ابنما

والميم فيه من أثر التنوين الذي تطور إلى ميم خالصة ثم جرى عليه الإعراب مثلما جرى على الحرف الذي يسبقه النون " ابْنَما "[3].

و" فم " الميم ليست أصلاً فيه، وقد اشتهر لفظ " الفم " فعدت الميم من لفظه فثنوا بها وجمعوا، قال الفرزدق[4]:

هُما نَفَثا فِى فِيّ من فَمَوَيْهما على النَّابحِ العَاوِى أَشدُّ رِجَامِي

جاءت الواو بعد الميم في فمويها وجاءت ياء المثنى بعدها، وأصلها: فوه، وهذا هو المشهور فيها، وقد حذفت الهاء لشبهها بحرف العلة، لخفائها وقربها

---

(1) الجمهرة جـ3 / 185 ، 486، واللـهجات العربية في التراث جـ1 / 148.

وقال الفرزدق :

هماً نفثا في فيّ من فَمَويهِمَا على النابح العاوى أشدَّ رِجَامى

(2) ديوان المتلمس ص30.

(3) المدخل إلى علم اللغة ص247.

(4) الديوان ص 541، وفيه: تفلا، سر صناعة الإعراب (ط التوفيقية) جـ2 / 51، والمحتسب م238/2.

في المخرج من الألف، فحذفت كحذف حرف العلة، وبقيت الواو وهي عين الكلمة وعين حرف الإعراب.

والقياس أن تقلب الواو في " فو" ألفاً لتحركها بحركات الإعراب وانفتاح ما قبلها، ويدخل التنوين عليها كما دخل على نظيريها عصاً ورحىً، وهذا يستوجب حذف الألف لالتقاء الساكنين فيبقى المعرب على حرف واحد، فيمتنع ذلك لئلا يشبه الحرف، فأبدلت الواو في " فو " ميماً ولم تحذف، واختاروا الميم؛ لأن الميم حرف جلد يتحمل الحركات من غير استثقال، وهما من الشفتين[1]. وصوت الميم يضارع الواو في امتداد الهواء، وأرى أن الواو في " فو " قلبت ميماً، لأنها من مخرج الواو، وقد وقع القلب نتيجة غلق الشفتين في نطق الواو التي تستدير فيها الشفتان، فتنطق الواو ميماً فى آخر الكلمة ويقع هذا في نظيرها في مثل نطق العوام: واو الجماعة التي يسبقها حرف شفوي نحو: الأولاد شربم، والأصل شربوا، فقد تأثرت الواو بغلق الشفتين في الباء فصارت ميماً، وهو تأثر عضوي، وارجح أنها صارت ميماً فى الوقف لا الوصل ثم لزمت الميم وقفاً ووصلاً .

وقد يؤتى بالميم زائدة تأثراً بصوت يشاركها في الصفة، فالميم والنون تغنان، وتقع الغنة فيهما في تجويف الأنف، فظهرت ميم خفيفة بعد النون فقيل "ابنم "، ووقع ذلك في بعض لهجات العرب وعرفت بالتمييم، وقد عدت الميم لشهرتها في فم أصلاً فثبتت في التثنية والجمع، فقالوا فمان، وقالوا: فموان، والجمع: فمون وفمين، وهذا توجيه الصرفيين لظاهرة زيادة الميم في فم.

وقد فسر علماء الأصوات زيادة الميم في فم تفسيراً آخر له أثر في اللغات التي تدخل في الفرع الذي تدخل فيه العربية، أنه تطور صوتي على الترجيح لصوت التنوين في آخر الكلمة المعربة، وقد قيل إنها ظاهرة صوتية عرفت بالتمييم في بعض اللغات السامية القديمة ويكون ميماً في آخر الكلمة ويقابله

---

(1) سر صناعة الإعراب جـ1 / 113، والأشباه والنظائر جـ1 / 197، وهمع الهوامع م142/1، 143.

التنوين في العربية يقال في الأكادية **Kalbum**، وهو كلبٌ في العربية. وهناك علاقة صوتية بين الميم والنون فهما أنفيان فيهما غنة من الأنف ومجهوران فوقع بينهما إبدال، ومن ثم وقعا في فواصل الآيات، قال تعالى: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ* وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:1 – 4].

ووقعتا في روي بعض الشعر، قال الراجز(1):

والـلـه ما فَضْلى على الجيران

إلا علـى الأخوال والأعمام

وقد يبنى القياس في الخطاب على النادر، وقد توسع الخطاب المعاصر فى بعضه ومنه النسب بزيادة الألف والنون فى المنسوب إليه، نحو: علماني، روحاني، نفساني، فكهاني، قياساً على رباني، وهو من النادر قال تعالى: ﴿**وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ**﴾[آل عمران:79] وليس في القرآن غيرها، ومفرد ربانيين رباني: العالم الفقيه، وهو مشتق من رب، واستخدم في العارف بعلوم الدين والمقيم على العبادة(2).

وقد توسع الخطاب المعاصر فيها، وصارت نسباً شائعاً فيه، وصار بدلاً من النسب إلى المفرد: نفسي، روحي، علمي (أو عالمي).

وقيس على الشاذ، نحو بناء تمفعل(3)، الميم فيه زائدة، وقد سيق هذا البناء للدلالة على الادعاء نحو: تمسكن من المسكنة، وتمسلم الرجل: ادعى الإسلام وليس بمسلم حقيقة أو أنه دخل فيه، ومنه تمذهب، أي: اعتنق مذهباً، وتمنطق

(1) القلب والإبدال، ابن السكيت ص17، وارجع إلى المدخل إلى علم اللغة، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ص 227 ، 228، وقد وقع التبادل بين الميم والنون في: البنان: البنام، وطان: طام.

(2) السيرة النبوية، مكتبة التراث جـ1 / 182 وتفسير القرطبي (ط التوفيقية) جـ4 / 108، وارجع إلى البناء الصرفي في الخطاب المعاصر، الدكتور محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو ص113.

(3) سر صناعة الإعراب ص433.

اشتغل بالمنطق، وتمولى: صار ولياً. وتمندل: صار دجالاً من المندل. وقد يدل على الارتداء نحو: تمذهب من الذهب أي ارتدى الذهب، وتمدرع لبس الدرع، وتمندل ارتدى منديلاً، وقد توسع الخطاب المعاصر في ذلك. والجمع " أمهات " قرآني جمع " أم " قال تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ﴾ [النساء:23] وذلك في المحارم. ولم يجمع أم في القرآن الكريم على غير أمهات. وقد ورد إحدى عشرة مرة، والاتفاق على الجمع وعدم الشذوذ عنه يوجب الأخذ به، والنص القرآني مقدم على كلام العرب؛ لأنه أفصح وأصح في الرواية، وقد بينا من قبل أن الجمع " أمّات " نادر ولم يتوسع فيه العرب فى جمع أم.

والقياس في جمع المؤنث السالم أن تزاد الألف والتاء على لفظ المفرد قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم:5][1].

والقياس في جمع أمّ: أمّات، وقد صح في كلام بعض العرب، وهو في حكم نادر قولهم، لكنه وافق القياس، وليس بمنصوص عليه في القرآن الكريم.

وقد قيل إن أمهات فى الأصل لغير العاقل، ومفردها أمهة، قال الشاعر[2]:

قوالِ معروفٍ وفعَّالهِ　　　　عَقَّار مثنى أمهات الرباع

وهذا غير مطرد فى غير العاقل لصحة مجىء أمهة فى العاقل.

وقد صح عن العرب قولهم أمهة فى العاقل وغير العاقل، قال الشاعر[3]:

---

(1) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللـه كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[الأحزاب:35] وقد جمعت الآية بين جمع المذكر السالم وجمع المؤنث.

(2) سر صناعة الإعراب جـ119/2، وشرح اختيارات المفضل ص 1363، والقائل السفاح بن بكير اليربوعى.

(3) المخصص171/13، نسب لقصى بن كلاب فى خزانة الأدب 565/4، وأمالى القالى301/2، وهمع الهوامع م86/1، سر صناعة الإعراب جـ2/ 118 والبيت منسوب إلى قصى بن كلاب، كما ذكره ابن منظور فى اللسان: أمم م10/ 226، وذكره العينى فى المقاصد النحوية جـ4 /565، وشواهد الشافية ص 301، ولم ينسبه ابن جنى فى المحتسب م 1 / 224.

أُمَّهتي خِنْدِف وإلياس أبي

أي: أمي، يريد القبيلة، وجمع أمهة أمهات وزن فُعْلات، قال الشاعر[1]:

إذ الأمهات قُبَحْن الوجوهَ فَرَجْتَ الظلام بأُمَّاتِكا

وقد ذهب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد إلى أن الهاء زائدة، وأن الأصل الأم، فالمصدر منها الأمومة، ومنها قولهم: " أمٌّ بَيِّنَة الأمومة " فالهمزة فاء الفعل، والميم الأولى عين الفعل، والميم الآخرة لام الفعل. قال جرير[2]:

لقد ولد الأُخَيْطَلَ أمٌّ سَوْء مُقَلَّدةٌ من الأمَّاتِ عارا

فأم بمنزلة " دُرّ " و " حُبّ " و " جُلّ " وزن فُعْل فعينه ولامه من جنس حرف واحد فأدغما لسكون الأول.

ورأى بعض العلماء أن " أمهة " بمنزلة تُرَهَّة، وأُبَّهة، وعُلَّفة، وقُبَّرة، ومن قول الخليل: تأمَّهْتُ أمَّاً. فتأمَّهْت بمنزلة تفوَّهت، وتنبَّهت، ولكن المبرد قوّى أنها من الأمومة، فالهاء زائدة وزن أمهة فُعْلَهَة، واحتج بقول الشاعر الذي جمع بينهما[3]:

إذ الأمهات قَبَحْن الوجوه فَرَجْتَ الظلامَ بأمَّاتكا

وهذا يرجح أن الأصل أمّ، وأن الهاء زائدة، وقد غلبت في الجمع؛ لتخفيف النطق بالمضعف قبلها فزيدت لمجيء الألف بعدها، فأمّهات أيسر نطقاً من أمّات والله أعلم، وقد غلبت أمهات في الجمع " أمات "، فشاع العمل به.

وهنالك رأى يرى أن العرب جعلوا أمهة لغير العاقل وجمعها أمهات، وأم وجمعها أمَّات للعاقل، فسقط الجمع أُمَّات، ووقع أمهات بديلاً له لخفته، وقد تقدم حدوث ذلك، وهو رأى أستاذى غريب عبدالمجيد نافع وأميل إليه.

---

(1) نسب لمروان بن الحكم القرشى، شرح الشافية جـ383/2، سر صناعة الإعراب جـ119/2، والبيت منسوب إلى مروان بن الحكم، شرح المفصل جـ3/10، واللسان: أمم م 1 /226 (ط دار الحديث).

(2) ديوان جرير ص 283.

(3) سر صناعة الإعراب، جـ119/2. وهمع الهوامع م87/1.

ولم يأت المفرد أمهة في القرآن الكريم بل " أمّ " في العاقل وغير العاقل، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[القصص:7] وفي غير العاقل قال تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[آل عمران:7] و﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ [الأنعام:92، الشورى:7] وقد تكرر لفظ أم مفرداً تسع مرات.

النادر القليل الذى يقابله المشهور، وقيل النادر أقل من القليل، والمشهور فيه أن النادر ما قل وجوده وإن لم يكن بخلاف القياس، والرواد من القدماء سمّوا ما خالف القياس شاذاً؛ لأنه خالف المشهور، بيد أن النادر ما قل وجوده وصح عن العرب الفصحاء ولم يخالف المشهور، وقد وضع أبو عمرو بن العلاء مبدأ الحمل على الأكثر وترك القليل أو ما خالف الكثير وسماه لغات، ولغات فى اصطلاحه يراد بها الذَّم، لخروجها عن المشهور[1].

وأجاز العلماء القياس على بعض القليل لموافقته القياس، وقد اشترطوا فى المقيس عليه ألا يخرج عن سنن المشهور، فلا يقاس على تصحيح الواو فى استحوذ واستصوب واستنوق، فالقياس أن يقلب المعتل ألفاً مثل: استقال، واستنار، واستعار.

ولا يقيسون على الشاذ في السماع، فقد شذّ وَذَر ووَدَع فى لم يُذَر، ولم يُدَع؛ لأنهما لم يسمعا في القديم والأعرف لم يُوذَرْ، ولم يُودَعْ، وهو القياس، وقد استغنى العرب عن وذر، وودع بفعل له معناهما وهو ترك، واستعملوا نظيرهما وزن وعد لشهرتهما، قالوا فيهما: يَزن، ويَعد، ومثلهما: يهب ويضع ويئل سقطت الواو فى المضارع، والقياس أن لا تحذف.

وقد يقاس على القليل لموافقته القياس مثل النسب إلى شنوءة : شنِئي، ويقاس عليه النسب إلى ركوبة: رَكَبِيّ، وحلوبة: حَلَبِيّ.

وقد حذفت واو شنوءة قياساً على حذف ياء حنيفة في النسب: حنفي، فاطرد القياس بين فعولة وفعيلة، ولكن لا يطرد القياس فيما يستثقل مثل حرورة: حروري، ولا يقال حرري قياساً على حنفي وشنئي، ويقال جليلي ولا يقال جللي

(1) الخصائص جـ 97/1 ومابعدها، والاقتراح ص 223.

في جليلة، وهذا عام في مكرر العين واللام[1]، وقد بينا ذلك في الحمل على النادر.

وقواعد العربية القياسية تحتمل المخالفة لخروج النادر على المشهور الذي وضعت عليه قواعد اللغة، والقليل النادر فيما صح عن الفصحاء وثبت العمل به حجة تجوّز وجوهاً من القول غير المشهور الشائع؛ فليس في العربية إجماع يطرد العمل به لاحتمال كلام العرب وجوهاً أخرى تلزم العمل بها بيد أن العلماء غَلَّبوا المشهور على النادر تيسيراً على متعلمي اللغة الذين يستخدمون القياس ويعدونه أساساً يعرضون عليه كلامهم فيقيمونه عليه .

ومن ثم فإننا سوف نذكر بعض قواعد العربية والمشهور الذي عمل به النحاة، ثم نذكر بعضاً من الوجوه التي صحت في النصوص الصحيحة، وخالفت المشهور الذي جعله علماء العربية قياساً، ولا سبيل لرد المخالف؛ لصحته في العربية، وقد قامت له شواهد تدعمه من القراءات القرآنية الصحيحة والأحاديث الصحيحة، ولا نريد بذلك هدم القياس الذي وضع على المشهور بل نزيد عليه بعض الوجوه التي نحتاج إليها في تخريج بعض النصوص التي خالفت ما جعله اللغويون قياساً، ولا سبيل إلى فهمها وتوجيها إلاّ بقبول ما يخالف المشهور، والحاجة توجب الأخذ به في بعض النصوص العربية التي خالفت القياس العام، وسنبين ذلك من خلال بعض الوجوه النادرة (التى تخالف المشهور) ومن ذلك:

- **حكم أبنية الجموع:** الجموع نوعان: جمع سالم وجمع تكسير، والجمع السالم ما سلم لفظ مفرده في الجمع من التكسير (مذكراً أو مؤنثاً)، قال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ**

---

(1) الاقتراح ص225، وَدَعَ مخففة بمعنى ترك، والكلام الأكثر أن العرب تقول: تركت زيداً في معنى ودعته، وجاء في الحديث " يا عائشة إن شر الناس منزلة يوم القيامة من ودعه الناس – أو تركه الناس – اتقاء فحشه " رواه أبو داود والترمذى والبخارى فى الأدب المفرد وسلسلة الأحاديث الصحيحة عن عائشة. وارجع إلى إعراب ثلاثين سورة لابن خالوية ص117 (ط دار المنار).

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:35].

وجمع التكسير ما تغير لفظ مفرده في الجمع، وأبنية جموع التكسير كثيرة، وقد بلغت أربعين بناء أو تزيد على اختلاف بين العلماء وفيها شذوذات كثيرة خارجة عن الأصول[1]، وقد يكون للمفرد الواحد ثلاثة جموع نحو: ساجد: ساجدون، وسُجَّد، وسُجُود، وكافر: كافرون، كفرة، كفَّار، وراكب: راكبون، ركبان، وركاب، وقد وردت هذه الأبنية وغيرها في فصيح العربية.

وترجع هذه الكثرة في الجموع إلى اختلاف اللهجات وتعدد المعاني، ودلالتها على القلة أو الكثرة، وقد اجتهد علماء العربية من خلال مصادرها أن يضعوا تصوراً يفسرون به أسباب اختلاف الجموع، فبعضهم ذهب إلى أنها اختلفت بسبب اختلاف اللهجات، فجمع بعضهم قوس: أقواس، وزوج: أزواج، ونور: أنوار، وأفعل على تقديرهم جمع قلة، وبعضهم قال: في زوج: زِوَجَة، وثور: ثِوَرة، وبعضهم قال: ثِيَرَة وزن فعلة[2]. وجمعت تميم حمار على فُعُل: حُمُر، وخِمار: خُمُر، وقال بعضهم: غُرُفَات في غرفة، وقال آخرون: غُرَف.

وقد تتعدد الوجوه ويعجز الباحث عن تفسيرها ولا سبيل غير التسليم بتعدد اللهجات على ما رأته العرب[3].

وقد اجتهد المفسرون في توجيه دلالات بعض الجموع في القرآن الكريم وسبب اختلافها في جمع لفظ واحد، فقد اختصوا جمع حُمُر بالحمر الوحشية والحمير بالحمر الأهلية.

---

(1) ارجع إلى: شرح ملحة الإعراب ص 124.

(2) الكتاب : سيبويه 2 / 185 .

(3) ارجع إلى : دراسات في اللغة ، للدكتور السامرائي ص91 .

والتفسير الأول من قوله تعالى: (**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ**) [المدثر:50، 51] والثاني فسر من قوله: (**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**)[لقمان:19]، واختصوا الموتى لمن أصابهم الموت حقيقة قال تعالى: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ**)[البقرة:260] وقال تعالى: (**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى**)[القيامة:40]، واختصوا " الأموات " لمن ماتوا حقيقة والموت المعنوي قال تعالى: (**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللـه وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)[البقرة:28] وقال تعالى: (**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللـه لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**)[النحل:20 ، 21].

واختصوا الميتين لمن لم يمت قال تعالى: (**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ**) [المؤمنون:15] وقوله تعالى: (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**)[الزمر:30].

وهذا التصنيف للجموع قائم على الإحصاء، وليس بمطرد في كل الجموع.

وقد يعدل عن الجمع إلى غيره للمزاوجة نحو قولهم: "آتيك بالغدايا والعشايا"، والغداة لا تجمع على الغدايا بل على الغدوّ، وقد عدل عن لفظ الجمع وجاء حملاً على جمع العشايا ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا، ولكن العدول عن الأصل إلى الحمل على لفظ آخر ليس بمطرد في كل الأبنية.

وقد يكون الاختلاف للتفريق بين المعاني فاختص كل جمع لمعنى، ومن ذلك الربيع يجمع على أرْبِعة للدلالة على ربيع الكلأ، ويجمع على أربعاء للدلالة على ربيع الجدول، ويجمع " خال " الرجل على أخوال، ويجمع خال الجسد على خِيلان[1]، ويجمع الخف على خِفاف، ويجمع خف البعير على أخفاف. ويجمع راكب على ركبان لمن ركبوا الإبل، والركّاب يكون لراكبي الخيل والسفينة

(1) ارجع إلى: معاني الابنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط جامعة بغداد، ص 134.

وغيرها. والكعب يجمع على كعوب وتكون للرماح، والكعاب للإنسان وغيره. وأسير تجمع على الأسارى وهم الذين في وثاق، والأسرى وهم الذين في اليد.

وكافر تجمع على كفار، وهم أعداء الإيمان، والكفرة لمنكري النعم غالباً.

والعباد في الدين والعبيد لمن في ملك غيرهم[1]، وذهب بعض العلماء إلى أن الإخوة – بناء قلة – بمعنى إخوة النسب، قال تعالى: (**وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**)[يوسف:58] ورأوا أن الإخوان في الدين والصداقة، وقد جاء " إخوه " في قال تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللـه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**)[الحجرات:10] وهي إخوه في الدين وليست من النسب ، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن إخوة النسب (إخوة) وقعت موقع غير النسب (إخوان) لتأكيد المؤاخاة بين المؤمنين، وإنها في درجة النسب فالمؤمنون كأبناء الأب الواحد، وهذا من باب قول الشاعر[2]:

أبي الإسلام لا أب لي سواه　　　　إذا افتخروا بقيس أو تميم

وقد جاء لفظ إخوان في النسب وغيره قال تعالى: ﴿**وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء**﴾[النور:31] وقال تعالى: ﴿**لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللـه إِنَّ اللـه كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا**﴾[الأحزاب:55] وجاء بمعنى القوم في قوله تعالى: ﴿**وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ**﴾[ق:13] وهم الذين بعث فيهم، وقد فسر ذلك على إرادة

---

(1) ارجع إلى: معاني الأبينة ص134 ، 135.

(2) التفسير الكبير، الفخر الرازي جـ28 / 129. ومعاني الأبنية في العربية ص130.

الكثرة فلا حرج من دخول أبناء الإخوة وإن كثروا على عمتهم. والذين بعث فيهم لوط عليه السلام كثير، والله أعلم، وهذا التوجيه لمعاني الأبنية قائم على الأدلة، وقد يشكر عن هذا المعنى بعضها، بيد أن الشواذ قليلة قياساً على المشهور.

وذهب بعض العلماء إلى أن الجموع تتعدد للدلالة على القلة والكثرة، وهذا لا يعني عموم الحكم بذلك، فقد استخدمت بعض جموع القلة – في اصطلاح العلماء – في مواضع ما سموه جموع الكثرة، والمرجح أن هذه الجموع صنفت على المشهور وما وجدت فيه، فلا تلزم هذا التصنيف في كل الاستعمالات، فالعرب كانوا يتكلمون على سجيتهم في ضوء عرف اللغة العام، ويميلون في خطابهم نحو التيسير، والمتأخرون يقيسون كلامهم على كلام سابقيهم، وبعض جموع القلة وقعت موضع جموع الكثرة والعكس. والأبنية التي تدل على جموع القلة ستة:

1) أفْعُل : أشهر.
2) أفْعَال : أشياخ.
3) فَعَلَةَ : أكلة.
4) أفعِلَة : أغربة، أغلمة. وزاد بعضهم أفْعِلاء نحو: أصدقاء. ولكن جمهور العلماء على الأربعة.
5) جمع المذكر السالم : محمدون، زيدون، معلمون.
6) جمع المؤنث السالم : زينبات. هندات، معلمات. فالجمع السالم بنوعيه يفيد القلة وجمع التكسير يفيد الكثرة.

وحدد العلماء العدد الذي تدل عليه هذه الأبينة، فالعدد من ثلاثة إلى عشرة في التذكير والتأنيث يضاف إلى أحد أبنية هذه الجموع الستة التي عرفت بأبنية جموع القلة، وجموع الكثرة مادون ذلك وهي كثيرة، وقد أحصيتها في بعض الكتب، فبلغت الأربعين أو تزيد، والعلماء على خلاف فيها؛ لكثرتها.

وقد جعلت أبنية القلة لما دون العشرة على المشهور، فإن زاد العدد أضيف إلى بناء من أبنية الكثرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللـه إِنَّ اللـه عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[لقمان:27] أبحر وزن أفعل، فإن زادوا عن عشرة دلّ عليها بناء الكثرة قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[الانفطار:3] و﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:6] فالبحار فوق عشرة، وقد دل عليها بناء الكثرة " فعال "، وهى تتفجر جميعها وتسجر يوم القيامة. وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[الكهف:13]، وقال: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[الكهف:10] وكان أصحاب الكهف دون العشرة - وهم على الراجح سبعة، واللـه أعلم بعدتهم[1]، فجاء لفظ الفتية على بناء القلة فِعْلة، وفهم العلماء من لفظ بناء فتيان أنه فوق العشرة: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[يوسف:62] فعمال العزيز كثير. وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾[البقرة:197] فأشهر الحج ثلاثة. فجاء بناء أفعل للقلة، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[التوبة:5] وهى أربعة، وقال تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[التوبة:2][2] ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[البقرة:234] أي

(1) والواو لا تعنى العدد ثمانية بل تعنى المخالفة، فالمعدود من نوع واحد تترك فيه الواو، وتوضع قبل المخالف، وواو الثمانية لا دليل قاطع عليها. قال تعالى: (سيقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فذهب العلماء أنهم سبعة، لمجيء قوله: (قل اللـه أعلم بعدتهم).

(2) وقال تعالى فيما زاد عن عشرة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللـه اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللـه يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللـه مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:36] فاستعمل الشهور لما زاد عن العشرة. الأيام والليالى والشهور للفراء ص53، 54. ومعانى الأبنية فى العربية ص 137.

العدة. وقال تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[الطلاق:4] و﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾[آل عمران:124] فإن زادوا عن عشرة أضيف إلى العدد بناء الكثرة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة:243] أى زادوا عن العشرة فوزن فعول للكثرة. وقد جاء الجمع فى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾ [آل عمران:41]. أيام وزن أفعال وهو من جموع القلة.

وجاء مثل ذلك فى جمع المؤنث قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف:43]. بقرات وسنبلات جمعان سالمان، وقد حمل بناء عجاف على سِمان، وهو حمل نقيض على نقيض، وفِعَال بناء كثرة، وقد أضيف إلى بقرات (فى سبع بقرات سمان) للتهويل، ثم حمل عليه الثانى (عجاف) للمشاكلة فى اللفظ.

وقد وافق هذا المشهور، فجمع المؤنث السالم من جموع القلة، وقد خالف هذا القياس الجمع سنابل فى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَالله يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:261]، وقد فسر العلماء مجىء " سنابل " فى الآية للدلالة على التكثير والمضاعفة، وقد جاءت على القياس فى (وسبع سنبلات)؛ لأنها أُوّلت على العدد القليل ولا تقتضى التكثير.

وجاء جمع الجمع فى موضع القلة قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[مريم:10] ليال وزن فعالٍ. وقال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى

كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[الحاقة:7] جاء سبع مضافاً إليه فعالٍ، وأفعال أضيف إلى ثمانية، والأول جمع كثرة والثانى جمع قلة، لشدة الفزع بالليل، فجاء على بناء الكثرة للتهويل، والله أعلم. وقال تعالى: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** [هود:13] أضاف عشرة إلى سور.

وقوله تعالى: **﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** [القصص:27] أضاف ثمانى إلى حجج مع إمكان الجمع بالألف والتاء.

وقد صح فى الحديث ما يوافق القياس وما يخالفه، فقد وقعت بعض أبنية الكثرة موضع أبنية القلة، ومن ذلك قول النبىﷺ: " لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، ما تقول ذلك يبقى من درنه "[1]، " مرة " تجمع على مرار ومرات، والأخيرة جمع قلة. ومرّة تجمع على مرار ومرات، وقد جاء " مرار " فى قول حمران فى وصف وضوء عثمان رضي الله عنه: " فأفرغ على كفيه ثلاث مرار "[2]، وبناء فعال ليس من أبنية القلة. وقالت أم عطية رضى الله عنها: " جعلن رأس بنت رسول اللهﷺ ثلاثة قرون "[3]، قرون تميز مجرور، على بناء فعول، وليس من أبنية القلة التى أحصاها العلماء فى أربعة أبنية.

ويتبين من ذلك أن هذه القاعدة التى فرقت بين القلة والكثرة ليست عامة، ولكنها وقعت فى المشهور، ولا يطرد العمل بها فى كل ماصح عن العرب بيد

---

(1) رواه البخارى، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، والترمذى رقم 2868، والنسائى رقم 462 وهو بلفظ البخارى.

(2) رواه البخارى، كتاب الغسل، باب الوضوء قبل الغسل، ورواه أبو داود وابن ماجه والنسائى وهو بلفظ البخارى.

(3) رواه البخارى، كتاب الجنائز، باب نقض شعر المرأة، رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى والنسائى بلفظ "ثلاثة قرون ".

أنها وضعت نظاماً عاماً له أثره فى الدلالة، فما ورد مخالفاً هذه القاعدة فى بعض المواضع جىء به لغرض التكثير والمبالغة أو التأكيد.

وما جاء فى القرآن الكريم يؤكد ما وقع فى الحديث ويدفع رأى من لا يحتج بالحديث، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ**﴾ [البقرة:228] (القروء قيل: الحيضات، وقيل الشهور التى تحيض فيها المرأة مدة الحيض، وقد قيل فيها أربعة أشهر على السعة) وقد أضيف ثلاثة إلى قروء، (وزن فُعُول مثل: حروق وبثوق) وهو كثرة، والقياس: أن يقال: ثلاثة أقراء، وهو صحيح فى اللغة، وأقراء جمع قلة على اصطلاح العلماء، والنص القرآنى لا يحتمل قراءة غير قروء، وجاء فيه تخفيف الهمزة: قروّ.

ومن ثم فالقاعدة العامة خرجت عن النص القرآنى ولا نقول خرج عنها النص؛ لأنه أولى بالإتباع ولا عدول عن الإتباع عند صحة السماع[1]. وقد قاس العلماء على المشهور، والأبنية التى وافقت القياس أكثر مما خالفه، ويعول فى القاعدة على الكثير دون تخطئة القليل، وتوجه القلة والكثرة على مقتضى المعنى.

- **حكم خبر لولا:** لولا تستخدم للدلالة على امتناع الشىء لوجود غيره، وتدخل على المبتدأ، ويكون الخبر بعدها محذوفاً – على المشهور – وجوباً، ويكون لها جواب لمعنى الشرط فيها، ويقترن الجواب إن كان مثبتاً باللام غالباً، وإن كان منفياً تجرد منها غالباً، ولا يقترن بها إن كان منفياً بلم، واللام فى الجواب تفيد التوكيد. وقد يحذف جواب لولا لدليل يدل عليه نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللـه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللـه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[النور:20] والتقدير: لولا فضله عليكم لهلكتم، وقد يخلو الجواب المثبت من اللام، وهو قليل.

---

(1) ارجع إلى: شواهد التوضيح لابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ص 90.

ومن ذلك قول الشاعر:

لولا زهير جفاني كنت معتذراً ولم أكن جانحاً للسِّلمِ إن جَنَحوا[1]

وقد يقترن الجواب المنفى بما باللام نحو قول الشاعر[2]:

لولا رجاءُ لقاء الظاعنينَ لَمَا أبقتْ نواهُمْ لنا رُوحاً ولا جَسَدَا

وقدر علماء العربية خبر " لولا " محذوفاً، على كل حال من أحواله أو موجود. وعد خبر لولا في الحذف الواجب، فقد أوجب العلماء حذفه وجوباً في مثل: ﴿**وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ**﴾[هود:91] وقدر ابن مالك حكم الحذف في خبر لولا، وقد يأتي خبر لولا على أحوال يحدد حال الإخبار عن المبتدأ، وهي:

- أن يخبر عن المبتدأ بكون غير مقيد؛ ليكون عاماً يستوجب حذف الخبر، ويقدر الخبر بعد لولا، بكون غير مقيد نحو: لولا زيد لزارنا عمرو، حذف الخبر وجوباً، وتقديره: لولا زيد على كل حال من أحواله لزارنا عمرو.

فلم تتعين الحال في كل أحواله فلزم الحذف لذلك، ولما في الجملة من الاستطالة المحوجة إلى الاختصار، فالكون العام يوجب حذف خبر لولا.

- أن يخبر عن المبتدأ بكون مقيد ولا يدرك معناه إلا بذكره فيتعين إثبات الخبر دون حذفه؛ لأن الدلالة عنه محوجة إلى ذكره، ومن ذلك قول النبيﷺ: " لو قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين " [3]، وفي رواية حديث: " عهدهم بكفر ". ثبت المبتدأ " قومك " بعد لولا، وثبت الخبر أيضاً ولم يحذف، وهو " حديثو عهد بكفر "، وهذا الموضع يستوجب ذكر الخبر والإخبار به لتحديد المراد، فلو اقتصر في مثل هذا على المبتدأ، لظن أن المراد: لولا قومك على كل حال من أحوال لنقضت الكعبة.

---

(1) ارجع إلى: شرح ابن عقيل ج 55/4، وشرح المفصل، ابن يعيش م 124/4.

(2) ارجع إلى: شرح ابن عقيل ج 55/4، وشرح المفصل، ابن يعيش م 124/4.

(3) رواه البخاري، كتاب العلم، باب في ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه. وروى الترمذي: حديثو عهد بالجاهلية لهدمت الكعبة، ورواه النسائي.

وهو خلاف المقصود من المعنى، فقربهم من الكفر منعه من فعل ما يقتضى عمله وهو إعادة بناء الكعبة على بناء إبراهيم الذي غيره المشركون، وهم يعيدون بناء الكعبة بعد أن هدمها السيل، وتقدير الخبر محذوفاً يحتمل أحوالاً أخرى غير معينة، ومنها بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل، ومفارقتهم الكفر وبعد زمنه عنه لا تمنع من نقض الكعبة وبنائها على البناء الذي أمر الله به تعالى إبراهيم، فحدد الحال التي هي سبب امتناعه عن الهدم، ومن ثم قام عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بنقض البناء في خلافته وأعاده على قواعد إبراهيم عليه السلام، فتكلم فيه بعض الجهال وطعنوا في صنعه[1]، وأعادها الحجاج على ما كانت عليه قبل أن ينقضها بن الزبير رضي الله عنه ولم يبلغه حديث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الحديث الخليفة عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى، قال: لو بلغني قبل أن ينقضها الحجاج لأبقيت على بناء بن الزبير رضي الله عنهما، وخشى أن يعيدها على بناء ابن الزبير أن يتكلم فيه رجال الفتن[2].

وروى أن عبد الرحمن بن الحارث قال لأبي هريرة رضي الله عنه " إني ذاكر لك أمراً، ولولا مَرْوان أقسم عليّ فيه لم أذكره لك " [3]. فمروان مبتدأ وتعين ذكر الخبر " أقسم عليّ فيه " فقيد الخبر؛ لأنه لا يدرك معناه إلا بذكره.

وقد ثبت الخبر الذي يتعين ذكره بعد لولا في كلام العرب، ومنها قول الشاعر[4]:

لولا زهير جفاني كنت منتصراً ... ولم أكن جانحاً للسِّلم إن جنحوا

خبر " لولا " جفاني. ومثله:

لولا ابن أوس نأى ما ضيمَ صاحِبه ... يوماً ولا نابه وَهَن ولا حَذَرُ

(1) فتح الباري، دار التقوى جـ1 / 275 ، 276.
(2) تاريخ الطبري جـ5 / 622 ، 195.
(3) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب الصائم يصبح جنباً.
(4) شواهد التوضيح ص66 ولا يعرف للبيتين قائل.

نأى خبر لولا.

- أن يخبر عن المبتدأ بكون مقيد يدرك معناه عند حذفه، فيجوز ذكره أو حذفه عند فهمه من سياق الكلام، ومنه قوله تعالى:﴿ لَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود:91] أي ولولا رهطك ينصرونك أو يمنعونك منا أو يغضبون لرجمناك، ومن ثم فقد جاء التعقيب: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللـه﴾ [هود:92].

ومنه قول أبي العلاء المعري في وصف السيف[1]:

يُذيِبُ الرعبُ منه كلَّ عَضْبٍ فلولا الغِمدُ يُمْسِكُهُ لَسَالا

أثبت الخبر، ويجوز حذفه، والمعنى: ولو الغمد يمسكه لظهر سيلانه.

وقد رد ابن مالك على النحويين الذين خطأوا أبا العلاء: فقال فيمن خطأه " وهو بالخطأ أولى "[2]. ويتبين من ذلك أن الحذف في خبر لولا ليس عاماًَ، بل يحذف فيما يجوز الإخبار عنه بكون غير مقيد، نحو: لولا زيد، لزارنا عمرو. أي: لولا زيد – على كل حال من أحواله – لزارنا عمرو. فكل أحوال زيد احتمال واحد منها منعت من زيارة عمرو لنا، فلم تكن حال من أحواله أولى بالذكر من غيرها، فوجب الحذف للعموم والاستطالة المحوجة إلى الاختصار.

وإن كان الخبر معلوماً أو يفهم من الكلام عند حذف جاز الإثبات وعدمه، نحو: لولا أخو زيد ينصره لغلب، ولولا قريب فلان يدفع عنه لأُقيل.

يجوز الإثبات أو الحذف، ولكن إن تعين تحديد الخبر لالتباسه عند الحذف بغيره لزم ذكره في الكلام نحو: لولا زوجي غائب لحججت. فغياب الزوج يستلزم عدم خروجها لغير ضرورة إلا بإذنه وإن كان الخروج للعبادة.

---

(1) شروح سَقْط الزَّنْد، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب،1406هـ- 1986م، القسم الأول ص104، والمعنى: سيفك تهابه السيوف،ولولا الغمد يمسك السيف لسال من فرط خوفه من سيفك مثلما تهابك الرجال فى المعارك

(2) شواهد التوضيح ص67.

ولا يحتمل الخبر كل الأحوال فكل أحوال الإخبار عن الزوج لا تستوجب امتناعها عن الحج، خلافاً لقولنا: لولا الأعداء لزرتك. فُهِم أن الإخبار عن المبتدأ يكون مقيداً بمانع الإضرار به، فوجب الحذف لعدم الحاجة إليه.

- **حكم المستثنى بعد إلا:** حكم المستثنى بعد " إلا " من كلام تام موجب أن ينصب مفرداً كان أو مكملاً معناه بما بعده[1] نحو: ﴿**الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾[الزخرف:67] المتقين: مستثني مفرد. ونحو قوله ﷻ: ﴿**إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**﴾[الحجر:59، 60] (امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين): مستثنى مكمل معناه بما بعده. وحق هذا النوع من الاستثناء النصب عند معظم النحويين، وهذا الحكم عام في كل نظير، وقد بحث ابن مالك هذا الحكم فوجد شواهد في العربية صحيحة جاء فيها الرفع، فليس النصب فيها مطرداً.

وجاء الرفع في قراءة ابن كثير وأبي عمرو بن العلاء: ﴿**وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ**﴾[هود:81] رفعت امرأته على الابتداء، والجملة بعده خبره، ولا يجوز أن يكون الرفع في " امرأته " على أنها بدل من " أحد "؛ لأنها لم تسر معه فيتضمنها ضمير المخاطبين، ودل النصب على أنها لم تسر معه فاستثنيت منه، فالنصب قد أخرجها من أهله الذين أمر أن يسرى بهم.

وبمثل هذا تأول القراء قراءة بعضهم: ﴿**فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ**﴾ [البقرة: 249]، برفع قليل أي: إلا قليلٌ منهم لم يشربوا، وجعل منها ابن خروف قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ*فَيُعَذِّبُهُ اللـه الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ**﴾ [الغاشية:23،24][2].

---

(1) ارجع إلى: شرح بن عقيل جـ2 / 209 ، 210.

(2) شواهد التوضيح والتصريح ص 43.

وروى أبـو هريـرة رضى اللــه عنـه ، سـمعت رسـول اللــهﷺ يقـول: " كـل أمتـى معـافً إلا المجاهرون "[1].

وروى عنهﷺ: " ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا اللـه " [2]. أى: لكن اللـه يعلـم بـأى أرض تموت كل نفس. ومنها قول عبد الله بن أبي قتادة رضي الله عنه : " أحرموا كلهم إلا أبو قتادة لم يحرم "[3].

وروى عن النبي ﷺ قال: " ما للشياطين من سلاح أبلغ في الصالحين مـن النسـاء إلا المتزوجـون أولئك المطهرون المبرءون من الخنا " [4]. ومن أمثلة سيبويه: " لأفعلن كذا إلا جلُّه أن أفعل كذا " [5].

وقد وقع فى بعض الشعر مـا ظـاهره أن المسـتثنى بـإلا بعـد كـلام تـام موجـب لم ينتصـب عـلى الاستثناء، بل جاء تابعاً لما قبله فى إعرابه، ومن ذلك قول الأخطل[6] :

وبالصَّرِيمة منهم منزلُ خَلَقُ   عافٍ تغيَّرَ إلا التُّؤْىُ والوَتدِ

الشاهد: " تغير (أى المنزل) إلا التُّؤْى والوتد "، فالكلام مثبت إذا لم يتقدمه نفى ولا شـبهه، وهـو تام، وقد تقدم ذكر المستثنى منه (الضمير العائد على المنزل) وحق المستثنى أن ينتصـب، ولكنـه رفـع فى قول الشاعر، وقد تأوله بعض النحويين أنه بدل من الضمير المستتر فى تغيَّر.

ورأى بعضــهم أن ظــاهر الإثبــات فى البيــت غــير مراعــى ولا ملتفــت إليــه، فـالكلام المـراد بـه النفـى، لأن معنـى " تغـير " لم يبـق عـلى حالـه، فـالمراد: لم يبـق

(1) رواه البخارى، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه عن أبي هريرة (متفق عليه).
(2) البخارى، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً).
(3) رواه البخارى، كتاب جزاء الصيد، باب لايشير المحرم إلى الصيد لكى يصطاد الحلال.
(4) نقله ابن مالك عن جامع الأسانيد، وهو ضعيف، والخنا: الفحش، وقد ذكرنا الأحاديث التى ضعفها العلـماء عـلى أنها أمثلة لغوية وليست بشواهد.
(5) شواهد التوضيح ص 43. نفسه.
(6) شرح ابن عقيل ج 210/2 الهامش. التؤى: مجرى يحفر حول الخيمة أو الخباء.

على حاله إلا التؤى والوتد، فرفع التؤى على أنه بدل، والأرجح أن ينصب علـى الاسـتثناء، والرفـع جائز، وهو قليل. ومن ذلك قول الشاعر[1]:

لِدَمٍ ضائعٍ تغيَّبَ عنْهُ   أقربوُهُ إلاّ الصَّبَا والدبورُ

الكلام موجب وحقه أن ينصب الصبا، ولكـن الشـاعر رفعـه عـلى أنـه بـدل عـلى مـذهب بعـض النحويين، وقيل إن سياق المعنى حمل على معنى النص فالمعنى: لم يـحضر أقربـوه إلا الصبا والـدبور، فيجوز رفعه، وحقه النصب، لأنه مثبت وتام. والرفع فيهـا-عـلى مـذهب ابـن مالـك-عـلى الابتـداء فى البيتين، والمعنى: لكن الصَّبا والدبور لم يتغيبا عنه.

- **حكم تعريف المبتدأ:** الأصل فى المبتدأ أن يكون معرّفاً للابتداء به والإخبار عنه إذا لا فائـدة مـن الإخبار عن غير معين فى الكلام، والغرض فى الإخبار إفادة المخاطب ما ليس عنـده، ومـن ثـم يجـب أن يكون المبتدأ معرفة غير مبهم فقولنا: رجل قائم ، فيه إطلاق دون تعيين[2].

وأجاز بعض العلماء الابتداء بالنكرة فى مواضـع مخصوصـة لفائـدة مـن المعنـى، مـما لـيس فيـه تعمية، ويعيَّن فى اللفظ للعلم به أو لدلالة السياق عليه[3]. فيجوز الابتداء بالنكرة: طلباً لفائدة دلاليـة وما خلا من الفائدة لا يجوز الابتداء به نحو: رجل تكلم، وغلام احتلم، وامـرأة حاضـت، هـذه الأمثلـة خُلْو من الفائدة، فالرجل يتكلم والغلام يحتلم و المرأة تحيض، فليس فى التنكر فائـدة، فـإن تحصـلت الفائدة من التنكير جاز الابتداء بنكرة، فكل مبتدأ نكرة اقترنت بـه قرينـة تتحصـل بهـا الفائـدة جـاز الابتداء به على الإطلاق[4].

---

(1) شرح التوضيح والتصحيح ص43، ضائع: هالك، أقربون: أصـله: أقربـوه لـه سـقطت النـون للإضـافة، ابـن الصّـبا: الصغر والحداثة

(2) شرح المفصل ، ابن يعيش ج 166/1.

(3) ذكر ابن عقيل المواضع التى وقع المبتدأ فيها نكرة، وقال: " وقـد أنهـى بعـض المتـأخرين ذلـك إلى نيـف وثلاثـين موضعاً " وقد ذكر المحقق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد بعضاً منها، و اختلاف العدد فيهـا يرجـع إلى أن بعضهم جعل الفروع فى المواضع الرئيسة. شرح ابن عقيل ج 224/1 وما بعدها وص 227.

(4) شواهد التوضيح والتصحيح ص 45.

وقد جاء المبتدأ نكرة محضة فى المواضع الآتية:

* إذا وقع بعد إذا " المُفَاجَأة " كقول الأزرق بن قيس رحمه اللـه: " إذا رجل يصلى " [1]. ومثلـه: " دخل النبى ﷺ: فإذا حبل ممدود " [2] ومنه قول الشاعر[3]:

حسبتك فى الوغى مِرْدَى حروب   إذا خَوَرٌ لديك فقلتُ سُحْقا

* إذا وقع بعد واو الحال كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللـه غَيْرَ الْحَقِّ**﴾[آل عمران:154].

(وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) الواو واو الحال وطائفة مبتدأ، نكرة. وكقول عائشة رضى اللـه عنها: " ودخل رسول اللـهﷺ، وبرمة على النار " [4]. وبرمة على النار: الواو واو الحال، وبرمة مبتدأ، وعلى النار شبه جملة خبر. ومنه قول الشاعر[5]:

سرينا ونجم قد أضاء فَمُذ بدا   مُحَيَّاكَ أخْفَى ضوءُهُ كلّ شَارق

والشاهد فيه: ونجم قد أضاء: حيث أتى بنجم مبتدأ - مع كونه نكرة - لأنه مسبوق بواو الحال. وأجاز بعض العلماء أن لا تسبق النكرة بواو الحال فى الجملة الحالية، كقول شاعر الحماسة فى الضأن[6]:

---

(1) رواه البخارى، فى كتاب العمل فى الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة فى الصلاة. الأزرق بن قيس من التابعين، والرجل الذى ذكره أبو برزة الأسلمى رضى اللـه عنه. وجاء فى رواية: إذ جاء رجل.

(2) رواه البخارى، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد فى العبادة. وفتح البارى ج 43/3 و رواه مسلم.

(3) شواهد التوضيح والتصحيح ص 45 وقائل البيت مجهول. ومِرْدى حروب: المردى حجر يرمى به، وأطلق على الرجل الشجاع يرمى فيها، الوغى أصله الصوت، وصوت النحل والبعوض وغيرهما إذا اجتمعت، وأطلق على الأصوات فى الحروب، وغمغمة الأبطال فى حومة الحرب، ثم صار عاماً فأطلق على الحرب عامة: الوغى.

(4) رواه البخارى، كتاب النكاح، باب الحُرّة تحت العبد.

(5) شرح ابن عقيل ج 221/1 ولا يعرف له قائل. وشواهد التوضيح والتصحيح ص 46، ولم ينسبه ابن مالك إلى قائل. وسرى: من السُّرى، وهو السيرليلاً. محياك: وجهك. شارق: اسم فاعل من شرق يشرق شروقاً. والمراد كل كوكب طالع.

(6) شرح ديوان الحماسة للتبريزى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ج 130/4، وارجع إلى شرح الشافية جـ167/1.

الذئبُ يطْرُقها فى الدهر واحدةً   وكل يوم ترانى مُدْيَة بيدى

الشاهد جملة " مدية بيدى " جملة حالية غير مسبوقة بواو الحال، ومدية مبتدأ مع كونه نكرة.

* أن تكون عامة نحو: ﴿**بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ**﴾[البقرة:116]. كل له قانتون: كل مبتدأ نكرة يفيد الشمول والعموم، و﴿**كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ**﴾[الأنبياء:93] و ﴿ **وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[الأنبياء:99].

وقد عدد اللـه تعالى بعض أسماء الأنبياء ثم قال: ﴿**كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [الأنعام:85] لتفيد عموم الصلاح فيهم عليهم السلام، ومثلها: ﴿**كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ**﴾[الأنبياء:85]. وذلك بعد أن عدد بعضاً منهم، وقوله: ﴿**وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[هود:6] و﴿**كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ**﴾[النور:41] وذلك بعد أن ذكر أن كل شىء يسبح بحمد اللـه تعالى، والأصل: كلهم أو كل ما سبق ذكره.

وكل تلزمها الإضافة إلا فى المواضع التى تفيد التعميم أو فى موضع أتت فيه بعد أشياء ذكرت فجىء بها غير مضافة للتعميم وللاستغناء عن الإضافة بما سبق ذكره.

* أن تسبق باستفهام، على أن يكون حرف الاستفهام الهمزة، وأن يكون بعده " أم " نحو: أصديق عندك أم غريب؟، وهذا كثير فى كلام الناس نحو: أرجل عندك أم إمرأة ؟. ويجوز الاستفهام بغير الهمزة وأن لا يتبع ب" أم " نحو: هل غريب فيكم؟. وقد سوغ الاستفهام الابتداء بالنكرة؛ لأن الاستفهام إما إنكاراً وإما حقيقياً، والاستفهام الإنكارى بمعنى حرف النفى نحو: أشجاع فيكم؟، وتقدم حرف النفى على النكرة يجعلها عامة، وعموم النكرة عند التحقيق يسوغ الابتداء بها، فيجوز الابتداء بالنكرة إن دلت على كون عام.

والممنوع أن تدل على مبهم غير معين، ولا مانع من تعميم الحكم فى أفراد النوع، فأشبه العموم.

وقد أجاز العلماء الابتداء بالنكرة التى تدل على ما يشبه العموم، وذلك فيما عم الحكم فيه أفراد النوع، إذ الممنوع الحكم بالإخبار عنها على فرد مبهم غير معين.

وجواز الاستفهام بغير الهمزة فيه توسعة على المتكلم ليختار من وجوه الكلام ما يشاء، ومن حروف الاستفهام ما يسوغ له دقة التعبير عن مقصده.

* أن تكون النكرة موصوفة بوصف يسوغ الابتداء بالنكرة، فيكون مخصصاً للنكرة نحو: ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾[الأنبياء:33] وكل يجرى لأجل مسمى، ونحو رجل من الكرام عندنا.

ولا يجوز أن يكون الوصف غير مخصص للنكرة نحو: رجل من الناس عندنا، فالوصف بـ " من الكرام " خصص صفة الرجل وميزته عن غيره من البخلاء و " من الناس " وصف عام.

والوصف فى المثالين السابقين لفظى، وهنالك وصف تقديرى نحو: ﴿**وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ**﴾[آل عمران:154]. والتقدير: وطائفة من غيركم، بدليل ما قبله، وهو قوله: (يغشى النعاس طائفة منكم). فحذف " من غيركم " للعلم بها.

وهنالك نوع ثابت يعرف بالوصف المعنوى، وهو الذى استغنى عنه المتكلم؛ لأن صيغة النكرة تدل عليه، كأن يكون المبتدأ النكرة مصغراً نحو: رجيل عندنا. والتقدير: رجل صغير أو حقير، فأغنى التصغير أو التحقير عن الوصف اللفظى وهو مقدر فى المعنى، فالتصغير يدل على التقليل والتحقير والتدليل والتقريب والتحبب والتودد[1]، ويغنى بناؤه المصغر عن الوصف.

---

(1) ارجع إلى: شرح ابن عقيل ج 218/1 ، 219.

* أن تكون النكرة دالة على التعجب مثل " ما " التعجيبة فى نحو: ما أحسن زيداً. ما: نكرة، وقد سوغ الابتداء بها دلالتها على أن المعنى: شىء عظيم حسَّن زيداً. فزْيداً منصوب بأفعل التفضيل، والفاعل ضمير عائد على " ما " التى تدل على " مبهم "، وتقديره " شىء عظيم ".

* أن تكون النكرة مضافة نحو: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾[الأنبياء:35]. ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾[الرعد:8]، ونحو: مال صدقةٍ خير، وعمل برٍ فيه أجر.

* أن تكون بعد كم الخبرية نحو قول الفرزدق يهجو جريراً [1]:

كم عمةٌ لك ياجريرُ وخالةٌ فدْعَاءُ قد حلبتْ علىّ عشارى

* أن تكون النكرة معطوفة على معرفة، نحو: زيد ورجل قائمان.

* أن تقع بعد فاء الجزاء، كقولهم: إن ذَهَبَ عَيْرُ فعَيْرٌ فى الرَّباط "، وروى: " إن هلك عَيْرٌ فعير فى الرباط " [2]. عير: مبتدأ وقع بعد فاء الجزاء.

* المبتدأ المعطوف على نكرة: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ**﴾[محمد:21]، والتقدير: طاعة وقول معروف أمثل من غيرهما.

ومن ذلك قول الشاعر[3]:

عندى اصطبارُ وشكوى عند فاتنتِى فهل بأعجبَ من هذا امرؤٌ سَمِعا

---

(1) الديوان ص 312، عمة مبتدأ جاء بعد كم الخبرية أو الاستفهامية فى محل نصب ظرف متعلق بفعل حلبت أو مفعول عامله حلب، وخبره " عمة لك " شبه جملة. ويجوز فى " كم " أن تكون استفهامية، وأن تكون خبرية، ويجوز فى " عمة " الجر على أن " كم " خبرية فى محل رفع، وخبره جملة حلبت على عشارى، أو عمة تمييز لكم الخبرية وتمييز كم مجرور، وعمة بالنصب على أن كم استفهامية، وتمييز كم الاستفهامية منصوب، وأما الرفع على أن كم خبرية أو استفهامية فى محل نصب ظرف متعلق بحلبت أو مفعول مطلق عامله " حلب"، وعلى هذا فعمة مبتدأ. ارجع إلى شرح ابن عقيل ج 226/1 فدعاء المرأة التى اعوجّ أصبعها من كثرة الحلب، وقيل التى أصيب قدمها لكثرة مشيها وراء الإبل، وأصل الفدع: زيع فى القدم بينها وبين الساق. العشار: جمع عُشَراء، وهى الناقة التى أتى عليها من وضعها عشرة أشهر، قال تعالى: (وإذا العشار عُطلت).

(2) مجمع الأمثال للميدانى، طبعة بولاق ج25/1 وجمهرة الأمثال للعسكرى طبع بهامش مجمع الأمثال المطبعة الخيرية ج81/1. وشرح ابن عقيل جـ225/1، والعير: الحمار. والمثل يضرب لعدم اليأس لفقدان الشىء، والتماس الأمل فى غيره.

(3) شواهد التوضيح ص47، وشرح ابن عقيل 1/ 224، وروى لولا اصطبار.

ويجوز أن تكون الواو قبل شكوى واو الحال، وشكوى بعدها مبتدأ، والأرجح أن تكون الـواو واو العطف وشكوى معطوفة على نكرة[1].

* أن تكون النكرة عاملة فى الإعراب فترفع ما بعدها نحو: ضَرْبٌ الزيدان شديد. بتنـوين المصـدر " ضرب " فانقطع عن الإضافة، والزيدان: فاعل. وتنصب نحو: عملٌ غداً خير. غـداً ظـرف منصـوب بعـد المصدر الذى يعمل عمل الفعل. وتجر فى نحو قول النبىﷺ: " خمس صلوات كتـبهن اللــه فى اليـوم والليلة " [2]، وهذه من نوع النكرة المضافة.

* أن يتقدم الخبر على المبتدأ النكرة، والتقديم هنا واجب، وذلك أن يكون الخـبر جملـة والمبتـدأ نكرة نحو: قصدَك خادمه رجل. والأصل: رجل قصدك خادمه. أو أن يكـون ظرفـاً نحـو: فـوق الحصـن جندى. أو أن يكون شبه جملة نحو: لك فضل. ونحو: فى البيت ضيف.

* أن يتقدم على النكرة نفى، وقد سوغ الابتداء بالنكرة؛ لأنه (النفى) يجعل النكرة عامة متناولة؛ لأنه شبيه بما هو بمعنى النفى، والنفى يجعل النكرة عامة، نحو: ما صديق لنا[3].

* أن تكون النكرة شرطاً، فالابتداء بالشرط جائز؛ لكونه عاماً نحو: من يقم أقم معه.

* أن تكون جواباً للاستفهام نحو: رجلُ. جواب: من عندك؟ والأصل: عندى رجل.

* أن تكون دعاء نحو: ﴿**سَلاَمٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ**﴾[الصافات:130]. و﴿**سَلاَمٌ عَلَيْـكَ سَأَسْـتَغْفِرُ لَـكَ رَبِّي**﴾[مريم:47]، أو الدعاء عليه نحو: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ**﴾ [المطففين:1].

* أن تكون خلفاً من موصوف نحو: مؤمن خير من كافر، والأصل: عبد مؤمن خير من عبد كـافر، فحذف عبد فصارت الصفة خلفاً له.

---

(1) شواهد التوضيح والتصحيح ص 46، ونصه:

متى اصطبارى وشكوى من معذبتى   فهل بأعجب من هذا امرؤ سمعا

وقد اعتمدت رواية ابن هشام لوضوحها.

(2) رواه البخارى، كتاب الإيمان، رقم 46.

(3) ارجع إلى: شرح بن عقيل ج 217/1 الحاشية.

* أن يقصد بها التنويع نحو قولنا: يوم لك ويوم عليك، ومن ذلك قول امرئ القيس[1]:

فأقبلتُ زحفاً على الركبتين فثوبُ لبستُ وثوبُ أجرُّ

فثوب مبتدأ، وثوب الثانية مبتدأ أيضاً وخبرهما ما بعدهما: لبست وأجر.

* أن تكون فى معنى المحصور نحو: شرُّ أهرّ َذا ناب[2]. أى ما أهرَّ ذا ناب إلاّ شرٌ. أى أخافه وهو شجاع. ونحو: شيء جاء بك. أى: ما جاء بك إلا شيء. ويجوز الابتداء بالنكرة على تقدير وصف محذوف، والأصل: شرَّ عظيم أهرَّ ذا ناب. وشئ عظيم جاء بك. وهناك مواضع أخرى لم يذكرها القدماء فى هذا الموضع، وقد وقع فيها المبتدأ نكرة ومنها:

* اسم " لا " النافية للجنس نحو قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[البقرة:2]. فلا يكون اسمها وخبرها إلاّ نكرتين، فلا تعمل فى المعرفة؛ لأن النفى فيها عام، وهذا شرط عملها فى المبتدأ الذى يتصل بها[3].

* اسم " لا " التى تعمل عمل ليس، ويشترط فيه أن يكون نكرة، وهذا شرط فى خبرها أيضاً نحو: لا رجُلُ أفضلَ منك، ونحو: لا شئُ على الأرض باقياً[4].

* المبتدأ المجرور بربَّ ظاهرة أو مضمرة نحو: ربّ عملٍ ينفع، قال امرؤ القيس[5]: **ألا ربَّ خَصْم فيك ألْوَى رددته نصيحٍ على تعذالهِ غير مُؤتلِ**

أى: شديد الخصومة فيك لامنى على إفراط حبى لك، فجر خصم بربَّ، وقد تنوب الواو عن رب مثل قوله أيضاً[6]:

---

(1) الديوان ص70، ورواية الديوان: فلما دنوتُ تسدّيتها فثوباً نسيتُ وثوباً أجُرْ
وتسدى: علا وركب، والشاهد برواية ابن مالك.

(2) شرح ابن عقيل ج 221/1. وارجع إلى شرح الشافية جـ167/1.

(3) ارجع إلى: شرح ابن عقيل ج 6/2. وقد ذكرها ابن عقيل فى باب الحروف النواسخ ولم يذكر فى حديثه عن الابتداء بالنكره.

(4) شرح ابن عقيل ج 313/1. وشرح المفصل م 205/1.

(5) الديوان ص 116.

(6) الديوان ص117، شرح المعلقات، للزوزنى، معلقة امرئ القيس ص26.

وليلٍ كموْجِ البحرِ أرخى سُدولَهُ   علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

وقال الأعشى ميمون بن جندل[1]:

وقصيدةٍ تأتى الملوك غريبة   قد قلتها ليقال من ذا قالها ؟

الواو واو ربّ المحذوفة وقصيدة مبتدأ نكرة مجرور بواو ربّ لفظاً مرفوع محلاً.

* المبتدأ بعد " من " الاستغراقية، قال تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللـه**﴾[آل عمران:62][2].

* المبتدأ بعد " لا " التبرئة، كما فى قول العرب: " لا خير بخير بعده النار".

* المبتدأ بعد لولا، ويجوز أن يكون نكرة، ومن ذلك قول الشاعر[3]:

لوْلا اصطبار لأوْدى كلُّ ذى مقَة   لمَّا استقلَّتْ مطاياهُنَّ للظَّعَنِ

أى: لولا صبر أبداه وتمسك به لظهر منه ما يهلك بسببه كل ما يحبه ويعطف عليه، والشاهد وقوع اصطبار نكرة بعد لولا، وهذا جائز.

ومجىء المبتدأ نكرة فى هذه المواضع جاء لمعنى، فيمتنع تنكيره لغير الدلالة على معنى مخصوص من التنكير.

- **حكم إعراب المثنى وجمع المذكر السالم:** القاعدة العامة فى المثنى أن يرفع بالألف وأن ينصب ويجر بالياء والرفع فى جمع المذكر السالم بالواو والنصب والجر بالياء. وقد خالف هذه القاعدة المشهورة بعض شواهد العربية الصحيحة، وأشهرها قوله تعالى على قراءة أبى عمرو بن العلاء: ﴿**إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ**﴾[طه:63] القراءة بتشديد إنَّ بعد القول " قالو: إنَّ... " وهذان بالألف.

---

(1) ديوان الأعشى ص144، وفيه: وغريبة تأتى الملوك حكمة.

(2) ارجع إلى: شذور الذهب ص 146، رقم 68. وقطر الندى رقم 22.

(3) شرح ابن عقيل ج 224/1 وشواهد التوضيح لابن مالك ص 46 ولا يعرف له قائل، وأودى: هلك، المقة: المحبة، والتاء فى آخره بدل الواو والمحذوفة فى فائه الأصل ومق، استقلت: نهضت، وهمت بالسير. الظعن : الرحيل والسفر.

وفيها أوجه:

أحدها:- أن الألف هنا علامة التثنية فى كل حال، وهى لغة لبنى الحارث، وقيل لكنانة، وأن " هذانَ " تنصب بحركة أصلية[1] وهى الفتحة.

والثانى:- أن " إن " فيها ضمير الشأن محذوف، وما بعدها مبتدأ وخبره لساحران، والجملة خبر ضمير الشأن المحذوف.

الثالث:- أن " إنَّ " بمعنى نعم، وما بعدها مبتدأ وخبر.

والوجهان الثانى والثالث ضعيفان من أجل اللام التى فى الخبر، ورأى الزجاج أن المبتدأ محذوف فى لسحران، والتقدير: لهما ساحران.

وقد رجح العكبرى الوجه الأول[2]، وقيل إن أبا عمرو بن العلاء قرأ " إنَّ هذين لساحران " وهذه الرواية ضعيفة. وهذه القراءة موافقة للإعراب، ولكنها تخالف رسم المصحف الذى لا يحتمل إلا شكلاً واحداً، وقرأ الزهرىّ والخليل بن أحمد والمفضل وأبان وابن محيصن وابن كثير وعاصم فى رواية حفص: إنْ هَـذَان، بتخفيف " إنْ " " لساحران ". وابن كثير يشدد نون " هذانّ "، وهذه القراءة سلمت من مخالفة المصحف ومن مخالفة الإعراب، ويكون معناه: ما هذان إلا ساحران. وقرأ المدنيون والكوفيون بتشديد " إنَّ " و " لساحران" فوافقوا المصحف وخالفوا الإعراب. وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ: "إنْ هذانِ إلا ساحران "، وذكرها الكسائى فى قراءة عبد الله " إن هَـذَانِ ساحران " بغير لام، وقال الفراء فى حرف أبىّ: " إنَّ ذان إلا ساحران "[3]، والمشهور

---

(1) شرح المفصل م2 /86 قرأ ابن كثير وحفص إن بالتخفيف، وقيل إن أبا عمرو بن العلاء قرأ (إنَّ هـذين لساحران) بتشديد النون والياء فى هذين وهى رواية ضعيفة، وقرأ الباقون بتشديد النون والألف فى" هـذان "والتخفيف فى قراءة ابن كثير وحفص على أن " إن " المخففة من الثقلية، ودخلت اللام فرقاً بينها وبين النافية وأبطل عملها لنقص لفظها وخروجها لذلك عن شبه الفعل، وقيل إن المخففة بمعنى" ما " النافية، والتقدير: ماهـذان إلا ساحران، وقد أنكر غيرهم مجيء اللام بعد إلا، وأمثل الأقوال أنها على لغة بنى الحارث الذين يلزمون المثنى الألف على كل حال.

(2) التبيان فى إعراب القرآن ص 894 ، 895.

(3) تفسير القرطبى، ط التوفيقية ج 11/ 184. وتأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث ص 51.

فيها تخفيف " إنْ ": (إنْ هذان لسحران). وقد قيل: هى مخففة من الثقيلة، وهو ضعيف أيضاً، وقيل هى بمعنى " ما " واللام بمعنى " إلا " [1].

وقد اختلف العلماء فى وجوه هذه القراءات، وبعضهم رأى أن إجراء الإعراب فيها أولى من جعلها لغة، قال أبو عمرو بن العلاء: إنى لأستحى من اللـه تعالى أن أقرأ: " إنَّ هذان "، فقد كان يرى إجراء الإعراب فيها، وهذه الرواية عنه فيها نظر ومراجعة لما عرف عنه من ورع وصلاح، وقد ضعَّفها بعض العلماء لمخالفتها القراءة المشهورة، وبعض العلماء تعصب للقياس المشهور فأجرى الإعراب فيها، وقد غالى بعضهم فرأى أنها خطأ تعصباً للإعراب، وهذه الروايات تستوجب التحقيق فى صحتها، والخطأ لا يعنى ضد الصواب بل المراد مخالفة المشهور، فهى لغة بنى الحارث بن كعب وزَبيد وخثعم وكنانة بن زيد يجعلون رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالألف، يقولون: جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، ويقولون: كسرت يداه وركبت علاه بمعنى: يديه وعليه.

ورأى أبو جعفر النحاس أن حمل قراءة " إنَّ هذان لساحران " على لغة العرب الذين يلزمون المثنى والجمع السالم لفظاً واحداً أحسن ما حملت عليه الآية؛ لأنها لهجة معروفة، وقد حكاها من يرتضى بعلمه وأمانته، ومنهم أبو زيد الأنصارى الذى يقول: إذا قال سيبويه حدثنى من أثق به، فإنما يعنينى، وأبو الخطاب الأخفش، وهو رئيس من رؤساء اللغة، والكسائى والفراء، كلهم قالوا هذه على لغة بنى الحارث بن كعب، وحكى أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أبى الخطاب أن هذه لغة بنى كنانة، وحكى غيره أنها لغة خثعم[2]، والاختلاف يعنى سماعها فى تلك القبائل وشيوعها فيها. وهنالك ألفاظ شابهت آية (إنَّ هذان لساحران) فى اللفظ، ومن ذلك: ﴿**لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[النساء:162]. ثم

---

(1) التبيان فى إعراب القرآن ج895/2، ومعانى القرآن ج183/2.

(2) ارجع إلى: القرطبى ج185/11. وشرح المفصل م 86/2.

قال تعالى: (والمقيمين). في قراءة قوله تعالى: ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:162][1].

وقرأ الحسن ومالك بن دينار وجماعة: " والمقيمين ". على العطف، وفي قراءة أبي: " والمقيمين ". وقد ذهب سيبويه إلى أنه انتصب على التعظيم. وقد رأى أبو جعفر النحاس أنه أصح ما قيل في المقيمين، وقال الكسائي: (والمقيمين) معطوف على" ما "، وهذا رأي بعيد؛ لأن المعنى يكون: ويؤمنون بالمقيمين، وهذا غير مقبول. وقيل: المؤتون رفع على الابتداء أو مرفوع بإضمار مبتدأ أي: هم المؤتون الزكاة، وقيل المقيمين عطف على الكاف في " قبلك " أي: من قبلك ومن قبل المقيمين، وقيل المقيمين معطوف على الكاف في " إليك "، وهي وجوه ضعيفة؛ لأن فيها عطف مظهر على مضمر مخفوض. وروى أن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن قوله تعالى: (إن هذان لساحران). وقوله: (والصابئون)، فقالت: " يا ابن أخي الكُتّاب أخطئوا "، وهو حديث ضعيف جداً[2]. والوضع فيه ظاهرة.

وقال أبان بن عثمان: كان الكاتب يُمْلَى عليه، فيكتب: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون) ثم قال له ما أكتب؟ فقيل له: اكتب: (والمقيمين الصلاة) فمن ثم وقع هذا. قال القشيري: وهذا المسلك باطل؛ لأن الذين جمعوا الكتاب

(1) القرطبي ج13/6.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري، وفي إسناده محمد بن حميد، وهو متهم بالكذب، وارجع إلى تفسير الطبري ج18/6، والقرطبي ج 13/6،14. وقد أثارني تخريج الحديث في تفسير الطبري، فقد ذكر المحققون فيه وهم هاني الحاج وعماد زكي البارودي وخيري سعيد أن الحديث إسناده صحيح " إلا أني لم أقف له على تخريجه على أحد المصنفات المشهورة ، ولا أعلم علة عدم ذكرهم له في مصنفاتهم رغم صحة إسناده إلا غرابة متنه " الطبري جـ 28/6، وقال عماد البارودي وخيري سعيد في تخريج الحديث في القرطبي جـ 14/6 " في إسناده محمد بن حميد، متهم بالكذب "!، وأرى أن الأحاديث المروية التي تخطيء رسم القرآن وخطأ الكاتب لا يعتد بها ففيها نظر، لأن القرآن الكريم نقل شفاهة فلا يعقل مخالفة الرسم حفظ الحفاظ.

كانوا قدوة، فلا يظن بهم أنهم يدرجون فى القرآن ما لم ينزل، والقول الذى نسب إلى أبان بن عثمان مردود، وليس له ما يدعمه. والمرجح مذهب سيبويه أن النصب وقع للتعظيم، وهذا مذهب الخليل أيضاً[1] وغيرهما من العلماء.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللـه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[المائدة:69].

قيل: " الصابئون " معطوف على المضمر فى " هادوا " فى قول الكسائى والأخفش، وقد ضعف هذا الرأى ابن النحاس؛ لأنه عطف على المضمر، وأن العطف يدخل الصابئ فى اليهود وليسوا منهم.

والأرجح أن الرفع على تقدير: والصابئون والنصارى كذلك، فالرفع على الابتداء، وشاهد ذلك قول ضابئ البُرْجُمى[2]:

فمن يك أمسى بالمدينة رَحْلُه فإنى وقيَّار بها لغريب

أى: فإنى بها وقيار كذلك لغريب.

وقيل: إن بمعنى " نعم " فالصابئون مرفوع بالابتداء وحذف الخبر لدلالة الثانى عليه[3].

ومن الشواهد التى تؤكد هذه الظاهرة قول أم رومان وهى أم عائشة رضى اللـه عنها: " بينما أنا مع عائشة جالستان " [4]. جالستان: حال، وحقه النصب بالياء فى القياس، على اللغة المشهورة، ولكنه جاء على لغة بنى الحارث بن كعب ورأى أن " مع " بمعنى الواو و " جالستان " خبر. ومن ذلك قول ابن مسعودﷺ لأبى جهل:" أنت أبا جهل " [5].

والقياس " أبو جهل " بالرفع بالواو: وروى بالرفع: أنت أبو جهل وأأنت أبو جهل، وفقلت: ابو جهل،

---

(1) ارجع إلى: القرطبى ج 6/ 13 ، 14.

(2) الشعر والشعراء ص 351، وسر صناعة الإعراب جـ 324/1.

(3) القرطبى ج216/6. وقيل إن بمعنى نعم فى (إن هذان لساحران)، والأرجح أن اسم إن محذوف تقديره: إنهما هذان ساحران.

(4) رواه البخارى فى كتاب الأنبياء ، باب قول اللـه تعالى: (لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين)، وفتح البارى ج466/6.

(5) البخارى، كتاب المغازى، باب قتل أبى جهل. وروى بالواو: أنت أبو جهل.

وهذ يؤكد أن النداء مضمر فى: أنت، يا أبا جهل. ومنها قول الصحابى: "ففرَّقَنَا اثنا عشر" [1]. واثنان تنصب بالياء، واثنا عشر حال من الضمير " نا " المفعول به، وجاء بالألف على لغة بنى الحارث، وقد تلزم الحكاية نحو: الاثنا عشرية: (فرقة من الشيعة)، والحديث فى رواية مسلم: " اثنى عشر " بالياء، وقيل اثنا عشر مرفوع بالابتداء، وخبره: ع كل رجل، ويجوز أن تكون خبر أى: نحن اثنا عشر.

وروى أن النبى ﷺ قال: " إياكم وهاتان الكعبتان الموسومتان" وروى بالنصب[2]. ومثله:

وأنشد الفراء لرجل من بنى أسد، وقال ما رأيت أفصح منه[3]:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى ... مساغاً لناباه الشجاعُ لصَمَّمَا

والشاهد: لِنَاباه؛ جاء بالمثنى، والقياس: لنابيه. وقال الشاعر[4]:

تزوّدَ مِنَّا بين أُذناه ضربةً ... دعته إلى هابى التراب عَقَيمُ

الشاهد: بين أذناه، والقياس: أذنيه، وهذا قليل لا يقاس عليه وشذ عن المشهور.

وقد شاعت فى تلك القبائل الإبقاء على اللفظ قبل الإضافة نحو: علاه بمعنى عليه، وقيل منه قوله تعالى: ﴿**قُل لَّوْ شَاء اللـه مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾[يونس:16] أدرى فعل ماض من دريت، والمعنى: لو شاء اللـه لما أعلمكم بالقرآن[5].

(1) رواه البخارى، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل. وفتح البارى 672/6.

(2) صحيح عن عمر ﷺ فى جامع المسانيد، وروى: وهاتين الكعبتين عن ابن مسعود فى الأدب المفرد رقم 963/1270، ورواه أحمد عن عبد اللـه بن مسعود رقم : 4251.

(3) ارجع إلى: القرطبى ج184/11. وشرح المفصل م86/2. والبيت للمتلمس الديوان ص 34، والحيوان للجاحظ 263/4، وخزانة الأدب 487/7.

(4) شرح المفصل م2 /86.

(5) التبيان للعكبرى ج 668/2. والقرطبى ج184/1.

ومنها قول الشاعر[1]:

طاروا عَلاَهُنّ فَشُلْ عَلاَهَا　　　واشدُدْ بمثْنَى حَقَبٍ حَقْوَاها

إن أباهـا وأبـا أباهــا　　　قد بلغا فى المجد غايتاهـا

والقياس: عليهن وعليها وحقويها، وهذا نادر فى العربية ولا يقاس عليـه والأصـل إجـراء الإعـراب بالحروف فى المثنى والجمع السالم.

- **حكم اقتران خبر أفعال المقاربة بـ " أن "**: أفعال المقاربة ناسخة للابتداء، ويراد بها كـاد وأخواتهـا: كاد، وكرب، وأوشك، وعسى، وحرى، واخلوْلقَ، وجعل، وطفق، وأخذ، وعلق، وأنشأ. وقـد أطلـق عليهـا أفعال المقاربة وليست كلها للمقاربة، فالأفعال التى تدل على المقاربة: كاد وكرب وأوشك فقط، وعسى وحرى واخلولق تدل على الرجاء، وجعل وطفق وأخذ وعلق وأنشأ تـدل عـلى الإنشـاء، فـأطلق عليهـا مجازاً أفعال المقاربة من باب تسمية الكل باسم البعض، وكلها تدخل على المبتدأ والخبر، فترفع المبتدأ ويكون الخبر لها فى موضع نصب؛ لأن الخبر يكون مضارعاً، وندر مجيئه بعد عسى وكاد اسـماً أو ظرفـاً أو جاراً ومجروراً أو جملة اسمية أو فعلية بغير المضارع [2].

والمشهور فى خبر أفعال المقاربة أن يكون مضارعاً فى موضع نصب خبر، نحو: كاد زيد يقوم، وندر مجيئه اسماً أو ظرفاً أو جملة أو شبه جملة، ومن ذلك قول تأبط شراً[3]:

فأبت إلى فَهْم، وما كدت آئبا　　　وكم مثلها فارقتُها وهى تَصْفرِ

---

(1) ديوان رؤبة ص 165، وشرح المفصل م 104/1، شواهد التوضيح والتصحيح ص98، والمعنى: ارتفعـوا عـلى إبلهـم فارفع عليها، والحقب: حبل يشدّ به الرحل إلى بطن البعير مـما يـلى ثيلـه، أى ذكـره، كى يجتذبـه التصـدير، ومنـه: أحقبت البعير، وشال: ارتفع.

(2) ارجع إلى: شرح ابن عقيل، مكتبة التراث ج 323/1 ، 324 ، 326.

(3) شرح التبريزى لديوان الحماسة، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ج85/1. وتأبط شراً: ثابت بن جـابر بـن سفيان. والمعنى أن قبيلة فهم بن عمرو بن قيس عيلان تأسفت وتحزنت على إفلاتى منها، وقد ظنـوا أنهـم قـدروا علىّ، وارجع إلى شرح ابن عقيل جـ 85/1.

الشاهد: " ما كدت آئباً "، آئباً خبر كاد وهو اسم. والمشهور فى الخبر المضارع أن يقترن خبر عسى بـ " أن " كثيراً، ويجرد خبرها منها قليلاً، والمشهور إثبات أنه فى النص القرآنى قال تعالى: ﴿**فَعَسَى اللـه أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ**﴾[المائدة:52]. و﴿**عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً**﴾[الإسراء:8].

واقتران الفعل فى خبر عسى بأن يفيد تأكيد المعنى ويزيده فضل تحقيق وقوة[1]، وما ورد فى تجرد خبر عسى من أن قليل، كقول هدبة بن خشرم العذرى[2]:

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءَه فرجُ قريبُ

وقول الشاعر[3] :

عسى فَرَجُ يأتى بهِ اللـه إنهُ لَهُ كلَّ يومٍ فى خليقتهِ أمرُ

وقال الفرزدق[4] :

وماذا عَسَى الحجَّاج يبلغُ جهْده إذا نحن جاوزنا خَفِيرَ زياد ؟

وحَرَى مثل عسى فى الدلالة على رجاء الفعل، ولكن يجب أن يقترن خبرها بــ " أن " نحو: حرى زيد أن يقوم.

ويكثر اقتران خبر أوشك بـ " أن "، أنشد ثعلب[5]:

ولو سُئل الناسُ الترابَ لأوشكوا إذا قيل هاتوا أن يملّوا ويمنعوا

ومن النادر عدم اقتران خبرها بـ " أن " فيقال : يوشِك يفعل، كما قال أمية بن أبي الصلت[6]:

---

(1) درة الغواص، الحريرى ص 361.
(2) ذكره صاحب التصريح فى شواهده ج206/1. وشرح ابن عقيل ج 327/1. شرح المفصل م 392/3.
(3) شرح ابن عقيل جـ329/1 والبيت قائله مجهول.
(4) الديوان ص145، وروى حفير، وشرح ابن عقيل ج 329/1. شرح كافية ابن الحاجب جـ 211/4.
(5) شرح ابن عقيل ج332/1.
(6) ابن عقيل ج 333/1. وشرح المفصل م 405/3.

يُوشك من فرَّ من منيته　　　　في بعض غِرَّاته يوافقها

ويقال أيضاً: يوشك أن يفعل، كما قال عمران بن حطان:

أفي كل عام مرضةٌ ثم نهضةٌ　　　　وتَنْعَى ولا تُنْعَى مَتَى ذا إلى متى؟

وقال الشاعر:

فيوشِك يومٌ أن يوافق ليلة　　　　يسوقان حتفاً نحوك أوغدا

والقاعدة العامة أن خبر كاد لا يقترن بـ " أن " في قول معظم النحويين، وهذا يوافق ما جاء في القرآن الكريم: ﴿**وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ**﴾[البقرة:71]. و﴿**فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾[النساء:78]. و﴿**الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ**﴾[التوبة:117]. و﴿**وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً**﴾[الإسراء:74]. و﴿**إن الساعة ءاتية أكاد أخفيها**﴾[طه:15]. و﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا**﴾[الحج:72]. و﴿**يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ**﴾[النور:43].

لم يقترن خبر كاد بـ " أن " في باب المقاربة؛ لأن الفعل في المقاربة يدل على الشروع كطفق وجعل، و" أن " تقتضى الاستقبال وفعل الشروع يقتضى الحال[1]، وأتى خبر مالا يدل على الشروع كعسى وأوشك وكرب مقترناً بأن مؤكدة لمقتضاه ووقوعه في الاستقبال. والمشهور بين العلماء أن خبر كاد تجرد من " أن"، وأن يكون مضارعاً، ولم يقترن بأن في القرآن الكريم ولم يأت اسماً، وهو المشهور في كلام العرب، ومنه ما أنشده سيبويه لعامر بن جوين الطائي[2]:

---

(1) ارجع إلى: شواهد التوضيح والتصحيح ص 98، 99. وأفعال المقاربة: كاد، كرب، أوشك، وأفعال الرجاء: عسى، حرى، اخلولق، والإنشاء: جعل، طفق، أخذ وعلق، وأنشأ، وتعرف بأفعال الشروع، وقد أطلق عليها جميعاً أفعال المقاربة من باب تسمية الكل باسم البعض.

(2) شواهد التوضيح ص 101، نهنه: كفَّ وخباسة: ظلامة، المغنم.

فلم أرَ مِثلَها خُباسةَ واحـــدٍ   ونهنهتُ نفِسى بَعْدَ ما كدتُ أفْعَلهْ

الشاهد: أفْعَله لم يقـترن بــ " أن "، وقيـل الفعـل نصـب بإضـمار " أن " وقـد حـذفت لـلضرورة الشعرية، وقد توهمها الشاعر مستعملة قياساً على خبر عسى، ثم حذفها ضرورة.

ويرى سيبويه أن دخول " أن " على خبر كـاد لا يسـتعمل فى الكـلام، وأن الشـاعر قـد يسـتعملها ضرورة تشبيهاً لها بعسى لا شتراكما فى المقاربة.

وقد صحت أحاديث اقترن فيها جواب كاد بأن، وذهب ابن مالك إلى جـواز اقـتران جوابهـا بـأن، وساق أدلة صحيحة عن فصحاء.

ويجوز أن يأتى خبر كاد مقترناً بأن فى مالا يدل على الشروع، وقد صحت شواهد فى العربيـة وقـع فيها خبر كاد مقروناً بأن فى كلام لا ضرورة فيـه، هـذا يؤكـد جـواز اقـتران خـبر كـاد بــ " إن ". وقـول أنسرضي الله عنه: " فما كدنا أن نصل إلى منازلنا"[1]، وقول الصحابى: " والبرمة بين الأثافى قد كـادت أن تنضـج "[2]. وقول جبير بن مطعم: " كاد قلبى أن يطير " [3]، اقترن خبر كـاد بـأن، لتأكيـد مقتضـاه ووقوعـه فى المستقبل، واقتضت كاد مقترنة بأن الاستقبال دون الشروع.

وقد اجتمع الوجهان (دلالة كاد على الشروع فلم تقترن بأن ودلالتها على الشروع، فاقترنت بهـا)، ومنها قول عمررضي الله عنه: " ما كدت أن أصلى (العصر) حتى كادت الشمس تغيـب ". أى : صـلى قبيـل أن تغيب الشمس[4].

ومــن ذلــك قــول النبــى ﷺ : " كـــاد الحســـد يغلـــب القـــدر وكـــاد الفقـــر أن يكـــون كفـــراً " [5]. ويغلـــب فى خـــبر " كـــاد " و " كـــرب " التجـــرد مـــن أن، ويقـــل اقترانـــه بهـــا،

---

(1) البخارى، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء على المنبر.

(2) البخارى، المغازى، باب غزوة الخندق.

(3) البخارى، كتاب التفسير، سورة الطور، باب حدثنا عبد اللـه بن يوسف.

(4) رواه البخارى، كتاب الأذان، باب قول الرجل ما صلينا.

(5) الجامع الصغير، والحلية؛ ومشكاة المصابيح 5051/25، رواه أنس، وهو حديث ضعيف.

وهذا بخلاف ما ذهب إليه الأندلسيون أن اقتران خبر كاد بـ " أن " مخصوص بالشعر للضرورة، وقد صحت أمثلة فى كلام العرب اقترن جواب كاد بـ " أن " وهو قليل. ورأى بعض العلماء أن اقتران خبر كاد بأن جائز، واحتجوا لذلك بأن ما ورد فى القرآن الكريم عدم اقترانه بأن، فقد رأى الحريرى أن ما ورد مقترناً بأن جائزاً، " إلا أن المنطوق به فى القرآن الكريم والمنقول عن فصحاء أولى البيان إيقاع أن بعد عسى وإلقاؤها بعد كاد "[1]، لأن المقاربة تقتضى ترك أن الموضوعه للاستقبال، وهو فى غاية الظهور.

وذهب آخرون - ومنهم المرزوقى - إلى أن ما ورد مقترناً بأن فصيح أيضاً، واستدل على ذلك بما روى عن النبىﷺ وهو أفصح الفصحاء: " كاد الفقر أن يكون كفراً "، و " كاد الحسد أن يغلب القدر "، وهذا معروف فى كلام العرب ومن ذلك مما قالته العرب قول الشاعر[2]:

أبيتم قبُول السَّلْم منّا فكدِتُمُ ـــو

لَدَى الحرْب أن تُغْنُوا السيوف عن السل

ورأى ابن مالك أن اقتران خبر كاد فى هذا الشاهد ليس بضرورة لتمكّن مستعمله من أن يقول:

أبيتم قبول السلم منا فكدتمـــو

لدى الحرب تغنون السيوف عن السل

والمعنى: كدنا لا نخرج السيوف استغناء عنها بفراركم.

فاقترن الجواب بـــ " أن " لعدم دلالته على الشروع، فجاءت أن مؤكدة لمقتضاه، ويرى ابن مالك أن عدم اقتران خبر كاد بـــ " أن " فى القرآن الكريم لا يعنى عدم جواز ما سمع عن العرب، فالوجه الذى جاء فى القرآن الكريم لا

---

(1) درة الغواص361، وقد سبقه الأصمعى إلى ذلك .

(2) شواهد التوضيح والتصحيح ص 101 والمعنى: إنا عرضنا عليكم الصلح والموادعة فلم تقبلوا هذا العرض، فلما التقينا جبنتم عن القتال وعجزتم عن مقاومتنا وفررتم.

يبطل غيره بل يرجح ما وافقه من كلام العرب على غيره، وما صح عن العرب لا سبيل إلى رده، فاطراد الحكم فى كل موضع محال، وقد صحت وجوه أخرى[1]، تخالف المشهور، ومما جاء على القليل، قول ذى الرمة[2]:

وجدت فؤادى كاد أن يستفزه رجيع الهوى من بعد ما يتذكر

وقال رؤبة بن العجاج[3]:

رسم عفا من بعد ما امّحى قد كاد طول البِلى أن يَمْصَحَا

واقتران خبر كاد بأن قليل فى العربية والمنقول عن أولى البيان عدم اقتران خبرها بـ " أن "، وقد حذفت" أن "بعد كاد فى بعض كلام العرب، وهو المشهور فيها [4]، ومن ذلك قولهم فى الأمثال: " كاد العروس يكون ملكاً " و" كاد المتنعل (أو المنتعل) يكون راكباً "، و" كاد الحريص يكون عبداً "، و" كاد النعام يكون طيراً "، و" كاد الفقر يكون كفراً "، و" كاد البيان يكون سحراً "، و" كاد البخيل يكون كلباً "، و" كاد السيئ الخلق يكون عبداً "، و" كاد الحسد يغلب القدر "، وهذا المشهور فى خبر كاد[5].

والعلة فى عدم اقتران الخبر بأن أن " كاد " وضعت لمقاربة الفعل، يقال: كاد النعام يطير، لوجود جزء من الطيران منه، و" أن" وضعت لتدل على تراخى الفعل ووقوعه فى الزمان المستقبل، فإذا وقعت بعد كاد نافت معناها الدال على اقتراب الفعل، وحصل فى هذا الكلام ضرب من التناقض، ورأى العلماء أن " عسى " ليست كذلك؛ لأنها وضعت للتوقع الذى يدل وضع " أن "

---

(1) لم ينسبه ابن مالك لقائل، ارجع إلى شواهد التوضيح والتصحيح ص101، ومعناه: إنا عرضا عليكم الصلح والموادعة، فلم تقبلوا هذا العرض، فلمّا التقينا جبنتم عن القتال وعجزتم عن مقاومتنا وفررتم حتى لقد كدنا لا نحتاج إلى إخراج سيوفنا من أغمادها.

(2) ديوان ذى الرمة ص 308.

(3) ديوان رؤبة ص 172، ولسان العرب: مصح، رسم: بقايا أثر الديار، عفا: اندثر، مصح: درس وعفا.

(4) ارجع إلى: درة الغواص ص 360، 361.

(5) ارجع إلى: درة الغواص ص 361. كاد الحسد يغلب القدر كاد الفقر يكون كفراً، وإن من البيان سحراً. من كلام النبوة الذى صار مثلاً.

على مثله، فوقوع " أن " بعدها يفيد تأكيد المعنى ويزيده فضل تحقيق وقوة. فالسبب المانع من اقتران الخبر بأن فى المقاربة دلالة الفعل على الشروع كطفق وجعل، وفعل الشروع يقتضى الحال، وأن تقتضى الاستقبال فامتنع استخدامها فيما دل على الشروع لتنافى الحال مع الاستقبال، ومن ثم جاءت فيما دل على الاستقبال لدلالتها عليه، فوقعت فى جواب عسى وأوشك وكرب، وكاد إن دلت على المستقبل جاز أن تقع أن فى خبرها، فاقتران خبرها بأن مؤكد لمقتضى وقوعه فى الاستقبال، وقد أكد هذا ما سمع من الفصيح بالنقل الصحيح الذى لا يرقى إلى الطعن أو التضعيف كما فى الأحاديث[1].

وأرى أن احتمال التعدد وارد فى كلام العرب وفيه اتساع للتعبير عن وجوه المعانى والأولى اتباع المشهور مع عدم تخطئة النادر.

ويندر فى خبر كرب أن يقترن بأن (مثل كاد)، ومما جاء مقترناً بأن قول أبى ذؤيب الأسلمى[2]:

سقاها ذوو الأحلام سَجْلاً على الظَّما

وقد كرَبت أعناقها أن تقطعا

وتجرد خبرها منها فى قول حبة اليربوعى[3]:

كرب القلبُ من جواه يذوبُ

حِينَ قال الوشاة: هندُ غضوبُ

وتركت أن فى خبر أفعال الشروع (الإنشاء): جعل، طفق، وأخذ، عَلق، أنشأ. تركت " أن " لما بين الشروع و " أن " من المنافاة، فأفعال الشروع تدل على

---

(1) ارجع إلى شواهد التوضيح والتصحيح ص 101 .

(2) شرح ابن عقيل ج 335/1 .والتصريح 207/1، وقال صاحب التصريح:" ولم يذكر سيبويه فى خبر كرب إلا التجرد من " أن " ، وأما أفعال الشروع فلا يقترن خبرها بأن مطلقاً .

(3) شرح ابن عقيل ج 335/1 وكرب بفتح الراء وسمع فيها الكسر .

الحال، و" أن " للاستقبال وذلك نحو: أنشأ السائق يحدو، وطفق زيد يَدْعُو، وجعل يتكلم، وأخذ ينظم، وعلق يفعل كذا، وقد تبين بما أسلفنا مفهوم العمل بالمشهور والنادر ومفهوم الشاذ فى اللغة الذى لا يقاس عليه.

وقد وقع الحمل فى العربية فى الحركات، وهى أصوات صائتة ثانوية تصاحب الحروف أو الأصوات الرئيسية الصامتة، ووقع الجمل فى الأبنية الصرفية، ووقع الحمل على المعن فى الجمل فأثر فى الأبنية والإعراب، وسوف نتناول ذلك فيما يأتى:

الحركة فى العربية صوت ثانوى يصاحب الصوت الصامت الذى يقبل الحركة، وعرفت الحركات بالصوائت وعرفت الأصوات الأساسية التى تقبل الحركة والتسكين بالصوامت.

وفى العربية نوعان من الحركات حركات قصيرة: الفتحة والضمة والكسرة، وحركات طويلة: الألف والواو والياء السواكن فى مثل: فاعل، شكور، عليم. ويشترط فى الطويلة أن تسبق بحركة تجانسها، للإشباع المد فيها خلافاً للحركات القصيرة التى تختلف فى نحو: رَجُل، وَجِل، عُمَر.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الحركات القصيرة أبعاض حروف المد واللين، فالفتحة جزء من الألف، والضمة جزء من الواو والكسرة جزء من الياء.

وكان بعض المتقدمين من العلماء يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة[1].

وذهب آخرون إلى أن الألف إشباع الفتحة فتوّلدت عنها، وأن الواو إشباع الضمة، والياء إشباع الكسرة، فالحركات القصيرة أصل الطويلة، ومن ثم لم يرمز القدماء للألف بحرف فى الرسم القديم؛ لأنه حركة، بيد أن علماء العربية استدركوا ذلك فوضعوا رمزاً للألف " ا " (وهو فى الأصل رمز الهمزة ويتبين هذا من اسمه)، وجعلوا رمز " و" للواو الصائتة الساكنة والصامتة المتحركة، وجعلوا " ى " رمزاً للياء الصائتة والصامتة، غير أن الألف ليست إلا صائتة فلا تتحرك، ولم يرمز العرب للحركات القصيرة (الضمة، الفتحة، الكسرة) بحروف فى الكلمات؛ لكثرتها خلافاً للغات الأجنبية التى يكثر فيها السكون ومن ثم رمزت للصوائت بالحروف (a ، e ، u ، i ،o)، والرمز لها فى العربية

(1) سر صناعة الإعراب، أبوالفتح عثمان بن جنى، المكتبة التوفيقية [د.ت] ج 1/ 28.

بالحروف يزيد حروف الكلمة لندرة السكون فيها وغلبة الحركات[1]. وقد وقع تماثل فى الحركات فتصير الحركة إلى الحركة، فتجانسها حملاً عليها، وإتباعاً لها فى اللفظ لتكون طوع الأداء، فتنوع الحركات فيه جهد.

وقد وقع الإتباع مطرداً فى بعض الأبنية وقيس عليه كل نظير، وسمع الإتباع فى بعض الكلمات، وسمع ما يخالفه، وقد جوّز العلماء القياس على القليل فيما يناظره، ويقع الإتباع فى الكلمة ويقع فى التراكيب والجمل.

أولاً – الإتباع فى حركات الكلمة: وهو أن تتبع الحركة الحركة فتجانسها فى كلمة واحدة، وهذا الإتباع بعضه قياس مشهور وبعضه سمع عن بعض العرب وليس بمشهور، ويكون فى الضم نحو: عُنُق وعُضُد، ويكون فى الفتح بَلَد، بَطَل، ويكون فى الكسر نحو: إِبِل، إِطِل (خاصرة).

وقد وقع الإتباع فى جمع " فُعْلة " من الصحيح، وهو مشهور نحو: حُجُرات، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[الحجرات:4] وغُرْفة: غُرُفَات: قال تعالى: ﴿**وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**﴾[سبأ:37] وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾[البقرة:168]. وقرأ الحسن (خُطْوات) بتسكين الطاء. وقرأ أبو السمال بالفتح والإتباع فى خُطَوات، والمشهور خُطُوَات.

وقُرْبة: قُرُبات: ﴿**وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللـه**﴾[التوبة:99][2].

ووقع الإتباع فى جمع فَعْلَة: فَعَلات نحو، حَسْرة: حَسَرات، قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللـه أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ**﴾[البقرة:167].

---

(1) طعن بعض الجهلاء فى نظام الكتابة العربية زاعمين أنه لا يوفى بأداء أصوات العربية وأنه لا يرمز للحركات بالحروف مثل نظام الكتابة الغربى، والحركات شائعة فى حروف العربية والتعبير عنها بالحركات يزيد نظام الكتابة تعقيداً، ونظام الكتابة الغربى يعجز عن التعبير عنها، والتسكين فيه كثير والتقاء الساكنين فيه عرف، ومن ثم الرمز للحركة فيه لا يزيد حروف الكلمة، بيد أن العربية تكثر من الحركة ولا يلتقى فيها ساكنان، ومن ثم الرمز للحركات يزيد حروف الكلمة، فاكتفى العلماء بالرمز للحركات الطويلة.

(2) البحر المحيط ج 91/5 ومختصر شواذ القرآن ص11. وارجع إلى الحمل على الجوار ص 149 / 150.

وسمع عن العرب: كهْلة: كَهَلات، وقيس عليها: لَجَبة (الشاة قليلة اللبن): لَجَبات، ورَبْعة (معتدل القامة): رَبعَات، وقد وقع الإتباع فى معتل اللام نحو: شهوة: شهوات، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾[آل عمران:14].

وقد سمع التسكين فى بعض جمع فَعْلة نحو: وغرة: وغْراتَ، رَفْضة: رَفْضات. ظبْية: ظَبْيَات، ووقع مثله فى معتل العين، وهو الأشهر فيه نحو: بيضة: بَيْضَات، جَوْزة: جوْزات، وسمع فيها قليلاً الإتباع: بَيَضات، جَوَزات.

والإتباع فى جمع شَهْوة مشهور فى القراءة (الشَّهَوَاتِ)، وجاء فى عَوْرة: عَوَرات، قرأ الأعمش: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾[النور:58] بتحريك الواو: عورات، وهى شاذة، ووافقها قول بنى تميم: رَفَضَات، جَوَزات، وعَوَرات، والمشهور فيها إسكان الواو (وزن فَعْلات من الأجوف الواوى)؛ لئلا تنقلب الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها مثل: قَوَل: قال[1]، ومما سمع فى لفظ الحبك: الحُبُك، والحِبِك على الإتباع، وقد صحت بها القراءة[2]. وقد أتبع الحرف الثانى حركة الأول فى جَفْنة: جَفَنات. غرفة: غُرُفات. سِدْرةَ: سِدِرات[3]، ولكن هذا ليس متسعاً فى معتل اللام نحو: خُطْوة، سمع فيه الإتباع، وسكون العين يقال: خُطُوَات وخُطْوات. ولحية سمع فيها لِحْيات دون إتباع؛ لامتناع تولى كسرتين وياء.

جروة: جَرْوَات. وجروَات، وزُبْية: زُبُيات[4]. وحُلْية: حُلْيَات وحُلُيات. ومُدْيات: مُدْيات ومُدُيات وقالوا فى العير (الدواب): عِيَرات بكسر العين وفتح الياء، حركوا الياء للتأنيث و لكونه اسماً فجمعوا على لهجة هذيل يقولون: بَيضَات وجَوَرات، والأصل التسكين[5].

(1) ارجع إلى: البحر المحيط ج 6 / 472. والحمل على الحوار ص 150.
(2) البحر المحيط ج 134/8، وسمع فى الحبك: الحِبْك، والحَبْك، والحُبْك، وتعنى إحكام الخلق والصنع.
(3) المحتسب ج 56/1، وهمع الهوامع للسيوطى ج 74/1.
(4) المحتسب ج 58/1، جروة أنثى الجرو (الكلب)، وزبية: الزابية لا يعلوها ماء ، جاء فى المثل: " بلغ السيلُ الزُّبى ": اشتد الأمر.
(5) اللسان جـ542/6 عير، ونسب ذلك إلى سيبويه.

وقد وقع الإتباع فى بعض الكلمات فى الفاء والعين نحو: عُنُق، وطُنُب، وعُضُد، ودُئُل (ابن أوى)، وإِبِل وقد سمع فيها غير الإتباع، وقد وقع فى العين واللام، يقال: امْرُؤ، فقد وقع الإتباع فى حركة الحرف الذى قبل آخر الاسم المعرب لحركة الإعراب فى الآخر، ونحو: امرِئ، فإن الراء تتبع حركة الإعراب فى الهمزة، قال تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾[النساء:176]. حركة الإعراب فى الهمزة الضمة، وحملت عليها حركة الراء فضمت، وأتبعت الراء الهمزة فى الفتح فى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾[مريم:28]. وكسرت الراء إتباعا لحركة الجر فى الهمزة فى قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم﴾[النور:11]. ومثلها: ابنم، يقال: جاء ابَنُمُ صالح، ورأيت ابَنَماً صالحاً، ومرت بابنِمٍ صالحٍ، ولا ثالث لهما فى اللغة فى إتباع العين اللام[1].

وأقيس الإتباع أن يكون الثانى تابعاً للأول، وقد وقع هذا فى مثل: مُدُّ، وشُدُّ، وشِمَّ، فِرَّ، بإتباع الثانى الأول[2]. وهذا ليس مطرداً فقد يتبع الأول ما بعده وإن فصل عنه، فقد وقع الإتباع على ذلك فى الأمر: أُدْخُل، أُقْتُل، أُخْرُج، ضمت همزة الوصل إتباعاً لحركة عين الفعل (الضمة)، والأصل فى همزة الوصل الكسرة نحو: اِذهَب، اِشْرَب، ولكنها أبدلت ضمة إتباعاً لحركة العين، فالكسرة لا تجانس الضمة، ولهذا صحت الكسرة فى الأمر اِضرِب، فالأمر يأتى من لفظ المضارع، "يِضْرِب"، وإتباع الثانى الأول أقيس، وهذا كثير فى اللغة ويكثر فى الجمع بالألف والتاء نحو: تمْرة: تمَرَات (بالفتح) فى الميم إتباعاً لحركة التاء (فاء الكلمة) ومثلها: سِدْرة: سِدِرات، بالكسر، وغُرْفة: غُرُفات (بالضم فى عين الكلمة، إتباعاً لحركة الفاء)، وإتباع حركة الفاء للعين فى لغة من قال فى لَدُنْ: لُدُّ فأتبعوا الضمَ الضمَ، وقالوا: يجوز فى كل فعل على وزن فَعِل بكسر العين

---

(1) الأشباه والنظائر ج 17/1، والميم فى ابنم تسمى تمييماً، وهى زائدة ووقعت موقع المحذوف من بنو فجرت عليها حركة الإعراب.

(2) المحتسب ج 37/1.

وعينه حرف حلق (ء ، هـ ، ع ، ح ، غ ، خ) أن تكسر فاؤه إتباعاً لكسر العين نحو: نِعِم، وبِئِس، وهذا قليل.

وقد وقع الحمل فى الفاء واللام ، فتتبع اللام الفاء، وهو إتباع منفصل لعدم اتصال الحركتين المتماثلتين، وذلك فى نحو: مُنْذُ؛ فإن الذال ضمت إتباعاً لحركة الميم، ولم يعتد بالنون حاجزاً. ومثله: " لم يَلْدَه أبوان " فى قول عمرو الجنبى (أو رجل من أزد السراة):

ألاربَّ مولود وليس له أبٌ ... و ذى ولدٍ لم يَلْدَهُ أبوان

فتح الشاعر الدال إتباعاً لفتحة الياء عند سكون اللام[1].

وقد يقع الإتباع فى حركتى حرفين منفصلين، يقال فى بعض اللهجات: مِنْخِر ومِنْتِن ومِغْيِرة بكسر الحرف الأول والثالث، ومنهم من يقول: مُنْخُر ومُغْيُرة[2].

ثانياً ـ الإتباع فى حركات التراكيب: الحركات فى التراكيب قد تتبع بعضها بعضاً، ومن ذلك قراءة النخْعِى: ﴿**فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾[الأنفال:41] قرأ: خِمسة بكسر الخاء إتباعاً لحركة الهاء قبلها[3]: (للهِ خِمسه).

وقراءة أبى مالك الغفارى والحسن: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ**﴾[الذاريات:7] (ذَاتِ الْحِبُكِ) بكسر الحاء إتباعاً لحركة التاء[4]، وقد أنكرها بعض العلماء لعدم وجود " فِعُل " بكسر الفاء وضم العين، ومما جاء على ذلك: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا**﴾ [البقرة:276] بضم الباء: الربُو وهى قراءة شاذة. ومثلها قراءة أبى السمال ﴿**مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا**﴾[البقرة : 278][5] بضم الباء وسكون الواو (الربُوْ).

---

(1) مغنى اللبيب، وبها مشه حاشية الشيخ محمد الأمير، ابن هشام، دار إحياء الكتب (الحلبى) 181/1، وجـ 217/1 (ط إحياء الكتب)، والأشباه والنظائر جـ 18/1.

(2) الأشباه والنظائر ج 18/1.

(3) البحر المحيط ج 499/4.

(4) البحر المحيط ج 134/8 وهى قراءة شاذة عند ابن عطية.

(5) المحتسب ج 142/1.

ومن ذلك ضم لام الجر فى بعض وجوه: " الحمدُ لُله " وقد ضمت اللام فى " لُله " لمجاورتها الدال[1]، وهى قراءة إبراهيم بن أبى عبلة، والضم فيها لإتباعها الدال المضمومة، وقراءة الحسن البصرى: (الحمدِ لِله) بكسر الدال لإتباعها اللام[2].

والإتباع يكون فى كلمتين تنزلان من منزلة كلمة واحدة، لكثرة استعمالهما مقترنتين، ومن ذلك "الحمد لله" [3]. ويرى الزمخشرى أن أشف القراءتين وأفضلهما قراءة إبراهيم بن أبى عبلة، حيث جعل الحركة البنائية تابعة للإعرابية التى هى أقوى بخلاف قراءة الحسن الذى أتبع حركة الدال حركة اللام فكسر اللام والأصل الضم[4].

وقد نسب ابن جنى الإتباع إلى أهل البادية، ونسب إليهم قراءة الضم فى الحمدُ لُله ، وبعضهم يقرأ القرآن الكريم متأثراً بلهجته ولا يراعى الرواية فى القراءة وكلاهما (الضم والفتح) شاذ فى القياس والاستعمال[5].

والإتباع مطرد فى بعض اللهجات لكثرة استعماله، وهو إتباع أحد الصوتين الآخر، ويتبع ذلك فى كلمتين تشبيهاً متلازمتين لهما بالجزء الواحد، وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر، فصارت (الحمدُ لُله) بالضم، كعُنُق وطُنُب، والكسر فى (الحمدِ لِله) كإِبِل وإِطِل، إلا أن (الحمدُ لُله) بضم الحرفين، أسهل من (الحمدِ لِله) بكسرهما، وذلك لسببين:

أولهما - أنه إذا كان إتباعاً، فإن أقيس الإتباع أن يكون الثانى تابعاً للأول، وذلك أنه جارٍ مجرى السبب والمسبب، والسبب أسبق رتبة من المسبب، فتكون ضمة اللام تابعة لضمة الدال فى (الحمدُ لُله) كما نقول فى مضعف العين

(1) الاقتراح ص 250.
(2) الكشاف ج 16/1 (ط مكتبة مصر).
(3) المحتسب 37/1.
(4) الكشاف 16/1.
(5) المحتسب 37/1.

واللام: مُدُّ، وعُضُّ ونقول فى الفتح: شَمَّ وعَمَّ، والكسر: فِرِّ فتتبع الثانى الأول. ورأى ابن جنى أن هذا أقيس.

وأتت الحركة الأولى تابعة للثانية خلافا لما سبق فى الأمر من مضموم العين نحو: اُخرُجْ، اُقْتُلْ، اُهْجُرْ.

وقد ضمت همزة الوصل لضرورة تيسير ضم عين الفعل، والأصل فيها الكسر، ورأى ابن جنى أن هذا الإتباع فى اُقْتُل واُخْرُج وباب مضموم العين لا يعتد به؛ لأن همزة الوصل تسقط وصلاً نحو: فاقتُل زيداً، وليست كذلك الضمة فى مُدُّ، ولا فتحة الميم فى شَمَّ، ولا الكسرة فى راء: فِرِّ؛ لأنهن ثوابت فى الوصل الذى عليه معقد القول، وبه القياس فالإتباع فى الكلمتين الموصولتين فى الأداء كلمة واحدة.

وثانيهما - أن ضمة الدال فى " الحمدُ " إعراب، وكسرة اللام فى " لِله " بناء وحركة الإعراب أقوى من حركة البناء، والعمل بالإعراب أولى، والأقوى يغلب على الأضعف، والضم الأصل فى الإعراب، وإتباع الثانى له يبقى عليه، بيد أن الكسر يخالف ما عليه الإعراب.

والإتباع بالضم فى كلام العرب كثير نحو: السُّلُطان والقُرُفصَاء، والإتباع بين المبتدأ والخبر كثير لشدة اتصال المبتدأ بخبره(1).

وقد تحمل حركة الفاء فى الثانى على حركة الفاء فى الأول نحو: ما سمعت له حِسَّاً ولا جِرْساً، كسرت الجيم على الإتباع، فالأصل: جَرْس (الصوت الخفىّ)(2). وهذا يقع فى القوالب اللفظية المتلازمة ومنها "رِجْسُ نِجْسُ (بكسر النون) حملاً على كسر الراء فى رِجس، والأصل نَجَس بالفتح قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[التوبة:28]. والإتباع فى التراكيب المتلازمة يوافق

---

(1) ارجع إلى: المحتسب ج 37/1، 38، 39 والخصائص 145/2 ، 141/3. والكشاف للزمخشرى ج 16/1 والكتاب لسيبويه 272/2.

(2) ارجع إلى: الأشباه والنظائر ج 18/1.

مذهب من رأى أنه يقع فى كلمتين تقعان موقع كلمة واحدة فى الخطاب على سبيل القوالب اللفظية أو المصاحبات التى تأتى فى قالب واحد دون تجزىء فيها، فهى تشبه المثل، وقد بينا أن الإتباع وقع فى غير القوالب اللفظية المتلازمة فى صك واحد، وهو فيها كثير بيد أنه ظاهر فى القوالب اللفظية لوجود قرينة تدل عليه عند حمله عليها، فرجس فى الشكل خلاف نجس، فى الأولى[(1)]

وقد يتأثر الأول بحركة الثانى، ومنها قراءة: ﴿**وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ**﴾ [يوسف:31] بضم تاء التأنيث وحقها السكون، ﴿**وَعَذَابٍ * ارْكُضْ**﴾[ص:40،41] بضم " عذابُ " إتباعاً لحركة همزة الوصل، والأصل: (وعذابٍ اركُض). فعدل عن الكسر إلى الضم للإتباع. ومنه: ﴿**نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً**﴾[المزمل:3] بكسر انقصِ، ﴿**وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا**﴾ [الحجر:45، 46] بضم عيون، وهى قراءة التمار عن رويس[(2)].

ونحو: وَيلٌ لُأمِّه (بضم اللام) وفى ضمها وجهان:

أحدهما - أن يكون إتباعاً للهمزة. وقد كسرت اللام في قراءة: ﴿**فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ**﴾[النساء:11] لإمه: وقد كسرت الهمزة إتباعاً للام[(3)]، وقد حذفت الهمزة تخفيفاً وبقى تابع حركتها في اللام على ما كان عليه.

والثانى – أن يكون الأصل: ويلُ أُمِّه، بإضافة ويل إلى الأُم، تنبيها على شكلها، وويلها لفقده، والوجه الأول (الضم) أجود ليتحد المكسور والمضموم، وهذا أيسر في الأداء[(4)].

---

(1) الأشباه والنظائر ج 16/1.

(2) الحجة فى علل القراءات السبع ج 96/1، 97.

(3) شواهد التوضيح والتصحيح ص 156 ، 157 وى اسم فعل بمعنى التعجب، واللام متعلقة به، ونصب "مِسعَر حرب " على التمييز.

(4) نفسه.

وقد يحمل الإتباع على حركة الحرف الأول في الكلمة الثانية فيحمل عليها حرف الإعراب في الحركة، وذلك في قراءة من قرأ: الحمد لله (بكسر الدال إتباعاً للكسرة في لام الجر)[1].

وقد رجح ابن جنى الحمل على حركة الإعراب؛ لأنها أقوى من حركة البناء، ومن ثم فالأقوى قول القائل: الحمدُ لُلَّه. وأرى أن الكسر غلب في (الحمدِ لِله) لوقوعه في اللام والهاء من لفظ الجلالة، فقوى التتابع الكسر، فغلب الضم، وهو أيسر نطقاً في اللام لعدم شهرته في الخطاب.

إشباع الحركات القصيرة

إشباع الحركة إطالتها أو مطلها، لإظهارها فى السمع، ولتحقيق الإيقاع المؤثر فى النفس، والإشباع فى الحركات دون الصوامت الصحيحة، وقد سمع الإشباع فى فصيح العربية، ومنه القراءات التى سمع فيها تحريك الساكن ومطل حركته، نحو: هم: همو أوهمى، وإشباع الحركة القصيرة نحو: لهو وبهى فى قوله تعالى: ﴿**أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**﴾[الفاتحة:7]. فيها قراءات منها: عليهُمُ وعليهُمُوُ، وعليهِمِ وعليهِمِى، وعليهُمْ وعليهِمْ (دون إشباع).

وقد تحركت ميم الجمع - والأصل فيها السكون - إتباعاً لحركة الضمير قبلها (الهاء)، فالأصل فيه الضم نحو: لهُ، ضربه، وقراءة " عليهمُ " بضم الميم قراءة الأعرج، وقيل إن الواو فيها حذفت تخفيفاً، وبقيت الضمة دليلاً عليها[2].

و" عَليهِمُو " بكسر الهاء وواو بعد الميم، وقد قرأ بها ابن أبي إسحق ومسلم بن جندب والأعرج وعيسى الثقفى وعبد الله بن يزيد، والميم فيها للزيادة عن الواحد ومن ثم قالوا: عليهما، وزادوا الواو لإخلاص الجمعية لتخالف الألف التى زيدت لإخلاص التثنية، وقيل إن الواو إشباع للضم فى الميم، وقد ضمت

---

(1) المحتسب ج37/1 ونسب ابن جنى هذه القراءة لإبراهيم بن أبي عبلة، وهو من التابعين أخذ القراءة عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت يحيى الأوصابية، وهى قراءة شاذة.

(2) المحتسب ج 45،44/1.

الميم إتباعاً لحركة الهاء. و" عليهِمِى " قراءة الحسن وعمرو بن فايد، وقد كسرت الهاء فيها لوقوع الياء قبلها ساكنة، فتابعت الميم الهاء فى الكسر ثم أشبع الكسر فيها(1).

وسمع فيها: " عليهُمِى " بضم الميم على الأصل، والأصل: عليهُمُ، فأبدلت الضم فى الميم إلى كسرة، فقلبت الواو فى عليهمو إلى ياء، قياساً على قلبها فى الأدلى جمع دلو، فالأصل: الأدلُو مثل الأكْلُب جمع كلب، فقلبت الضمة كسرة تطرقاً إلى قلب الواو ياء تيسيراً للأداء(2).

وجاء فى رواية أحمد بن صالح عن ورش قرأ (مالكى) فى: ﴿**مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[الفاتحة:4]. بإشباع كسرة مالك. ومثل ذلك قراءة الحسن: ﴿**سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ**﴾[الأعراف:145] بإشباع ضمة الهمزة: أورى.

ومثله رواية أحمد بن صالح عن ورش: (إياك نعبدو) فى ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[الفاتحة:5] بإشباع ضمه الدال: نعبدو(3).

وجاء فى قوله تعالى: ﴿**سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى**﴾[الأعلى:6]. قيل: لا: جَحْد بمعنى لست تنسى، وتنسى: فعل مضارع ولا علامة للرفع فيه؛ لأن الألف فى آخره بدلُ من ياء، والأصل: تنسى، فانقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقال آخرون: لا: نهى، وتنسى: جزم، والأصل: فلا تنس؛ فأشبع الفتحة ليوافق رءوس الآى فوقع فيها الإشباع، كما قرأ حمزة: (**لا تخف دركاً ولا تخشى**)(4) ومثلها: (**سلاسلا**)[الإنسان: 4] و (قواريرا)[الإنسان:15، 16] أشبعت الفتحة فيهما فصارت ألفاً بغير تنوين، وقرأ نافع وأبو بكر وهشام والكسائى

---

(1) المحتسب ج 45/1.

(2) نفسه ج 45/1.

(3) شواهد التوضيح والتصحيح ص 23، 24، والمحتسب ج 258/1.

(4) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ابن خالويه، دار المنارة ص 57، 58 ، والآية: ﴿لاَ تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾[طه:77]. بالألف فى " لا تخاف " على الإخبار بالنفى دون النهى.

بالتنوين[1]. ومن ذلك مد حركة همزة الاستفهام فى قراءة أبى جعفر: ﴿**سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ**﴾[المنافقون:6] آستغفرت؛ بإشباع حركة الهمزة فصارت ألفاً بعد الهمزة.

وقد حذفت همزة الوصل من " استغفر " للاستغناء عن حركتها بحركة همزة الاستفهام، وقد زيدت همزة الوصل؛ ليتوصل بها إلى نطق الساكن، فأغنتِ عنها الهمزة، وقد أشبعت الفتحة مداً فى قراءة أبى جعفر، فصارت ألفاً بعد الهمزة آستغفرت، والأصل القصر، نحو: ﴿**أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ**﴾ [الصافات:135] سقطت همزة الوصل لاتصال الهمزة بالسين، فهمزة الوصل تسقط فى الكلام المتصل، ولكن فتحة الهمزة أشبعت مداً فى (آستغفرت)[2].

وقد توّلد عن إشباع الحركة القصيرة ألفاً على نحو قول بعض العرب: " بينا زيد قائم "، يردون: " بين " أوقات قيام زيد جاء عمرو، فأشبعت فتحة النون وتولد الألف. وحكى الفراء عن بعض العرب: أكلت لحما شاة. يريد: لحم شاة، فأشبعت فتحة الميم، وتولدت الألف.

وقد أشبعت الفتحة فى قول الفرزدق:

فظلا يخيطان الوراق عليهما   بأيديهما من أكل شرَّ طعام

الشاهد: الوراق[3] أشبع الفتحة، والأصل: الورق، وقال ابن هَرْمة يرثى ابنه:

فأنت من الغوائل حين تُرْمَى   ومن ذمّ الرّجال بمنتزاح

وأصل منتزاح: منتزح. ومنه قول عبد يغوث بن وقاص الحارثى[4]:

وتضحك منى شيخة عبشمية   كأن لم ترا قبلى أسيراً يمانيا

---

(1) التبيان للعُكبرى جـ1257/2، 1259.

(2) شواهد التوضيح والتصحيح ص 22 وارجع إلى المحتسب ج 1/ 69، والأشباه والنظائر جـ 51/1.

(3) شواهد التوضيح والتصحيح ص 22.

(4) المحتسب ج 69/1 وسر صناعة الإعراب ج 86/1.

الشاهد: لم ترا، أشبع الفتحة فأنشأ عنها الألف، وقال الشاعر(1):

أقول إذ خرّت على الكلكال   يا ناقتا ما جلت من مجال

وأصلها: الكلكل. وقال الفرزدق(2):

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة   نفى الدنانير تنقاد الصياريف

والشاهد: الصياريف، أشبع كسرة الراء، فصارت ياء حملاً على لفظ الدنانير، وتشبيها بما جمع تكسيراً نحو: ذكر: مذاكير، سمح: مساميح.

ومنه قول قيس بن زهير العبسى(3):

ألم يأتيك والأنباء تنمى   بما لاقت لبونُ بنى زياد

الشاهد: ألم يأتيك، وحقها حذف الياء للجزم، وقد حملت الياء على الإشباع، ويروى: ألم يبلغك مكان ألم يأتيك(4)، ومنه قول الشاعر(5):

اللـه يعلمُ أنا فى تلفتنــــا   يوم الفِراق إلى أحبابنا صُورُ

وأننى حَوْثُما يثنى الهوى بصَرى   من حوثُما سلكوا أدنُو فأنظَورُ

والواو حاصلة من إشباع الضمة فى أنظُرُ، ومنه قول الشاعر(6):

خَوْدُ أناة كالمهاة عُطْبولْ   كأنَّ فى أنيابها القَرَنْفُولْ

والقرنفول: القَرَنْفَل.

وبعض العلماء حمل الزيادة فى إشباع الحركة على الضرورة بيد أنها فى القرآن الكريم تأكيد للحركة فتسمع مداً فتمد فى القراءة للتطريب، ويكون المد

---

(1) شواهد التوضيح والتصحيح ص 23 والمحتسب ج259/1.

(2) ديوان الفرزدق ص 570 والمحتسب ج 258/1 وشواهد التوضيح ص 23 وهذا البيت فى وصف سرعة الناقة فذراعها الأماميتان فى سرعتها تشبه ذراعى الصيريف فى عد الدراهم.

(3) الخصائص جـ334/1، 338، المحتسب ج 67/1، والأغانى ج 180/16.

(4) الكتاب ج 59/2، والأغانى ج 27/16.

(5) شواهد التوضيح ص 34 شرح المعلقات، الزوزنى ص 144 ونسبة الزوزنى لإبراهيم بن هرمة. وخزانة الأدب ج58/1 ، المحتسب ج259/1، واللسان م428/5، الصور: جمع أصور وهو المائل المشتاق، وثنى: أمال

(6) شواهد التوضيح والتصحيح ص 34. والمحتسب ج1 /259 والخصائص ج3 /124. روى: عَيْطاء جمَّاء العظام عُطبول، وروى: مكمورة جم العظام، والعيطاء: الطويلة العنق، والعطبول: المرأة الفتية الجميلة العنق.

أبلغ فى السمع إذا انتهى بحرف شديد نحو: عماد، بلاد، الوادِ (بالوقف على الدال دون الياء)، ووقع فى القرآن الكريم فى الضمائر نحو: لهو، بهى، لهوو. وهذا المد لتمكين الإيقاع فى السمع، والعامة تقول: إيهاب، إيجاب، والأصل: إهاب، إجاب. ويقولون فى النداء محماد، علاى، فى محمد، على فأشبعوا الحركة لتمكين مد الصوت.

وتتغير حروف العلة تأثراً بالحركات التى تسبقها، فقد يتغير الأصل إلى الفرع استجابة لنوع الحركة التى تجذب حرف العلة، فيتحول إلى صوت من جنس حركتها نحو: باع، وقال: الأصل: بَيَع، وقوَل تحركت الواو والياء بالفتح وقبلها فتحة، فقلبت الواو والياء ألفاً من جنس حركة الفتحة، ويقاس على ذلك كل نظير، والألف فرع وليست بأصل ، فالأصل الياء والواو.

وقد لا يتغير الحرف إن كان أصلاً، نحو: معايش، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ**﴾[الأعراف:10، الحجر:20] لأنها من عيش فالياء أصل فى المفرد فلا تهمز، وتحركت الياء؛ لأنها فى الأصل متحركة، ومثلها: طواويس و نواويس، فالأصل طاووس ناووس فبقيت الياء للدلالة على ياء فعاليل خلافاً لأوائل، أصلها: وواول فقلبت الواو الأولى همزة والواو التى بعد الألف.

وتتأثر بنية الكلمة بالحركة التى تسبقها، فالحرف الأخير المعتل (واو أو ياء إن سبق بكسرة صار فى بناء " فاعل " ياء نحو: الداعى، والراجى، والأصل: الداعو، والراجو، فقلبت الواو والياء للكسرة قبلها، ويقاس على ذلك كل نظير، ومثل ذلك بناء فاعل من الأحرف، تقلب عينه إلى همزة وتخفف ياء فى بعض اللهجات، وذلك لانكسار عين البناء بعد ألف مد، وتستوى فى ذلك الواو والياء فى عين الفعل نحو: القائل، البائع، النائح، والأصل: القاول، البايع، الناوح، ويقاس على ذلك كل نظير.

وقد أثرت الحركة فى المعتل وليست مجاورة له نحو: قِنية، صِبية، عِلْية، دنيا، صبيان، والأصل: قِنْوة، صِبْوَة، صِبْوان، دِنْوا، عِلْوة، وقد قلبت الواو ياء

لتماثل الكسرة، التى فصلها عنها سكون فلم يعتد بالساكن حاجزاً لضعفه، فتأثرت الواو بالكسرة التى تجاورها، وقد وقع ذلك فى حركة همزة الوصل فى الأمر من بعض الثلاثى الذى مضارعه يَفْعُل (بضم العين) والعين لم تباشر الهمزة فيه فقد فصلها عنه السكون فى اُفْعُل ولم يعتد بالساكن حاجزاً، والأصل فى همزة الوصل الكسر، ولكنها قلبت ضمة تأثراً بعين الفعل فى نحو: اُقتُل، اُخْرُج،اُغرُب، اُنصُر، اُغْزُ، اُكْتُب[1].

وقيل إن الهمزة ضمت لتجانس حركة عين الفعل لئلا ينتقل المتكلم من كسر إلى ضم فيثقل اللفظ، ولتكون الضمة فى الهمزة مؤشراً على ضم العين فلا يتوهم المتكلم فيها غير الضم خلافاً لما فتحت عينه نحو: اذَهب، اِقْرَأ، اِشْرَب أو ما تكسر عينه نحو: اِضْرِب، اِجْلِس.

(1) سر الصناعة ج 49/1 وما بعدها.

قد يحمل حرف على معنى حرف فيعمل عمله فى اللفظ والمعنى، وهذا باب من أبواب التوسع لنقل الحرف عن أصل عمله إلى موضع حرف آخر للاتساع فى وجوه القول والتعبير، والحروف العاملة فى اللفظ والمعنى تسمى حروف المعانى، ومنها ما وضع على حرف واحد نحو: باء الجر وكاف التشبيه ولام الجر والتوكيد وواو العطف والقسم وغيرها، ومنها ما وضع على حرفين نحو: من، عن، ومنها ما وضع على ثلاثة نحو: بيد، ربَّ، ومنها ما وضع على أربعة نحو: لولا، هلاَّ، لوما، أمَّا، وإمَّا، لعلّ، كيما.

وهى حروف توظف فى التراكيب فيتأثر بها المعنى واللفظ، ويكون لها معنى فى التراكيب يتأثر بأجزائه، وليس لها معنى فى ذاتها.

ويكون للحروف أثران: أثر فى المعنى أو أثر فى اللفظ أو يكون فيهما معاً، وقد لا يعمل الحرف فى اللفظ، فيكون للمعنى فقط.

والحمل يقع فى الحروف على اللفظ والمعنى وحمله على المعنى أكثر.

أولاً - حمل حرف المعنى على معنى غيره

قد يحمل حرف المعنى على معنى غيره، فالحرف ما ليس له معنى فى ذاته بل فى وضعه مع غيره فى تركيب، ولا يعنى الوحدة الصوتية فى اصطلاح الصوتيين بل المراد الحرف الذى يرتبط بالتراكيب اللغوى، وقد أطلق عليه اللغويون " حرف المعنى " لدخوله فى معنى التراكيب، فالحرف ليس له معنى فى ذاته بل فى تركيب تتوصل به كلمة إلى معنى غيرها، فيؤلف بين أجزاء التركيب ويلحم بين معانيه، فالحرف بمنزلة المادة التى تصل بين اللَّبِن وتلحم بينها وتسد خلتها، ويختلف المعنى باختلاف الحرف نحو: مررت بالحقل، ومررت على الحقل، ومررت فى الحقل، فالأول بمعنى مررت مجاوراً الحقل، والثانى بمعنى شاهدت الحقل، والثالث بمعنى مشيت فيه، فالمعنى يتأثر بالحرف

الذى يتعدى به الفعل، وقد يقع الحرف موقع غيره من المعنى. ومن أمثلة ما حمل على المعنى " فى " تكون للتضمين نحو: العلم فى الكتب والمال فى الخزانة. وتكون بمعنى مع، قال تعالى: ﴿**فِي تِسْعِ آيَاتٍ**﴾[النمل:12] وتكون بمعنى " إلى " نحو: " رددتُ يدى فى فىّ " قال تعالى: ﴿**فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ**﴾[إبراهيم:9][1]. وتكون بمعنى " على "، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾[طه:71]، وقوله تعالى: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**﴾[الملك:15] أى: على مناكبها. وقال سويد بن أبى كاهل[2]:

وهم صلبوا العبدىَّ فى جِذْع نخْلَةٍ　　　فلا عطستْ شيبان إلا بأجْدَعا

أى: صلبوه على جذع نخلة. وتكون بمعنى " الباء "، ومنه قول الشاعر[3]:

وخضخضن فينا البحر حتى قطعنه　　　على كل حال من غمار و من وَحلْ

أى: خضخضن بنا البحر، وقيل هنالك محذوف تقديره: فى جوارنا.

وقال آخر[4]:

نلوذ فى أم لنا ما تُغْتَصَبْ　　　من الغمام ترتدى وتنتقب

أى: نلوذ بأم، وقيل حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والمعنى: نلوذ فى أمر أم لنا أو فى شىء. وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ**﴾[البقرة:210]. قيل معناه: بظلل من الغمام، يعنى تعجيل العقوبة لهم، وعليه أوّل بعض العلماء رواية ثوبان مولى رسول اللهﷺ: " أتانى ربى فى أحسن صورة "[5]، وللعلماء فى سنده كلام، قال محمد بن شجاع: " وإن صح معناه احتمل أن يكون أريد به

---

(1) رصف المبانى فى شرح حروف المعانى، دار ابن خادون ص 425.

(2) رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ص 425.

(3) الخصائص ج 313/2 ورصف المبانى ص 426.

(4) أدب الكاتب، ابن قتيبة ص 400. ورصف المبانى ص 426.

(5) أخرجه مالك فى الموطأ ، ورواه أحمد عن عبد الرحمن بن عايش مرفوعاً، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 3169، والترمذى رقم 3233 عن معاذ بن جبلﷺ .

أتانى ربى بأحسن صوره، والفاء (يعنى فى) بمعنى الباء " وإبدال الباء بفى سائغ فى اللغة[1]. قال محمد بن شجاع: ويحتمل تأويلاً آخر، وهو يعنى أتانى ربى فى الصورة مدبراً لها، والصورة مَلَك واللـه عز وجل فيها بمعنى التدبير لها. ولكن ابن فَوْرَك غلَّط ابن شجاع؛ لأنه تأوّل الحديث على مذهبه الذى يرى أن اللـه تعالى فى مكان أوفى كل مكان يدبره[2].

أم : حرف عطف نائب عن تكرير الاسم والفعل نحو: أزيد عندك أم عمرو؟. واستخدم بمعنى " بل " كقوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ**﴾[الطور:30]. واستخدم بمعنى " أو " : أمررت برجل أم امرأة، ونحو: أزيد قام أم عمرو؟ أى أو عمرو؟ للسؤال عن أحدهما[3].

أو: حرف عطف يأتى بعد الاستفهام للشك: أمحمد عندك أو على؟ وقد استخدمت بمعنى الواو فى قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**﴾ [الصافات:147]. والمعنى: ويزيدون، وقيل هى بمعنى بل أى: بل يزيدون.

إنْ : تكون شرطاً نحو: إن خرجتَ خرجتُ. وتكون نفياً كقوله تعالى: ﴿**إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ**﴾[الملك:20]. بمعنى: ما الكافرون إلا فى غرور. وتكون بمعنى " إذا " قال تعالى: ﴿**وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران:139]. وقيل إنها بمعنى " لقد " فى ﴿**إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ**﴾ [يونس:29]. وتكون بمعنى " أى " فى قوله تعالى: ﴿**وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا**﴾[ص:6]. بمعنى: أى امشوا، ﴿**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللـه رَبِّي وَرَبَّكُمْ**﴾ [المائدة:117] أى: اعبدو، فهى مفسرة. وأنْ

---

(1) مشكل الحديث ص 24. قال محمد بن شجاع فى تخرج الحديث: إن هذا الحديث أولاً معلول من طريق الرواية، وذلك أنه رواه أبو يحيى عن أبى يزيد عن أبى سلام، وأبو يحيى ضعيف.

(2) نفسه.

(3) الصاحبى، لابن فارس ص 167، 168 وشرح الكافية ج 404/4. ورصف المبانى ص 100.

المصدرية كقوله لله تعالى: ﴿**وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾[البقرة : 184]. بمعنى: الصوم خير لكم. ولها معانٍ أخرى[1].

أنى : بمعنى كيف كقوله جل ثناؤه: ﴿**أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللـه بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ [البقرة:259]. و﴿**أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[التوبة:30]. وتكون بمعنى " من أين " كقوله تعالى: ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ**﴾[الأنعام:101]. أي: من أين يكون له ولد؟ وقيل معناها: كيف[2]. ومنها قوله تعالى: ﴿**أَنَّى لَكِ هَـذَا**﴾[آل عمران:37]. أي: من أين، فيجوز إضمار " من " من أين؟. ومنه قول الشاعر[3] :

ومن أين عشرون لنا من أنَّى

وتكون بمعنى متى، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَنَّى شِئْتُمْ**﴾[البقرة:223] أي: متى، وقيل: كيف وأنَّى بمعنى الشرط، ومنها قول لبيد بن ربيعة[4]:

فأصبحت أنَّى تأتِها تلتبسْ بها

كِلا مركبيها تحت رجليكَ شاجرُ

على[5]: وتكون في المشهور بمعنى" فوق" نحو: جلس على البساط. أي فوق. وتكون بمعنى " لام " التعليل نحو: أقدم على قتله. أي: لقتله.

وتكون بمعنى " إلى " نحو: أقبل رجل على الحاكم. أي: إلى.

وتكون بمعنى " حول " نحو: جلسوا على المائدة. أي: حول.

وتكون بمعنى " عن " نحو: رضيت عليك، أي: عنك.

وتكون بمعنى " مع " نحو: فلان على جلالته يقول كذا. أي: معها.

وبمعنى " الباء " في نحو: مررت على فلان. أي: مررت به.

---

(1) رصف المباني ص 111 ، 112.

(2) الصاحبي ص 200.

(3) شرح كافية ابن الحاجب ج 284/3 وخزانة الأدب ج 83/7.

(4) شرح كافية ابن الحاجب ج 285/3، ديوان لبيد ص 220، وخزانة الأدب 91،92/7. وشرح المفصل لابن يعيش 110/4.

(5) رصف المباني في شرح حروف المعاني، دار ابن خلدون ، ص 405 وارجع إلى: شرح كافية ابن الحاجب ج 321/4.

ثانياً- الحمل على العمل الإعرابي

وقد يحمل الحرف على لفظ غيره فيعمل عمله فى الإعراب ومن ذلـك" مـا " و" لا " و" لات " و" إنْ ". المشبهات بليس فى العمل، قيل تعمل عمل كان بيد أنها نسبت إلى ليس لمعنى النفى فيهـا، وأن ليس على المشهور حرف، فحملت عليها.

ما : تعمل فى لهجة قريش (أو لهجة الحجاز)، وحملت على عمل ليس لشبهها بهـا لنفـى الحـال عنـد الإطـلاق فيرفعـون بهـا الاسـم وينصـبون بهـا الخـبر، ووجّـه عـلى هـذا قولـه تعـالى: ﴿**مَا هَـذَا بَشَرًا**﴾[يوسف:31]. وقوله تعالى: ﴿**مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ**﴾[المجادلة:2][1].

ولكن قبيلة تميم لا تعمل " ما " فلا يكون لها أثر إعرابى. ويعمـل الحجـازيون " لا " عمـل لـيس، ومذهب تميم إهمالها، نحو: لا رجلُ أفضلَ منك، ونحو: لا طالبُ راسباً. وقال الشاعر[2] :

نصرتك إذا لا صاحبٌ غيرَ خاذلٍ فبوِّئت حِصناً بالكُماة حَصِنَا

والشاهد: لا صاحبُ غيرَ خاذلٍ، والمبتدأ والخبر نكرتان. وقال النابغة[3]:

وحلّتْ سوادَ القلب لا أنا باغياً سواها ولا عن حُبِّها متراخيا

الشاهد: لا أنا باغياً، حملت لا على عمل ليس، والمبتدأ معرفة والخبر نكرة، والمشهور بين العلماء أن يكون المبتدأ والخبر نكرتين.

---

(1) شرح ابن عقيل ج 302/1. وشرط عمل " ما " عمل ليس فى لهجـة الحجـاز أن لا يـزاد بعـدها " أن " وألا تنتفـى بإلا، وألا يتقدم خبرها على اسمها، وهو غير ظرف ولا جار ومجرور، وأن لا يتقدم معمول الخبر عـلى الاسـم وهـو غير ظرف ولا جار و مجرور. وألاّ تتكرر " ما " فإن تكررت بطل عملها، وألا يبـدل مـن خبرهـا موجـب فـإن أبـدل بطل عملُها نحو: ما زيدٌ بشىء إلا شىء لا يعبأ به.

(2) شرح ابن عقيل ج 314/1، شرح كافية ابن الحاجب جـ215/2، والبيت مجهـول، والكُماة : المكـان المرتفـع ومـن شرط عمل " لا " عمل ليس: أن يكون الاسم والخبر نكـرتين عـلى المشـهور بـين العلـماء وسـوغ بعضـهم أن يكـون المبتدأ معرفة، وألا يتقدم خبرها على اسمها، فلا يجوز: لاً قائماً رجل، وألا ينتقض النفى بإلا نحو: لا رجلُ إلا أفضل من زيد، فيجب الرفع فى أفضل.

(3) شرح ابن عقيل ج 315/1، شرح كافية ابن الحاجب جـ185/2، والبيت للنابغة الجعدى، وقد وفد على النبـى ﷺ وأسلم.

وتعمل " إنْ " النافية عمل ليس على مذهب الكوفيين خلا الفراء، وقال بـذلك بعـض البصريـين ومنهم المبرد، وقال به ابن السراج وأبو على الفارسى، وابن مالك وابن جنـى. وقـد حملـت " إنْ " عـلى عمل ليس فى القراءة التى نسبها ابن جنى لسعيد بن جبير رحمه اللــه تعـالى: ﴿**إِنِ الَّـذِينَ تَـدْعُونَ مِن دُونِ اللـه عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾[الأعراف:94]. بتسكين إن ونصب " عباداً " [1].

وقد حملها ابن جنى على أنها بمنزلة " ما ": ما الذين تدعون من دون اللـه عباداً أمثالكم. وهـو فى النص بمعنى" ما " التى تعمل عمل ليس.

ومن قول الشاعر[2]:

إنْ هوَ مستوياً على أَحَدٍ إلاَّ عَلَى أضعف المجانين

وقال الشاعر[3]:

إنْ المرءُ ميتاً بانقضاء حياته

ولكن بأن يُبْغى عليه فيخذَلا

والشاهد: إن المرء ميتاً. عملت إن عمل ليس، واسمها معرفة.

قال رجل من طيئ: (وقيل: قاله محمد بن عيسى، وقيل: مهلل بن مالك[4]):

نَدِمَ البغاةُ ولاتَ ساعةَ مَندم

والبغيُ مرتَعُ مبتَغيهِ وخيِمُ

الشاهد: ولات ساعة مَنْدَم. عملـت " لات " عمـل لـيس فنصـبت سـاعة، وهـى من أسماء الزمان. وتعمل " لات " عمـل لـيس، و" لات " هـى " لا " النافيـة زيـدت عليها تاء التأنيث مفتوحـة، وحمـل عـلى عمـل لـيس، فرفـع المبتـدأ بعـدها ونصـب

(1) المحتسب لابن جنى ج 270/1.

(2) شرح ابن عقيل ج 317/1. وشرح الكافية 227/2، وخزانة الأدب جـ166/4، وهو بلا نسبة.

(3) شرح ابن عقيل ج 318/1. وشرح الكافية جـ227/2، وأوضح المسالك جـ 391/1، ولا يشترط فى عمل " إن "عمـل ليس أن يكون اسمها و خبرها نكرتين.

(4) شرح ابن عقيل ج 320/1، وشرح الكافية جـ 228/2.

الخبر، وقد حذف المبتدأ بعد " لات " فى المشهور. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[ص:3] بنصب الحين، وقد حذف المبتدأ فى قراءة من نصب " حين "، والتقدير: ولات الحينُ حينَ مناص.

وقرئ: (ولات حينُ مناص) برفع " حينُ " على أنه اسم " لات "، والخبر محذوف، والتقدير: ولاتَ حينُ مناص لهم، والمعنى: ولات حينُ مناصٍ كائناً لهم(1).

والمشهور فى " لات " أنها تقترن بـ " الحين "، وقيل تعمل فى" حين " ومارادفها من أسماء الزمان، وتعمل " لا " النافية للجنس عمل إنَّ فتنصب المبتدأ، وتنص لا على استغراق النفى للجنس كله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة:2]. أفادت لا نفى الشك عن كل القرآن الكريم.

ولا هنا تستغرق الجنس خلافاً لقولنا: لا رجلُ قائماً. فليست نصاً فى نفى الجنس، فهى تحتمل نفى الواحد ونفى الجنس، وقد عملت عمل ليس، فيجوز: لا رجلُ قائماً بل رجلان، وهذا لا يجوز فى لا التى تستغرق الجنس(2)، نحو: لا إلة إلا الله. نفيت الألوهية عن غير الله تعالى، فالاَّ استثنت الله تعالى فى استغراق نفى الألوهية فى غيره. ويدخل فيها قراءة أبى عمرو وابن كثير قوله تعالى: ﴿لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾[البقرة:254]. بفتح بيع وخلة وشفاعة(3) و" لا " على هذه القراءة نافية للجنس وما بعدها اسمها مبنى على الفتح فى محل نصب، وخبرها فيما عدا الأول فيه محذوف لدلالة ما قبله عليه.

---

(1) شرح ابن عقيل ج 319/1. ومذهب الجمهور أن لات تعمل عمل ليس، ومذهب الأخفش أنها لا تعمل شيئاً، وإن وُجد الاسم بعدها منصوباً فناصبه فعل مُضمر.

(2) شرح كافية ابن الحاجب ج 199/2، 200، وشرح ابن عقيل ج5/1 ويجوز تكرار لا نحو: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويشترط فى عمل " لا " عمل إن أن تكون نافية، وأن يكون المنفى بها الجنس، وأن يكون النفى نصاً فى الجنس، وألا يدخل عليها جار فلا يجوز جئت بلا زاد. فلا هنا زائدة للنفى فقط وليست لنفى الجنس، وأن يكون اسمها وخبرها نكرتين، وأن يفصل بينها وبين اسمها فاصل، واسم لا يعرف مبنياً على الفتح نحو: لا حول ولا قوة إلا بالله: حول اسم لا النافية للجنس مبنى على الفتح والخبر محذوف تقديره موجود ومثلها قوة.

(3) شرح ابن عقيل ج 11/2 الهامش.

وقال العباس بن مرداس[1]:

لا نسب اليوم ولا خلةً اتسع الخرقُ على الراقع

الشاهد: بناء نسب على الفتح فى محل نصب اسم " لا "، وخلة معطوفة عليها فنونت على اعتبار موضع اسم " لا " وهو النصب. ولا فى " لا خلة " زائدة لتأكيد النفى، وقد نصبت " خلة " بالنظر إلى محل اسم " لا " فحملت عليه.

ويجوز فى " لا حول ولا قوة إلا بالله " وجوها من الإعراب، حملت على تقدير، ومن ذلك: البناء على الفتح فى الأول، والثانى: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله بنى الثانى على الفتح لتركيبه مع لا الثانية، مثل قراءة أبى عمرو بن العلاء وابن كثير: لا بيعَ فيه ولا خلةَ ولا شفاعةَ، ببناء ما بعد " لا " على الفتح.

البناء على الفتح فى الأول والنصب فى الثانى لا حولَ ولا قوةً إلا بالله. والنصب فى الثانى عطف على محل اسم لا وأصله النصب؛ فحمل الثانى على الأصل فى الأول. ولا الثانية زائدة بين العاطف والمعطوف.

البناء فى الأول والرفع فى الثانى، والرفع فيه حمل على محل لا واسمها، وهما فى التركيب فى موضع رفع بالابتداء، وتكون زائدة لتأكيد النفى فى الثانى. وقيل إن لا الثانية عملت عمل ليس فرفعت ما بعدها " قوة " أو أن قوة مرفوع بالابتداء وليس للا عمل فيه غير النفى، وقد حمل رفع لفظ الأب على الابتداء فى قول الشاعر: (قيل همام بن مرة وقيل غيره)[2]:

هذا - لعمرُكُم - الصغار بعينه

لا أُمَّ لى - إن كان ذاك - ولا أبُ

أمَّ: اسم " لا " مبنى على الفتح، وأب رفع على الابتداء وليس للا عمل فيه ولا زائدة لتأكيد النفى، وقيل أب معطوف على محل " لا " واسمها فحمل الرفع على الموضع وقيل إن لا عملت عمل ليس فرفع أب بعدها، وخبرها محذوف.

---

(1) ابن عقيل ج 12/2. وشرح الكافية ج 199/2.

(2) شرح ابن عقيل ج 13/2.

أو أن لا تعمل فهى مهملة، ومن ذلك قول جرير بن عطية[1]:

بأىّ بلاء يا نميرُ بن عامر   وأنتم ذنابَى لا يدينَ ولا صَدْرُ

رفع صدر على الابتداء أو حملاً على موضع لا يدين.

ومثله قول المتنبى[2]:

لا خيلَ عِندَكَ تُهْدِينا ولاَ مالُ

فليُسْعِدِ النطْقُ إنْ لم يُسْعِد الحالُ

لا مال: رفع على الابتداء أو حمل على الموضع.

وبعض العرب لا يعمل " أن " الناصبة للفعل المضارع، وإن وقعت بعد مالا يدل على يقين أو رجحان[3]، فيرفع الفعل بعدها حملاً على أخته "ما" المصدرية؛ لا شتراكهما فى أنها يقدّران بالمصدر، نحو: أريد أنْ تقومُ قياساً على: عجبت مما تفعلُ. وقد قرئ بالرفع قوله تعالى: ﴿**لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ [البقرة:233].

وقد وقع الحمل فى ظروف العاملة وغير العاملة، ومنها "إذا" بمعنى "متى"، كقول النبىﷺ لعلى وفاطمةﷺ: " إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين، وتسبّحا ثلاثاً وثلاثين وتحمدا ثلاثاً وثلاثين" [4]. شبهت إذا بمتى فوقع الجزم فى " أخذ " ، " تكبير " ، " تسبحا "، " تحمدا ". فحملت إذا على متى فى الجزم. وحملت " إذا " فى العمل على معنى" إن " الشرطية، لما كثر دخول معنى الشرط فى " إذا ". وخروجه عن أصله من الوقت المعين، وذلك بمجىء جملتين

---

(1) والبيت فى الديوان (ط مكتبة للحياة) ص 264

بأىَّ قديم يا ربيعَ بن مالكٍ   وأنتم ذُنابَى لايدان ولاصدر

والرواية المذكورعن الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد فى شرح ابن عقيل ج 14/2 الهامش.

(2) ارجع إلى: شرح ابن عقيل ج 14/2 الهامش.

(3) إن وقعت أن بعد فعل يدل على يقين أو رجحان جاز فى الفعل بعدها وجهان: أحدهما- النصب على جعل" أن "من نواصب المضارع، والثانى- الرفع، على جعل أن مخففة من الثقيلة، نحو: ظننت أن يقوم وأن يقوم. والتقدير- مع الرفع- ظننت أنه يقومُ ، فخففت" أنَّ "، وحذف اسمها، وبقى خبرها، وهو الفعل وفاعله. شرح ابن عقيل ج 4/4.

(4) رواه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب على بن أبى طالب القرشى الهاشمى، أبى الحسن رضى الله عنه.

بعده على طرز الشرط والجزاء، وإن لم يكونا شرطاً وجزاء، كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[النصر:1] إلى قوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾[النصر:3][1].

وتشبه متى بإذا بعد فى عدم الجزم، ومن ذلك قول عائشة رضى الله عنها: " إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يسْمِعُ الناس " أهملت متى فأشبهت إذا. وحقها أن تحذف الواو فى " يقوم "، والقياس: يقم، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾[الكهف:39][2].

ومنها قول أبي جهل لصفوان بن أمية: " متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد هذا الوادى تخلفوا معك "[3].

ثبتت ألف " يراك " بعد متى الشرطية، وكان حقها أن تحذف، فالقياس: يرك، وقيل فى ثبوتها " إن يراك " مضارع " راءَ " بمعنى رأى، ومضارعه يراء مقلوب رأى لجزم فصار يرأ، ثم خففت الهمزة ألفاً، فثبتت فى موضع الجزم، ومثله فى قراءة حمزة وهشام فى الوقف: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾[النجم:36] خففت الهمزة فى الوقف ألفاً (ينبّا)، وقيل إن متى شبهت بـ " إذا " فأهملت. وقيل إن المعتل أحرى مجرى الصحيح، فأثبت الألف واكتفى بتقدير الضمة التى كان ثبوتها منوياً فى الرفع[4].

وحملت " إنْ " على " لو " فى رفع الفعل بعدها ومن ذلك قراءة طلحة: (فإن ما تَرَيْن من البشر أحداً) ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾[مريم:26]، وسكون ياء ترين وتخفيف النون، فأثبت نون الرفع فى فعل الشرط بعد " إن " مؤكدة، بـ " ما "، حملاً لها على " لو "[5].

وحملت " لو " على " إن " فى الجزم.

---

(1) شرح كافية ابن الحاجب جـ 268/3 ، 269.
(2) رواه البخارى، كتاب الأذان، باب الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم.
(3) رواه البخارى فى كتاب المغازى، باب ذكر النبى صلى الله عليه وسلم من يقتل ببدر.
(4) شواهد التوضيح والتصحيح ص 20.
(5) شواهد التوضيح والتصحيح ص 19.

ومنه قول الشاعر[1]:

لو تعدْ حين فرّ قومك بِى   كنتَ فى الأمن فى أعز مكان

وقالت امرأة من بنى الحارث[2]:

لو يشأْ طار به ذو مَيْعةٍ   لاحقُ الآ طالِ فَهْدٌ ذو خُصَلْ

وقال لقيط بن زُرارة[3]:

تامت فُؤادَك لو يحزنْك ما صنعت   إحدى نساء بنى ذُهْل بن شيبانا

والأصل أن يذكر حرف الجر فى العطف، نحو قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ**﴾[فصلت:11]. فعطف على الضمير بإعادة حرف الجر.

وقد صح العطف على ضمير الجر بغير إعادة الضمير، ومن ذلك قوله ﷺ: " إنما مثلكم واليهودِ والنصارى كرجل استعمل عمالاً " [4]، ونحو: مررت بك وزيدٍ. ومما حمل على ذلك قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ [البقرة:217]. فجر المسجد بالعطف على الهاء المجرورة بالباء لا بالعطف على سبيل، لا ستلزامه العطف على الموصول وهو الصد تمام الصلة، ومنه قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ**﴾ [البقرة:217].

ذهب الفراء إلى أن " قتال " مجرور بحرف جر محذوف، والتقدير: عن القتال فيه، واحتج بقراءة ابن مسعود رضى الله عنه[5]. وقد ضعف هذا ابن عطية والعكبرى؛ لأن حرف الجر لا يبقى عمله بعد حذفه على المشهور[6].

(1) شواهد التوضيح والتصحيح ص 19.

(2) ديوان الحماسة للتبريزى ج73/3ط بولاق. الميعة النشاط وأول جرى الفرس، ولاحق الأطال: ضامرها. والآطال جمع إطْل ويقال إطل: الخاصرة والفهد: الجسيم من الخيل المشرف، وخصل جمع لفيفة من الشَّعر.

(3) اللسان مادة: تيم. والمعنى ج214/1. وتام : تيَّم.

(4) صحيح البخارى، كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى صلاة العصر.

(5) معانى القرآن ج 141/1.

(6) المحرر الوجيز، ابن عطية، ج290/1. والتبيان فى إعراب القرآن، ج92/1.

وهذا يخالف ما ذهب إليه العكبرى فى إعراب " المسجد الحرام " فقدر حرفاً مجروراً، والمعنى: ويصدون عن المسجد الحرام[1]. فجعل الجر فى " المسجد " على تقدير حرف محذوف مخالفاً بذلك تضعيفه رأى الفراء فى إبقاء عمل حرف الجر بعد حذفه، وقد حمل تقدير حرف الجر على الحرف الظاهر فى قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[الفتح:25][2]. وقد وقع التناقض فى تعليل الجر فى آية واحدة، فرفض إعراب الفراء فى " قتال " أنه مجرور بحرف مقدر، وقدر محذوفاً فى " المسجد ". وانتهى إلى أن " الجيد أن يكون متعلقاً بفعل محذوف دلّ عليه الصد "[3].

وقد جاءت على ذلك قراءة حمزة: ﴿وَاتَّقُواْ اللـه الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾[النساء:1]. بجر الأرحام، وهى قراءة ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والنخعى والأعمش ويحيى بن وثاب وأبى رزين[4].

وأنشد سيبويه قول الشاعر[5]:

فاليوم قرَّبتَ تهجُونا وتشتمنا

فاذهب فما بك والأيامِ من عجب

وقد يحذف عامل الجر ويبقى أثره فى اللفظ باقياً، وقد تأول بعض العلماء الجر فى بعض الألفاظ على هذا الوجه، ومن ذلك قول أبى هريرةرضي الله عنه: " فأتى بالألف دينارٍ "[6] بجر دينار على تقدير: فجاء بالألف ألف دينار. ثم حذف المضاف وهو البدل وأبقى المضاف على ما كان عليه من الجر، ليكون دليلاً على المحذوف، نحو قولهم: " ما كل سوداءِ تمرةٍ ولا بيضاء شحمة " وجر

(1) التبيان فى إعراب القرآن ج93/1.
(2) التبيان فى إعراب القرآن ج93/1.
(3) نفسه.
(4) شرح التوضيح ص 55.
(5) الكتاب جـ383/2.
(6) صحيح الجامع الصغير رقم 2081.

تمرة وشحمة على الموضع بعد حذف المضاف على تقدير: ما كل سوداء سوداء تمـرةٍ ولا بيضـاءَ بيضـاء شحمةٍ.

ومن ذلك ما جاء فى الحديث: " قام فقرأ العشر آيـاتٍ " [1]. بجـر آيـاتٍ، والتقـدير: فقـرأ الـعشرَ عشرَ آيات. فحذف البدل عشر وأقيم آيات على ما كان عليه من الجر بالإضافة.

وجاء فى الحديث: " وإن أربع فخامسٍ..."[2] بالجر فيها على تقدير: " فإن كان عنـده طعـام أربـع فليذهب بخامس أو سادس "، فحذف عامل الجر وأبقى عمله مثل قولهم: " مررت برجل صالح، وإن لا صالحٍ فطالحٍ "، أى: إن لا أمر بصالح فقد مررت بطالحٍ.

والأصل أن يعرب اللفظ على موقعه من الجملة بعد إسقاط الجار، وسوف نبين ذلـك تفصـيلاً فى حديثنا عن الحمل فى الإعراب.

---

(1) البخارى، كتاب العمل فى الصلاة، باب استعانة اليد فى الصلاة.

(2) فتح البارى، كتاب الأنبياء، علامات النبوة، رقم 3581 جـ6/ 667، ورواه البخارى بلفـظ: " فليـذهب بخـامس أو سادس "

ويكون بتحول الصوت إلى صوت من جنسه فيصير إليه ويدخل فيه أو يقترب منه[1]، وذلك للتخفيف، ويقع التضعيف في حرفين من جنس واحد، أو حرفين متقاربين فيقلب أحدهما إلى حرف من جنس صاحبه ثم يدخل فيه، ويكونا صوتاً واحداً مضعفاً يقف عليه المتكلم وقفة واحدة في الأداء، فالأول نحو: شدَّ، ومدَّ. والثاني نحو: اطرد، والأصل: اطترد، واذّكر: والأصل: اذتكر، وجاء فيها اذَّكر، ومثلها: اظَّلم واصَّبر.

والتضعيف يقوى الحرف في موضعه ويمنعه من الحذف والتغيّر نحو: بناء فُعَّال: صُوَّام، قُوَّام، نُوَّام، لأن ألف فُعَّال فصلت بين العين واللام.

ويقع القلب في: فَعَّل نحو: صوَّم، جوَّع، فيقال: صيَّم، جيَّع، وذلك لقربها من اللام، ومثل ذلك أُيَّل جمع آئل، وأصله أوَّل (الواو مضعفة) والأصل: وول ووزن فاعل منه: واول ثم وائل، فقلب الهمزة أوله همزة فصارت آئل مثل: وحد واحد، ويجمع فاعل على فاعلين في العاقل ويجمع مكسراً: فُعَّل فتقلب العين لمجاورة اللام[2].

وقد تغير الحرف لقربه من اللام، ولكنه سلم من التغير في صوّام، قوَّام، جُوَّاع؛ لأن الألف فصلته عن اللام فصح من القلب.

ولا يحذف مع التنوين آخر الكلمة نحو: مدعوّ، مقضيّ، مرميّ؛ لصحة التنوين فيه وتمكنه في موضعه فسلم من الحذف؛ لأنه مضعف، والحرف المضعف يستدعي حركة تجانسه إن كان معتلاً، وتجانس حركته إن كان صحيحاً، فقد كسر الحرف الذي يسبق الياء في مقضيّ ومرميّ، وضم الحرف الذي يسبق الواو في مدعوّ، ومرجوّ. وفتح الحرف الذي يسبق المضعف ليجانس حركته في مثل: شدّ، مدّ، هَدّ، عَضَّ.

---

(1) ارجع إلى: شرح المفصل م5 / 487.
(2) الخصائص لابن جني جـ3 / 219.

وقد وقع التماثل بين الأصوات للتقريب بينها أو لجعلها صوتاً واحداً في نطقه، فالتقريب بين الأصوات يقع بين المفخم ونظيره المرقق، فيقرب إليه كالتاء في افتعل إن جاورت مفخماً تقلب إلى نظيرها المفخم الطاء نحو: اصطبر، اضطرب، والأصل: اصتبر، اضترب.

ومثله المجهور والمهموس في: مزدر، نزبة، زراط، زقر، والأصل: مصدر، سراط، سقر.

أو يتحول إلى صوت من جنسه ويدغم فيه نحو: اطّلع، اطّرد، والأصل: اطتلع، اطترد. ومثلها: اصَّبر، اضّرب، اظّلم.

ومثله في المجهور والمهموس: ادّكر، ومدكّر، واذّكر، ومذّكر، ومنها: ﴿**ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا**﴾[الأعراف:38]، وهذا النوع حمل على الجوار المتصل.

وهنالك حمل على الجوار بين الكلمتين متصلتين في خطاب نحو قولنا: جهاس تسجيل، صارت الزاى في جهاز تاء تأثراً بالتاء المهموسة في تسجيل، ونحو: جوست البنت، والأصل: جوزت، والتناوب بين السين والزاى فى الخطاب اليومى نحو: جاس وجاز، وغاز وغاس، وجواز وجواس، وبسبور وبزبور.

وقد يقع الإدغام بين الكلمتين فيحدث التماثل التام نحو: إدغام الحروف المتقاربة في المخرج، وأشهرها إدغام النون الساكنة في حروف يرملون.

وقد وقع التماثل التام في بعض الحروف، ومن ذلك قراءة ورش: ﴿**وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ**﴾[النساء:154] (بفتح العين وتشديد الدال) والأصل في القراءة: تعتدوا، فنقلت حركة التاء في العين الساكنة، وأدغمت التاء في الدال[1].

وقرأ الحسن: ﴿**يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ**﴾[البقرة:20] (بفتح الخاء وتشديد الطاء)، والأصل: يختطف.

(1) القرطبي جـ6 / 7 والحجة في القراءات السبع ص128.

وقرأ أبو عمرو والحرميان والأعرج: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[يس:49] أي: يختصمون، فأدغمت تاء الافتعال في الصاد[1].

وقرأ زيد بن علي: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[يوسف:49] (تعِصّرون) بكسر التاء والعين وتشديد الصاد. على أن الأصل: تِعتصرون[2].

وقراءة: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال:9] على أنها: مرتدفين. فنقلت فتحة التاء إلى الراء قبلها، ثم أدغمت التاء في الدال[3]. ومن ذلك: ﴿وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ﴾[التوبة:90] أي: المعتذرون.

تخفيف المضعف: التضعيف أن يزاد على الصوت صوتاً من جنسه، فيجعل اثنين فيثقل في النطق وتتحقق فيه الشدة بواسطة الإدغام نحو: أصمّ وزن أفعل، ضعفت فيه الميم، ومثل: عدّ وردّ، والأصل: رَدَدَ وعدَدَ وزن فَعَل سكنت عينها ثم أدغمت في اللام للتخلص من تكرار حرفين متحركين من جنس واحد، فيقف المتكلم عليها وقفة واحدة ثقيلة.

وهذا معمول به في الخطاب المعاصر، والتخفيف في المضعف يكون بالقلب إلى صوت آخر أو بالحذف.

أولاً - التخفيف بالقلب: يخفف المضعف بقلبه إلى صوت آخر مخالف للمماثلة، فلا يحمل الصوت على جنس ما يجاوره بل يخالف جنسه، وهذا نادر في اللغة ومنه: دسس: دسي قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[الشمس:10] أي دسسها. وتَسرَّى من تسرر أي الإسرار يقال: تسريت بالأمة، اتخذها زوجة.وتمليت من تمللت وتظنيت من تظننت. وتقصيت من تقصصت أي تتبعت. وتمطي من مطط قال تعالي: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾

(1) البحر المحيط جـ7 / 340 ، والحجة ص298.
(2) البحر المحيط جـ5 / 316.
(3) المنصف في تصريف ابن جني جـ2 / 223 . والمحتسب جـ1 / 273.

[القيامة:33][1]. وقد وقع إبدال فيما فيه مثلان متجاوران تخفيفاً، وذلك عند فك التضعيف[2] نحو: أمللت وأمليت قلبت اللام الثانية ياء تخفيفاً لثقل اجتماع المثلين مع تعذر الإدغام لسكون الثاني، ومثال ذلك: تقضَضَ وتقضى (انقض).

قال العجاج[3]:

تقضى البازي إذا البازي كسرْ

ومثله: حسست وحسيت، وظللت وظليت، وهما في الخطاب المعاصر وبعض العرب يحذفون أحد المضعفين تخفيفاً[4].

دينار والأصل: دنّار (والجمع دنانير فرد الأصل) وقيراط، والأصل قرّاط (الجمع قراريط رد الأصل)، وقالوا: كرناسة، والأصل: كرّاسة. وقرنبيط والأصل: قنَّبيط، ومهردم في مهدّم، وشرمط في شرّط، وطربق في طبّق، وخرمش في خمّش. خلبط في خلّط ثم وقع القلب المكاني: لخبط.

وقد وقع ذلك في المتماثل من الحروف تخفيفاً للأمثال، وهذا قليل في مقابل شيوع الأصل، وهذا نقيض الحمل في التضعيف.

والمماثلة بين الحروف المختلفة التي تتقارب، أو تتماثل لما بينها من الصفات والاتفاق في المخرج، أو أن تتجاور فيه.

ثانياً - حذف المتماثلين: وقع في العربية الحذف كراهية توالي الأمثال في بعض الأبنية، فالعربية تتخلص من المقاطع المتماثلة، فتحذف واحداً منها تخفيفاً، ويحدث هذا في أول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها في الصحيح والمعتل، ومن ذلك: حذف التاء الثانية[5] في بناء تفعَّل نحو: تذكَّر، والأصل

---

(1) الكتاب، سيبويه جـ4 / 424 والمقتضب للمبرد جـ1 / 200.

(2) شرح مختصر التصريف العزى في فن الصرف لمسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني شرح وتحقيق الدكتور عبد العال سالم ، الناشر ذات السلاسل ، الكويت ط1 / 1983ك ص93 ، 94.

(3) ديوان العجاج ص28، والمحتسب جـ 157/1، والخصائص جـ 92/2، والبازي اسم طائر.

(4) ارجع إلى: شرح الشافية جـ2 / 30 ، 31 ، وشرح مختصر التصريف العزي يقولون: مِسْتُ في مَسِسْت حذف الأولى. وظَلت في ظللت. وقد تناولت هذه الظاهرة فى كتابى: أصوات اللغة، والتطور الصوق.

(5) إعراب القرآن، الزجاج جـ3 / 849.

تتذكّر، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الأنعام:152] ونزل الأصل تتنزل، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾[الشعراء:221]. تفرق والأصل: تتفرق قال تعالى: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:153].

وبناء تفاعل والأصل تتفاعل، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ﴾[الأنفال:46] أو﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[الحجرات:11]. و﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[الحجرات:13]، وقرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائى): (واتقوا اللـه الذى تساءلون به والأرحام) [النساء:1] أى: تتساءلون، وقرأ غيرهم: (تسَّاءلون).

وبناء تفعلل والأصل: تتفعْلَل نحو: تبختر والأصل: تتبختر، وتزلزل والأصل: تتزلزل، وتقهقر والأصل: تتقهقر.

والأصل في ذلك تاءان، فتسكن في مثل: ﴿أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾[الأنعام:80] أو تدغم كما في نحو: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[البقرة:72] ونحو: ﴿وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ﴾[يونس:24].

وتحذف نون الرفع قبل نون الوقاية كراهية توالي الأمثال، ومنها قول الشاعر(1):

أبا لموت الذي لابدأنِّي ملاقٍ لا أباكِ تخوفيني

أي تخوفينني. فحذفت نون الرفع. وقال جميل(2):

أياريحَ الشمال أما تريني أهيمُ وأنني بادى النُحُول

والأصل تَرَيْنني، فحذف النون. وهذا مطرد في الأفعال الخمسة نحو: لايعرفاني، والأصل: لا يعرفانني.

---

(1) الشعر لأبي حية النميرى، الكامل للمبرد 85/5 واللسان مادة أبي، والخصائص جـ346/1 و نسب للأعشى خطأ ولم أجده فى ديوانه.صحيح البخاري، كتاب الشهادات، وكتاب التفسير.
(2) ديوان جميل دار الكتب العلمية ص 61، أهيم: أحب وأعشق، النحول: الضعف.

"ولم تزعجوني" والأصل لم تزعجونني، وقول عائشة ﵂: "ولئن قلت لكم إنِّي لبريئة والله يعلم أنِّي لبريئة – لا تصدقوني بذلك"[1].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**﴾ [الزمر:64] قرأ بن عامر: تأمرونني أعبد (بنونين)، وقرأ نافع بنون مخففة والباقون بنون مشددة على الإدغام[2].

ونحو: هؤلاء النسوة يبكينا والأصل: يبكيننا.

والنون الباقية في ذلك نون الوقاية لا نون الرفع، وقيل نون الرفع، وقد رجح الأخير ابن هشام[3].

وتحذف النون عند التقاء نون الرفع بنون التوكيد نحو: لتفعلُن الخير، والأصل: لتفعلونن الخير.

وتحذف كذلك مع إن وأن ولكنّ وكأنّ ولعلّ، وهذا غير مطرد[4]. وهذا الحذف جائز لتوالي الأمثال فيحذف أحد المتماثلين تخفيفاً، والحذف فيها جائز ويجوز الإدغام نحو: وكأنّي، ويجوز الإظهار نحو: كأنني وأخبرونني. ونحو: أتأمرونِّي وأتأمروني وأتأمرونني؟ وقد صحت بها القراءة[5].

---

(1) رواه البخارى، فى كتاب الشهادات، وكتاب التفسير، والترمذى رقم 3180.

(2) التيسير ، الداني ص109.

(3) مغنى اللبيب جـ2 / 344.

(4) ارجع إلى: بحوث ومقالات في اللغة، الدكتور رمضان عبد التواب، الخانجي ص36.

(5) ارجع إلى: القرطبى جـ20/15.

ويراد به تأثر الحرف بما جاوره أو تأثر الحركة بما جاورها أو ما كان قريباً منها، وقد أشار إليه ابن جني بقوله: "إذا جاور الشيء الشيء دخل في كثير من أحكامه لأجل المجاورة"[1] فيماثله لفظاً حملاً عليه، وتكون المزاوجة بين بنيتين للمشاكلة بينهما للفظ يكون على خلاف مجاوره، ثم يشاكله في اللفظ متأثراً به ليوقع في النفس أثراً، ويعرف بإتباع اللفظ بنية غيره. ومنه الإتباع، وهو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيداً، وتقوية لمعنى ما قبله، ويحقق هذا إيقاع له وقع في النفس أحدثه المجانسة بين الحروف والمقاطع، ومما جاء مؤكداً لمعنى غيره: خراب يباب، والثاني بمعنى الأول، ومثله: ساغب لاغب (جائع متعب) ومثله: جائع نائع. وخبّ ضبّ (ماكر خبيث)، والعرب تقول: "له الطِّم والرِّم" إذا أرادوا تكثير ماله (والطم: البحر والرم: الثري)، ورجل هائع لائع (جبان ضعيف جزع) وسَمِج لَمِج (اللمج: الذواق).

وقال ابن عباس رضي الله عنه في ماء زمزم: "وهي للشارب حِلّ وبِلّ"، و "قسيم وسيم"، وكلاهما بمعنى الجميل. "وضئيل بئيل" وهما واحد. ومثله: "جديد قشيب"، و"مضيع مسيع"، والإساعة بمعنى الإضاعة، و"شيطان ليطان" أي: لصوق[2]، وقولهم: "رِجْس نِجْس"، كسرت النون في نجس وسكنت الجيم حملاً على رِجْس، والأصل: نَجَس بفتح النون وتحريك الجيم.

ووقع الإتباع في نحو: امرأة سِمْعَنَّة نِظْرَنَّة، وسُمْعنَّة نُظْرَنَّة. إذا كانت كثيرة النظر والاستماع، وطَبُ لبّ، أي: حاذق، وصلتان فلتان، بمعنى: نشيط،

---

(1) المنصف (شرح الإمام) أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف للمازني ، تحقيق إبراهيم مصطفي، وعبد الله أمين، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ط1 / 1373هـ 1954م جـ2 / 2.

(2) المزهر للسيوطي جـ1 / 416، وشرح الشافية جـ2 / 21 تثقيف اللسان ص283، فقه اللغة ص260. وتأويل مشكل القرآن ص117.

ودَعِبٌ لَعِبٌ، وعَوزٌ لَوِزٌ، وشديدٌ أديدٌ. وكثيرٌ بذيرٌ[1]، وهذا الترادف فيه تقوية لمعنى ما قبله، والحمل على اللفظ فيه سوغ حفظه والتفاعل معه، والعرب تتبع الكلمة سابقتها في الوزن والرويّ إشباعاً وتوكيداً اتساعاً، وله نظير في بعض الأمثال الشعبية. وقد يقع الحمل للتآخي والمجانسة بين الألفاظ، ومما حمل على حكم مجاوره قول العرب: هنَّأني مرَّأني، والأصل: أمرَأني، ومثله: "ما ساءَك وناءَك"، فالأصل: أناءك، فألقى الألف حملاً على ساء[2]، وإبدال الحرف بآخر مماثل غيره في بناء مجاور فيماثله، ومن هذا قول النبى ﷺ: " ارجعن مأزورات غير مأجورات" [3]، شاكل لفظ مأزورات مأجورات، وأصلها: موزورات من الوزر، ولكن أجراها ﷺ مجرى المأجورات فهمزها للمجاورة بينهما، وقيل إن القلب في الواو ليس من أجل الإتباع؛ لأن الأول ينبغي أن يجيء على القياس والإتباع في الثاني، وقد قلبت الواو همزة للتخفيف كما قلبت واو "يوجَل" (مضارع وَجِل) إلى ألف للتخفيف، فقيل فيها ياجل[4]، ومن ذلك: "بالغدايا والعشايا"، فحمل لفظ الغَدَوات جمعاً على لفظ جمع العشايا، ولا يقال إذا أفردت عن العشايا، فالقياس: الغدوات[5]، وقيل: الغدايا والعشايا، ليس فيه إتباع؛ لأن غدايا جمع غدوة مثل حرة وحرائر، وكَنَّة وكنائن (امرأة الابن أو الأخ). ومنه دعاء النبي ﷺ: "اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن" [6]. والأصل في ضمير الشياطين أن يكون واواً،

(1) الصاحبي لابن فارس ص458، والمزهر جـ424/1 والمخصص جـ28/41 وأمالي القالي جـ208/2.

(2) تأويل مشكل القرآن ص 204.

(3) الحديث بهذا اللفظ ضعيف، سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم 2742 عن علي، وضعف الجامع رقم 773 عن على وانس، رواه ابن ماجة رقم 1578، وكنز العمال رقم:42581، وقد ذكره بن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر جـ179/5. ومغني اللبيب ص896، والمنصف لابن جني 2 / 326 وشرح شذور الذهب ص331.

(4) الأشباه والنظائر جـ1 / 19 وفقة اللغة ص223.

(5) فقه اللغة ص223.

(6) ضعيف رواه الترمذي، رقم 3523، كتاب الدعوات، وصحيح ابن خزيمة رقم 2565 وسلسلة الأحاديث الضعيفة رقم 2403 ضعيف جداً، عن صهيب . وضعيف الجامع الصغير رقم 408 عن بريدة.

فجعل نوناً قصداً للمشاكلة، ومن ذلك جاء في الحديث:" لا دريت ولا تليت" [1]. والأصل: تلوت. وجاء في الحديث: "وأخذه ما قَدُم وما حدُث"[2]، والأصل أن تفتح "دال" حَدَث وضمت حملاً على حركة الدال في قدُم[3].

وقد يحمل اللفظ على نظيره في المعنى نحو: الحُدَّاث: جماعة يتحدثون؛ وهو جمع على غير قياس حملاً على نظيره، وهو: سامر وسُمَّار، فإن السمار المتحدثون[4]، فحمل عليه؛ لأنه بمعناه، القياس: المتحدثون، واحدهما متحدث.

وقد يحمل اللفظ على بناء ما يخالفه فى المعنى ومن ذلك جمع أفعل على فعال، نحو: أعجِف، ومؤنثه عجفاء، والجمع منها: عِجَاف. وجاء في ذلك قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾** [يوسف:43] حملت على سمان، وهي جمع نقيض عجاف[5].

وقد يحمل البناء على بناء في معناه، ومنه حمل الاسم الجامد والمصدر على معنى لفظ مشتق يجوز الوصف به، فقد يوصف بالمصدر أو يخبر به، والأصل في ذلك الوصف، فلا يجوز الوصف بالجامد أو المصدر إلا تأويلاً، فلا يجوز: الباب الحديد بل الباب الحديدي، فيوصف بالمشتق أو بمعنى المشتق نحو: رجل مصري. فمصري ليس بمشتق من فعل بل متأول بمنسوب ومعزو فهو بمعنى اسم المفعول (منسوب أو معزو إلى مصر) فوقع النسب موقع اسم المفعول في الوصف[6]. ومثله: أنت رجل، أي: ذو رجولة حمل على اسم الفاعل، ومثله فلان ثروة: أي ذو ثروة. وهذا على المبالغة، قال الشاعر[7]:

---

(1) رواه البخاري في كتاب الجنائز، وباب الميت يسمع خفق النعال. وأبو داود رقم 4751، والنسائي: 2051.
(2) حسن صحيح رواه أحمد في مسنده، وجاء فى أبي داود (كتاب الصلاة) رقم 924: " فأخذنى ما قدم وما حدث " عن عبد الله بن عباس ﷺ.
(3) شواهد التوضيح والتصحيح، لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك ص74، 75.
(4) الأشباه والنظائر جـ1 / 200 وقد نقل السيوطي ذلك عن النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير.
(5) ارجع إلى: الأشباه والنظائر جـ1 / 214. وقيل ليس لها في الجمع نظير.
(6) شرح المفصل م1 / 603.
(7) المحتسب جـ174/2، واللسان مادة: صل، والقائل: الحطيئة. وروى: ذاك الفتى يبذل ذا قدره ...

هو الفتى كل الفتى فاعلموا لا يُفسد اللحم لديه الصُّلُولْ

أي هو الكامل في الفتيان، والشاهد وقع "كل" الجامد وصفاً، ويراد به مشتق (الكامل في فتوته) وهذا للمبالغة.

ومثله رجل صِدْق أو رجل حرب. أي صادق ومحارب. ورجل صُلْح، أي: صالح.

ورجل سوء، أي: سيء. ونحو: مررت برجل أسد، لا يجوز الوصف به فهو اسم جنس جوهر ولا يوصف بالجواهر، فلا يجوز: هذا خاتم حديد أو فضة، وقد أوله العلماء على حذف مضاف تقديره: مثل أسد، ومثل بمعنى مماثل، ففيه معنى التشبيه، ولا يحسن في الحديد أن يكون وصفاً، ويحمل على تقدير محذوف: هذا خاتمك من حديد أو من فضة[1].

ويوصف بالمصدر، نحو: رجل عدل وصوم وفطر وزَوْر ورضي وفضل حملاً على معنى المشتق: عادل، وصائم، وفاطر، وزائر، وفاضل.

وقيل: وضعوا المصدر موضع اسم الفاعل اتساعاً، وحمل المصدر عند الوصف به أو الإخبار على معانٍ ومنها: حمل المصدر على معنى اسم الفاعل. يقال: "رجل عَدْل". أي: عادل. ومثله: امرأة عَدْل. وبنو فلان لنا سِلْم. أي مسالمون، وهم لنا حرب أي محاربون[2]، ومثله غوْر: أي غائر، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا**﴾ [الملك:30].

وقال امرؤ القيس[3]:

وقد أغتدي والطيرُ في وكناتها بمنجردٍ قَيدِ الأوابد هيكل

وصف منجرد (الفرس) بقيد الأوابد.

---

(1) شرح الشافية م1 / 604.

(2) ومنه قوله تعالى: (... ولكن البر من آمن بالله ...) وتقديره: ولكن البرَ برُّ من آمن بالله، فأضمر ذكر البر وحذفه فقام اسم الموصول مقامه.

(3) ديوان امرئ القيس ص19 ولسان العرب: قيد. وشرح المفصل م1 / 395 وص607.

والمعنى: مُقَيد الأوابد (أي يدرك الوحوش) لشدة جريه، فيمنعها من الانبعاث كأنه قيد لها، فوصف بالمصدر مضافاً.

وقد يحمل الوزن على وزن آخر في الأفعال؛ لأنه بمعناه قال تعالى: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا**﴾[آل عمران:37] فالقبول والنبات مصدران للفعلين: قَبِل قبولاً، ونبت نبتاً ونباتاً، فهما على غير المشهور من كلام العرب من: تقبَّل: تقبّلا، وأنبت: إنباتاً، وهما القياس، فعدل عن ذلك في الآية بـ: تقبّل: قبولاً، وأنبت: نباتاً. فالقبول بمعنى التقبل، وهو أخف منه في اللفظ، والنبات بمعنى الإنبات، وهو أخف منه في اللفظ وقد استوفى المعنى بها، قال المفضل الضَّبي: معناه: وأنبتها فنبتت نباتاً حسناً. ومراعاة المعنى أولى كما رأى القرطبي[1]. والأصل في القَبول الضم والقُبول مثل الدخول الخروج، والفتح جاء في مصادر قليلة مثل الوَلوع والوَزوع[2].

وجاء ذلك في القراءة المنسوبة إلى ابن مسعود: ﴿**وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً**﴾ [الفرقان:25] و (أنزل الملائكة تنزيلاً)، والمشهور الأولى نزَّل؛ لأن معنى نزل وأنزل واحد، ومثله كِذَاب (بالتخفيف) فى قراءة: ﴿**وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا**﴾ [النبأ:28] بتخفيف الذال فى كذاب، قيل: كذاب مصدر كاذب أقيم مقام مصدر كذَّب تكذيب كما فى ﴿**وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**﴾[المزمل:3][3].

وقال الشاعر[4]: **أكفراً بعدَ رد الموتِ عني وبعد عَطَائِك المائةَ الرتاعا**

أراد: بعد إعطائك؛ لأن أعطى متعد، وعطي لازم، فأضيف إلى فاعله ونصب مفعوله؛ لأن عطاء بمعنى إعطاء.

---

(1) تفسير القرطبي 4 / 62.

(2) قال ذلك أبو عمرو و الكسائي وغيرهما، وأجاز الزجاج "بقُبول" بضم القاف على الأصل مثل: الدخول والخُروج، تفسير القرطبي جـ4 / 63.

(3) شرح الشافية جـ 166/1.

(4) ديوان القُطامى، دراسة وتحقيق الكتور محمود الربيعى، هيئة الكتاب ط 2001 م ص 265، والرتاع: يريد الإبل التى ترتع، ويروى: الرباعا: وهى التى تنتج فى الربيع.

وقال امرؤ القيس[1]:

فصِرنا إلى الحسنى ورقَّ كلامُنا   ورُضتُ فذلّت صعبة أي إذلال

مصدر ذلّ: ذلاّ، ومصدر أذل: إذلالاً فجاء بالمصدر إذلال للفعل ذلّ، فرده على معنى أذللتُ.

وقال القُطَامى[2]:

وخير الأمر ما استقبلت منه   وليس بأن تَتَبَّعه اتباعـا

فمصدر تتبع: تتبعاً، واتبع: اتباعاً، فجاء بالثاني للأول، لأنه بمعناه، فتتبعت بمعنى اتبعت. وقال رؤبة بن العجاج[3]:

وقد تطوّيتُ انطواءَ الحضْبِ

وفِعْل بمعنى مفعول نحو: حِمْل، حِبّ، ورِعْي، وقِطْف، وذِبْح: ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾[الصافات:107] وجاء في المثل: " أسْمَع جعجعة ولا أرى طحناً ". والمعنى: محمول، محبوب، مرعيّ، مقطوف، مذبوح، مطحون، وفَعَل بمعنى مفعول، نحو: قَنَص، نفَض (ما تساقط من الورق والتمر)، وعَدَد، ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾[الكهف:11] وجَنَى: ﴿**وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ**﴾[الرحمن:54].

وحمل لفظ بناء الكلمة على معنى غيره من الأبنية: قد يأتي اللفظ على بناء، ويراد به معنى بناء آخر، ومن ذلك: وحمل لفظ بناء اسم الفاعل على معنى اسم المفعول قال تعالى: ﴿**لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللـه**﴾[هود:43] أي: لا معصوم، وقال تعالى: ﴿**خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ**﴾[الطارق:6] أي مدفوق. وقال تعالى: ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**﴾ [الحاقة:21] أي: مرضية بمعنى عيش يرضاه لا مكروه

(1) الديوان ص 125، المقتضب جـ 212/1، وخزانة الأدب جـ 28/1، وشرح الحماسة 169/4.راض: ذلل، ذل:لان.

(2) ديوان القطامى ص 263.

(3) القرطبى 62/4، والحضب: نوع من الحيات والأفاعي.

فيه، وقال تعالى: ﴿جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾[العنكبوت:67] أي مأموناً، وقيل المعنى: ذات رضى، وذو أمن. قال جرير[1]:

إن البليَّةَ من تمَلُّ كلامه ... فانْفَعْ فُؤَادَك من حديث الوامق

أي من حديث المو موق[2].

قال وعلة الجرْمي[3]:

ولما رأيت الخيلَ تترى أثايجاً ... علمتُ بأنَّ اليوم أحْمسُ فاجر

أي: يوم صعب مفجور فيه.

وبناء فاعل نحو: دارع ونابل، أي ذو درع ونبل، وذات درع ونبل، ولابن وتامر: ذو لبن وتمر أو صاحب لبن وتمر. ففاعل بناء على معنى النسب[4]، فرجل دارع بمعنى درعي، أو صاحب درع، وهذه صفات مشتقة من أسماء جامدة لا فعل منها، ولا وجه له إلا النسب، فحملوا عليه وصف المؤنث: حائض، وطالق ونحوهما.

وقد تأول سيبويه وصف المؤنث بفاعل أنه على معنى شيء أو إنسان حائض، وليس وصف المؤنث بفاعل وهو لفظ مذكر وليس بمؤنث معنوي مثل: سوق، ودار، وسعاد، وزينب.

وبناء فاعل جاء عليه وصف المؤنث في بعض الألفاظ نحو: حائض، وطامث، وطالق. وهذه ألفاظ في وصف المؤنث، وقد قيل إنها على معنى النسب مثل دارع ولابن.

---

(1) ديوان جرير، ط مكتبة الحياة ص397، وفيه:

إن البليَّةَ من يمل حديثه ... فانشح فُؤَادَك من حديث الوامق

ونشح: أخذ من الماء مايبل ريقه.

(2) فقه اللغة ص227.

(3) الأصمعيات ص198 وتأويل مشكل القرآن ص296 المعاني الكبير، ابن قتيبة جـ2 / 946. أثايج: جماعات، أحمس: شديد، فاجر: يركب الفجور، أراد مفجور فيه.

(4) شرح المفصل م2 / 517.

وبعضها عام في المذكر والمؤنث نحو: عاصف، قال تعالى: ﴿جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾[يونس:22]، ومثلها: ناقة ضامر، قال تعالى: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج:27].

وجمل بازل وناقة بازل وجمل ضامر وناقة ضامر قال الأعشى(1):

عهْدي بها في الحيّ قد سربلت   هيفاءَ مثلَ المُهْرَة الضامر

والشاهد: المهرة الضامر: الضامر صفة تستعمل للمذكر والمؤنث بدون تاء التأنيث.

وقد يعدل عن بناء إلى آخر المعنى، ومنه: العدول عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل في نحو: ضيق: ضائق، فقد قال تعالى: ﴿وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود:12] عدل عن الصفة المشبهة باسم الفاعل للدلالة على العرض، فالضيق لم يكن ملازماً لهم بل عارضاً.

وقرئ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ﴾[الأعراف:64] (2) عامين: والأصل الصفة عمى والجمع عمون، فعدل عن عمين إلى عامين ليدل على أن عدم فهمهم كان عارضاً في الحال وليس طبعاً فيهم.

وقال أسجع السلمى في رثاء عمرو بن سعيد الباهلي(3):

وما أن من رُزْء وإن جلّ جازعٌ   ولا بسرور بعد موتك فارح

عدل عن جزع إلى جازع، وعن فرح إلى فارح لإفادة أن الجَزَع الفرح عارضان في الحال غير ثابتين.

وقرأ الحسن وابن محيصن: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر:30].

وقال الحطيئة(4):

---

(1) ديوان الأعشى ص189، والمعجم المفصل جـ1 / 440، والإنصاف جـ2 / 778. وشرح المفصل م2 / 519.

(2) الكشاف 2 / 62.

(3) ديوان الحماسة ص858.

(4) ديوان ص54، وشرح: رقم 120، والمفصل جـ6 / 15.

الكاسي: المكسوّ، وقد عدل عن المفعول إلى بناء الفاعل للتعريض، فقد احتمل اسم الفاعل معناه الحقيقى ومعنى اسم المفعول، وقيل إن عمر ﷺ حمله على اسم الفاعل، عندما رفع المهجو الأمر إليه؛ فتأوله ليصرف غضبه، وهو يعلم أن المراد التعريض بالمخاطب، ونهى الحطيئة عنه[1].

وحمل بناء اسم المفعول على معنى الفاعل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[مريم:61] أي: آتياً. وقوله: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[الإسراء:45] أي ساتراً[2].

وقد يأتي اللفظ بلفظ اسم الفاعل مرة واسم المفعول مرة، والمعنى واحد، فيحمل اللفظ على اللفظ، وذلك نحو: مكان عامر ومعمور وآهل ومأهول.

ورجل مُدَجِّج ومُدَجَّج، وعبد مُكَاتِب ومُكاتَب، ونَفِست المرأة ونُفِسَت، وعَنَيت بالشيء وعُنَيت به، وسَعِد فلان وسُعِد، وزها علينا وزُهِيَ علينا[3].

وفعيل بمعنى فاعل، روى يعلي بن أمية عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله حيى سَتِير فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوار بشيء"[4]، ستير بمعنى ساتر يستر على عباده كثيراً، وهي مثل قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم[5].

ورجل قتيل وامرأة قتيل بمعنى مقتولة، ومثلها: امرأة جريح، وطريح وخضيب: مخضبة بالحناء، وعين كحيل، وامرأة كريم، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف:56] بمعنى مقترب، شبهوه بقتيل، وقيل سقطت التاء من قريب؛ لأن الرحمة والرحم واحد فحملوا الخبر على المعنى، ويؤيده قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾[الكهف:98] لفظ

---

(1) زهر الآداب جـ 19/1، جـ 713/2.
(2) تأويل مشكل القرآن ص298 الصاحبي ص188.
(3) فقه اللغة ص261.
(4) حسن صحيح أخرجه أبو داوود في كتاب " الحمام " رقم : 412، والنسائي في كتاب الغسل رقم : 407.
(5) مشكل الحديث ص127.

الرحمة على الرحم، فالأصل في فعيل أن يكون بمعنى مفعول، وليس على معنى مفتعل.

ومنها: ريح خريق، أي شديدة الهبوب كأنها تخرق الأرض.

قال الشاعر[1]:

كأن هُبوبها خفقان ريح   خريق بين أعلام طوال

فعول بمعنى فاعل نحو: غفور، صبور، شكور، طموح، عدو يقال: رجل صبور وشكور وامرأة صبور، وشكور، وغدور، وعجول، وطهور، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾[مريم: 28]، وقال تعالى: ﴿**وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾[مريم:20]. وقولهم: امرأة ملولة. زيدت التاء للمبالغة، لا للتفرقة بين المذكر والمؤنث، وقولهم: امرأة عدوّة، شاذ، وقيل حمل على صديقة في عكسه: فالمذكر صديق والمؤنث صديقة.

وإذا كان فعول بمعنى مفعول لحقته التاء لتفصل بين المذكر والمؤنث. نحو: جمل ركوب وناقة ركوبة. وأكولة بمعنى مأكولة وحلوبة بمعنى محلوبة. وأكول: تكثر الأكل بمعنى أكالة[2]. وحمل مفعول على معنى فاعل إذا كان في معناه نحو قولهم: امرأة حميدة، فلحقت بها التاء، وهي في الأصل بمعنى مفعول وحقها فعيل، فزيدت الهاء لحملها على معنى الفاعل[3].

وفيعل بمعنى فاعل نحو: طيِّب، ميت بمعنى طائب ومائت.

وفَعْل بمعنى فاعل نحو: شَيْخ، وشَهْم، ضَخْم.

وأفعل نحو: أشْيَب، أسود، أجهر.

وفَعَل نحو: بطل.

وفَعِل نحو: نَضِر، بطر، أشر.

---

(1) شرح المفصل م2 / 521.

(2) شرح المفصل جـ2 / 520، جـ م2 / 433. وشرح التصريح جـ2 / 287.

(3) شرح ابن عقيل جـ3 / 137.

وفعلان نحو: عطشان، صديان. والمعنى: عاطش، صادٍ.

فعيل بمعنى مفعول: وينوب عن معنى مفعول نحو: قتيل، جريح، أسير، طريح، صريح، عقير، مقيت (مُبغَض)، وطليح (متعب)، ودهين، وكحيل، وخضيب. وهي بمعنى اسم المفعول مقتول، مجروح ...، ويستوي في فعيل بمعنى مفعول وصف المذكر والمؤنث غالباً.

وفعيل بمعنى مُفْعِل نحو: بديع: مبدع: قال تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[البقرة:117] أي: مبدعها، وقال تعالى: ﴿**عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[البقرة:10] أي مؤلم. وقال عمرو بن معد يكرب[1]:

أمن ريحانة الداعي السميع   يؤرقني وأصحابي هُجُوعُ

يريد: الداعي المسمع.

وقرئ قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾[التكوير:24]. قيل معناها ظنين: متهم، وقيل: ضعيف، ومنه قول العرب: وصْل فلان ظنون، أي ضعيف، فيكون الأصل فيه: وما هو على الغيب بظنون، فقلبوا الواو ياءً، كما قالوا: ناقة طعوم وطعيم، للتي بين الغثة والسمينة[2].

ويقال: فلان عندي ظنين، أي متهم، وأصله "مظنون"، فصرف عن "مفعول" إلى "فعيل"، كما قالوا مطبوخ وطبيخ، قال الشاعر[3]:

وأعصىَ كلّ قربى لحاني   بَجَنْبك فَهْو عندي كالظنينِ

وبناء منفعل: قال تعالى: ﴿**السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ**﴾[المزمل:18] أي ذات انفطار، وليس على معنى حاضت وانفطرت؛ لأنها لو كانت على الأخير، لزيدت التاء على الإخبار، ومنه قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ**

---

(1) تأويل مشكل القرآن ص297. واللسان: 10 / 28.

(2) الأضداد لابن الأنباري ص16 والتبيان في إعراب القرآن جـ2 / 1273، قرأ أبو عمرو الكسائي بظنين: بمتهم وضنين: بخيل. قراءة ابن كثير.

(3) نفسه.

عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾[الحج : 2] أى فى حال الإرضاع، وقال تعالى: **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾**[الأنبياء:81] أخبر بمرضعة وعاصفة عن حدث حالي عارض فللريح أحوال أخرى، وقال تعالى: **﴿جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾**[يونس:22]؛ لاختصاصها بالإهلاك دون الريح الطيبة، والله أعلم، ومن ذلك قول الشاعر[1]:

رأيت جنون العام والعام قبله　　　كحائضة يزنى بها غير طاهر

الشاهد: حائضة بتاء التأنيث؛ لأنه إخبار عن حدث حالي، وليس وصفاً عاماً؛ لأن هذا اللفظ لا يطلق على ذكر البتة، وحائضة فى حال الحيض، فمثلها طالقة، فإن كانت مطلقة وأمسكت عن الزواج فهى طالق فيلزمها الوصف.

وقال بعض العرب: " مِرَاض " حملاً على ظريف وظِراف، قال جرير[2]:

قتلننَا بعُيُون زافها مرضٌ　　　وفي المراض لنا شجو متعذب

الشاهد: مِراض جمع مريض. ومؤنثها: مريضة؛ لأنه بمعنى فاعل. وقالوا:هالك، وهلاك وهالكون حملاً على شاهد وشهاد وشاهدون.

وقالوا جرب وجراب حملاً على حسن وحسان؛ لأن فَعَلاً وفَعِلاً يتقاربان مثل قولهم: بَطَل وأبطال، وقولهم نَكِد وأنكاد.

والقياس في جمع جَرِب: جُرْب.

قال دريد بن الصمة[3]:

ما إن رأيت ولا سمعت به　　　كاليوم هانئ أينق جُرْب

الشاهد: جمع جُرْب. والمفرد: جَرِب.

---

(1) شرح المفصل م2 / 518، ولسان العرب 7 / 142 مادة حيض، والمعجم المفصل جـ1 / 445.

(2) ديوان جرير ص348، ولسان العرب: مرض، والمعجم المفصل جـ1 / 88 وشرح المفصل م2 / 485.

(3) ديوان دريد ص34، والأغاني جـ10 / 22، وتأويل مشكل القرآن ص 251، وشرح المفصل م2/ 485. وقد زيدت إن بعد ما في ما إن رأيت. ولا يجوز أن تكون نافية فنفي النفي إثبات. وروى: طالى أينق، وأينق: جمع ناقة مقلوب أنوق وهنَّأ الإبل: طلاها بالقطران.

ومفعيل ومفعال للمبالغة، ويستوي فيهما المذكر والمؤنث نحو: رجل منطيق (بليغ)، وامرأة منطيق، ومعطير. وامرأة معطار ورجل معطار، وامرأة مذكار (تلد الذكور)، ومئناث (تلد الإناث) للمبالغة. وزيدت التاء للمبالغة في بعض الأبنية وليست للتأنيث بل للمبالغة في المذكر، ومنها: بناء "مِفْعَالة": نحو: رجل مسلابة: كثير السلب، ومشرابة: كثير الشرب، ومغضابة: كثير الغضب. ويقال: رجل مطرابة: لكثير الطرب، ومجذامة: للسريع في قطع المودة، ومعزابة: يعزب بإبله في المرعى، فيبعدها عن الناس لعزته وقدرته[1].

ومجزامة كثير القطع للمفاوز، وكثير الفصل في الأمور.

ووزن "فعّالة" نحو: علامة وفهامة ونسابة وفقاقة: كثير الكلام والصياح[2]. وهي لتأكيد المبالغة، وهي أكثر الأبنية استخداماً للمبالغة في المدح والذم، والذم نحو: عيّابة، سبّابة، لحّانة، ويوصف بفاعلة المذكر للمبالغة نحو: راوية، كثير الرواية. وساقية: كثير السقي.

ويوصف "بفعولة" للمبالغة نحو: رجل فروقة: شديد الخوف، جاء في المثل: " رب عجلةٍ تهب ريثاً ورب فروقة يدعى ليثاً ". وملولة: كثير الملل[3].

بناء " فَعْلة " نحو قولهم: رجل رَبْعة (معتدل القامة)، ولَعْنة وهَزأة[4].

ووزن " فُعْلة " نحو: لُعْنة (يلعنه الناس)، وسُبَّه، وهُزأة، وسُخرة، وضُحْكة، وخدعة.

ووزن "فُعَلة": لُعَنة: يلعن الناس، وسُبَبة: يسب الناس، ومثله سُخَرَة وضُحَكَة، وخُدَعَة. قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة:1] ، والتاء فيها ليست للتأنيث بل للمبالغة[5].

---

(1) شرح المفصل م2 / 520.

(2) المزهر للسيوطي 2 / 205 ، 206.

(3) شرح المفصل 2 / 98.

(4) شرح المفصل م2 / 519.

(5) تأويل مشكل القرآن ص15 ، 16.

وقد يحمل البناء على معنى غيره فيجمع جمعه لمناسبة بينهما من جهة اللفظ أو من ناحية المعنى ومن ذلك: مرضى وهلكى وموتى وحمقى حملت على قتلى وجرحى وعقرى ولدغى مما مفرده فعيل ومعناه مفعول، فالمفرد قتيل، وجريح، عقير، لديغ، فيجمع جمع تكسير على فعلى، وهذا عام في الآفات. ومرضى وهلكى وموتى وجربى وزمنى ليست مما يجمع على فَعْلى، لأنها أفعال لازمة ولا تبني للمجهول، فتجمع جمع سلامة: مريضون، جربون، زمنون؛ لأنها جارية على أفعالها، وتدخل في الوصف تاء التأنيث؛ للفرق بين المذكر والمؤنث يقال: مريضة، زَمِنة، جَرِبة.

والجمع مريضات، زمنات، جربات، وجمعها على فَعْلَى ليس أصلاً فيها بل حملاً على جريح وجرحى، وقتيل وقتلى، فوزن فعيل فيها بمعنى مفعول.

ومما ليس منه فعيل بمعنى مفعول، يأتي وصف المؤنث منه بزيادة هاء التأنيث ووزنه "مفعولة"، وهي بمعنى فاعلة.

وقد حمل فاعل هنا على معنى المفعول، ومن ثم حمل مَرْضى، وهلكى على جرحى وعقرى، ووزن فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه وصف المؤنث والمذكر.

وقالوا: أنوك ونوكى[1] مثل مرضى وهلكى، والأنوك الأحمق فجعلوا إصابة العقل بمنزلة إصابة البدن، وهذا ليس مطرداً فيما كان طبعاً، فلا يقال في بخيل: بخلى أو في سقيم: سقمى.

وحملوا يتامى وأيامى (جمع يتيم وأيِّم) على وجاعى وحباطى، فهي مصائب ابتلوا بها كالأوجاع، وفعالى جمع فعلان: جوعان: جوعى، ووجاعى مفردها وَجِع، وفَعِلَ وفعلان يشتركان في بعض الجمع نحو: عَطِش: عطاشى، وعَجِل وعجلان. وليس مفرد يتامى وأيامي من ذلك، فحملوا عليه وليس أصلاً فيه. وقال بعضهم الأصل في جمع أيّم: أيايم، فوقع قلب بعين الميم والياء فصارت

(1) أنوك: الأحمق والعيى فى كلامه والعاجز الجاهل، ووصف المؤنث: نوكاء، مثل أحمر: حمراء، والجمع: نوْكى، ونُوك.

"أيامي" مثل: مداري[1]، والأصل: مداير. وتقع بعض الأسماء المعربة والمبنية مواقع الأفعال في الإعراب والمعنى، فالأسماء المعربة التي تقع موقع الأفعال نحو: المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، وهى في الأصل منقولة عن الفعل، فعملت عمل . إعمال المصدر نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[البلد:14، 15] نصب "يتيماً" بإطعام وهو مصدر أطعم فعمل عمله، ومثله: ضربك محمداً شديداً. "ضرب" مصدر عمل عمل فعله ضرب فنصب "محمداً".

ويعمل اسم الفاعل عمل الفعل نحو: أنت كناطحٍ الصخرةَ. بنصب صخرة. وتعمل صيغ المبالغة عمل الفعل نحو: "أما العسلَ فأنا شرَّابٌ" نصب شراب العسل. ونحو: أنت حَذِرٌ أموراً. وبعض الأسماء المبنية حمل على معنى الفعل وعمله ومنها: اسم فعل الأمر، ويفيد الاختصار فهي للواحد والمثنى والجمع بلفظ واحد، وهي أبلغ من ذكر معناها، وبعضها لازم وبعضها متعدٍ[2]، وبعضها جاء حرفاً نحو: عليك، بمعنى الزم كقولك: عليك محمداً أي الزمه. وبعضها يدل على الأمر - وهو كثير - وبعضها يدل على الإخبار.

ومما يدل على معنى فعل الأمر: آمين: صوت سمي به الفعل (استجب)[3]، وقيل هي بمعنى افعل، عن ابن عباس ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن معنى " آمين " فقال: افعل.[4]، ولم أقف عليه فى كتب الحديث، واحسله من كلام اللغويين و فيها إشباع الفتحة مداً وصح فى الحديث أن النبى ﷺ كان يجهر بها ويمد.

(1) شرح المفصل م2 / 486.

(2) شرح ابن عقيل جـ3 / 93 وما بعدها، وتسهيل الفوائد ابن مالك، دار الكتاب العربي ص136 وما بعدها، وشرح الكافية 3 / 470، وص484، 531.

(3) مثل: رويدَ: أمهل، وحيَّهل: أسرع، وهلم: أقبل، وهي أسماء أفعال الأمر، وهي من المبنيات أيضاً.

(4) لم اقف عليه فى كتب الحديث، وجاء أمين قوة للدعاء، أمين خاتم رب العالمين. وكلها ضعيفة، وجاء عن موسى:" قولوا أمين يحبكم الله..". صحيح، أبو داود رقم 1034، والنسائى رقم 248.

قال قيس بن الملوح [1]:

يا رب لا تسلبني حبها أبداً ويرحم اللـه عبداً قال آمينا

والألف لإشباع حرف الرويّ، وهو جائز في الشعر، والأصل فيها أن تبني على الفتح[2]، وأمـين تـأتي بمعنى اسم الفاعل المؤتمِن وبمعنى اسم المفعـول المؤتَمن، قال حسان بن ثابت[3]:

وآمين حدثته سر نفسي فوعاه حِفظ الأمين الأمينا

أى: ومؤتَمن حدثته، والثاني اسم اسم فاعل، وأمين زنة فعيل وآمين زنة فاعيل.

هلم: أقبل وايت وتعالى، وهو مبني لوقوعه موقع الفعل المبني[4].

ها: اسم فعل أمر بمعنى خذ، وتزاد فيها الكـاف فـتصرف في أحوالـه، فيقـال: هـاك، ومـنهم مـن يقول: هاء فأوقع الهمزة موقع الكاف، ويكون للمفرد المذكر والمؤنث فإن كـان للمثنـي قيـل: هاؤمـا، وإن كان للجمع قيل هاؤمُ، والميم فيه للجمع والألف للدلالة على المثني، قال تعالى: ﴿**هَـاؤُمُ اقْـرَؤُوا كِتَابِيهْ**﴾[الحاقة:19] ويقال في جماعة المؤنث: هاءُونُ [5].

صَهْ: اسم فعل أمر بمعنى اسكت فى صَهْ، وصَهِ: اسـكت عـن كـل كـلام، وهـو ينـوب عـن الفعـل ويحل موضعه بقصد الإيجاز والاختصار والمبالغة، فصه أبلغ في المعنى من اسـكت (لازم) ومثلـه: مـه: اكفــف. دراك: بمعنــى أدرك (متعــدٍ)، وإيــه: زد أو حــدّث. ونــزال: اســم فعــل أمــر بمعنــى انــزل (لازم). وقدوقط: اكتفِ، وانته، وإليك: تنح، ومنهـا إليـك عنـي: تـنح عنـي. وهيـا: أسرع. حـذارِ: اسـم

---

(1) لسان العرب جـ236/1، ونسبة إلى عمر بن أبي ربيعة، وهو فى ديوان قيس بن الملوح ص219 وليس فى ديوان عمـر بـن أبي ربيعـة. شرح المفصل م182/2، وشرح الشافية جـ165/3.

(2) الكشاف جـ1 / 23.

(3) ديوان حسان ص282، والأضداد للسجستاني ص175.

(4) شرح المفصل م2 / 193 وشرح الشافية جـ164/3.

(5) شرح المفصل م2 / 195، وشرح الشافية جـ166/3.

فهل بمعنى احذر (متعدٍ)، رويدَ: أمهل وأرود (وهو متعدٍ)، وتيدَ: اسم في معنى رويد وبمعنى أمهل (متعدٍ). وهلمْ: بمعنى قرّب وأقدم (لازم)، وهاتْ: بمعنى أعط وناول، وهو مبني لوقوعه موقع الأمر، ويكسر لالتقاء الساكنين، وقيل هو بمعنى هيت وقيل هو بمعنى أتي والهاء بدل من الهمزة، والأصل ايت: هيت (أسرع).

حيهل قيل من حي وهل فصارا بمنزلة لفظ واحد، وفتحوهما لخمسة عشر، وهو بمعنى ايت.

بَلْهَ: بمعنى دع يقال بله زيداً: دعه. وعليك: الزم، قال تعالى: ﴿**كِتَابَ اللـه عَلَيْكُمْ**﴾[النساء:24] أي: الزموا كتاب اللـه[1].

وبعض أسماء الأفعال تدل على الإخبار، ومنها: شتان: شتان زيد وعمرو: افترقا وتباينا. سرعان: سرع وفعل به أي: وما أسرع الأمر. وشكان: وشك، وقرب. أُفّ: أتضجر. أوْهِ: أتوجع. وسمع فيه: أوّه وآوّه. هيهات: هيهات ذاك: بَعُد فهي اسم للفعل، عدلوا عن الفعل للمبالغة، وقد وقع الفاعل بعدها مرفوعاً لوقوعها موقع الفعل فجرت مجراه، فاقتضت فاعلاً، قال جرير[2]:

فهيهات هيهات العقيقُ وأهلُهُ وهيهات خِلٌ بالعقيق نواصله

هيهات اسم فعل ماضٍ بمعنى بعد، وقد عمل عمل الفعل فجرى مجراه، فرفع الفاعل العقيق (مكان)، ورفع الثاني خل، وهي للمبالغة والاختصار؛ لوقوعها للمفرد والمثنى والجمع.

وحمل الحرف الأصلي على الزائد في النسب إلى كلمة تحيَّة، فالنسب إليها: تحوى، حذفت الياء الأولى وقلبت الثانية واواً، ولحقت بها ياء النسب، وقد قلبت الياء الثانية واواً فراراً من اجتماع الياءات، وقد حذفت الياء الأولى - وهي عين الكلمة، فالأصل حَيّ - قياساً على رمية - وهي وزن فعيلة - فالياء

(1) شرح المفصل م2 / 175: 177، وشرح الكافية جـ 167/3.
(2) شرح المفصل م2 / 184 وديوان جرير ص965 والأشباه والنظائر للسيوطي 8 / 133.

الأولى في رمية زائدة مثل الياء في صحيفة، والنسب إلى فعيلة يكون بحذف الياء: فَعِلىّ مثل صحيفة: صحفى، ويقال في النسب إلى: رمية: رموى، فالياء فيها زائدة، وقد قلبت الياء الثانية فيها إلى واو؛ لئلا تلتقي ياءان أو كراهة توالي ياءين في آخر الكلمة، فالأصل: رمى يرمي، ومنها: رميَّة، والأصل: رميْية وزن فعيلة، وأدغمت الياء الأولى في الثانية، والياء الأولى حذفت في تحيية، وهي أصل في الكلمة، وقد أجراها العرب مجرى الياء في رميَّة. فهي وزن فعيلة[1]. فالياء في تحيَّة ليست مدة بل عين الكلمة الثانية والثانية لام الكلمة وأصله تحيية وزن تفعِلة، ثم أدغمت الياء في الياء، وأجرى الأصلي مجرى الزائد لشبهها لفظاً لا أصلاً، فقيل فيها: تحوى.

وقد وقع في تَئِية مثل ما وقع في تحية، والنسب إلى تئية، وهو من أوى بمعنى سكن، وتئية: التسكين[2].

وحمل كذلك الأصل على الزائد في تثنية قرَّاء وضّاء، يقال: قرَّاوان بقلب الهمزة - وهي أصل في قرأ - واواً تشبيهاً لها بالزائدة، وجاء فيها أيضاً قراءان، وهو الأصل والقياس، ومثلها: وُضَّاء: وُضَّاوان، قياساً على الزائد في حمراء: حمراوان[3].

ووقع الحمل فيما كانت همزته منقلبة عن حرف إلحاق نحو: عِلْباء (عصب في عنق البعير)، يقال فيها علباءان قياساً على الهمزة الأصلية التي لا تقلب في التثنية. ومثلها: حرباء: حرباءان تشبيهاً لها بالمنقلبة عن الأصل. وحمل بعضهم الهمزة الزائدة في حمراء على الهمزة الأصلية فقالوا: حمراءان، وعلة ذلك إلى أن ألف التأنيث المقصورة في حمرى قلبت همزة في فعلاء حمراء فالتحقت بالأصل، وحملت عليه[4].

---

(1) الأشباه والنظائر جـ1 / 38.
(2) الأشباه والنظائر جـ1 / 38.
(3) الأشباه والنظائر جـ1 / 38.
(4) الأشباه والنظائر جـ1 / 38.

وقد يحمل البناء على البناء الشاذ، ومن ذلك اسم التفضيل خير وشَرّ بحذف الهمزة منهما على غير المشهور من القياس، وقد حذفت لكثرة الاستعمال، وقد ورد الأصل في نادر كلام العرب، ومنه قول الشاعر[1]:

بلال خير الناس وابن الأخيرِ

وقرأ قتادة وأبو قِلابة: ﴿**سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَـذَّابُ الْأَشَرُ**﴾[القمر:26] الأَشَرّ (بفتح الشين)، وزن الأفعل، والمشهور: الأشِر، وقد حمل حذف الهمزة في "حب" على شر وخير، قال الأحوص[2]:

قد زادهُ كلفاً بالحُبّ أن مَنَعَتْ   وحَبُّ شيء إلى الإنسان ما منعا

والأصل: أحب، قال تعالى: ﴿**رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ**﴾[يوسف:33] وجاء في الحديث: "ما من أيام أحبُّ إلى اللـه فيها الصوم منه في عشر ذي الحجة "[3].

---

(1) همع الهوامع 2 / 166 والمحتسب جـ2 / 299.

(2) ديوان الأحوص ص133، والأغاني م4 / 73.

(3) رواه البخاري ومسلم.

اللفظ يدل على عين من الأعيان أو معنى من المعانى ويسمى الإفراد، وقد ينقل عن ذلك للدلالة على المثنى أو الجمع من باب المغايرة ومخالفة الاصطلاح، وهذا يكون لمعنى يحسن فيها أو تلميحاً إلى معنى بعيد أو خروجاً عن المألوف أو مبالغة في التكثير أو تجديداً في الخطاب لإثارة المتلقي فيعمل فكره في سبب العدول فيه عن الأصل، ولا يعد هذا مطعناً في اللغة بل جمالاً فيها لاحتمال التعدد في اللفظ الواحد وتنوع الأساليب، ويعد سراً من أسرار التعبير فيها، ووراء ذلك علة في المعنى يطلبها الخروج عن الاصطلاح العام، ويحسن هذا فيما ليس فيه لبس أو إبهام مما يدركه المتلقي بوعيه اللغوي(1).

والعدد في العربية يكون معيناً خلافاً للمطلق، فالعدد يكون واحداً أو اثنين ولكنه غير مقيد بإحصاء، فالعشرة جمع والمائة جمع بيد أن بعض العلماء أطلق على العدد من ثلاثة إلى تسعة عدد قلة، وما فوق العشرة عدد كثرة والجموع السالمة مذكرة ومؤنثة تدخل في جموع القلة، وهذا يوافق المشهور ولا يطرد في عموم اللغة لوجود قلة تخالف المشهور، والقياس على المشهور لضبط الخطاب اللغوي والاصطلاح على عرف عام يتبع في اللغة تيسيراً ودرأ للخلاف الذي يجلب الشقاق والتباين اللغوي.

أولاً – حمل الواحد على معنى المثنى والجمع:

- حمل الواحد على معنى المثنى : ويقع الواحد فيه موقع المثنى، ومما فسر على الحمل ذكر الواحد في سياق الحديث على المثنى فيحمل على معنى المثني، قال تعالى: تعالى ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّه**﴾[التوبة:34]، جاء في ذكر الشيئين ثم ذكر أحدهما دون الآخر والمراد به كلاهما معاً، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا**

(1) ارجع إلى شرح الكافية جـ3 / 354، 355.

﴿إِلَيْهَا﴾[الجمعة:11] وتقديره: انفضوا إليهما. وأرى أن الإفراد وقع للمقدم منهما تغليباً لقدره ولتعظيم منزلته وأهميته، والله أعلم، ومما يقوي هذا الرأي قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[التوبة:62]، والمراد أن يرضوهما[1]، فجعل الضمير لرب العزة سبحانه؛ لأن رضى الرسول ﷺ من رضى الله تعالى، فلا يخرج عليه.

وقد يوصف المثنى بلفظ المفرد، قال تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون:47] والقياس أن يقول: بشرين مثلينا، فوصف المثنى بالمفرد.

ويجوز ذلك في "الند" و"المثل" و"العِدل" و"الضد"، للمثنى المؤنث أيضاً[2].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾[طه:49] وضمير المثنى له ولأخيه، والنداء لموسى عليه السلام، دون هارون، والمراد به موسى وهارون عليه السلام، ودل على ذلك الضمير في المضاف في "ربكما"، فجعل الخطابي لمن له الولاية والخطاب، وسياق القول يدل على أنهما معاً، وقد أرسل الله تعالى هارون فى عون موسى عليهما السلام، وقال تعالى في الملكين: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[ق:17] أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فهما قعيدان، فأخبر بفعيل عن المثنى، فحمل عليهما.

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[البقرة:45] أفرد كبيرة، ولعل المراد - والله أعلم – الاستعانة بهما تكون كبيرة على غير الخاشعين، ومنه قوله تعالى لآدم وحواء عليه السلام: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه:117] فخاطب آدم وحواء ثم نص في إتمام الخطاب على آدم وأغفل حواء[3]. والمراد آدم وحواء معاً بضمير المفرد

(1) فقه اللغة ص224. وتأويل مشكل القرآن ص288.
(2) ارجع إلى: الأضداد للسجستاني ص129.
(3) فقه اللغة ص230، واللسان جـ 433/3 قعد.

المضمر في "تشقى"، فأسنده لآدم؛ لأن حواء تبع له، والله أعلم، وكانت زوجاً له.

ويجوز التعبير عن الزوجين بواحد لوضوح المعنى فيهما، فيحمل لفظ المفرد على لفظ المثنى، ومنه ما جاء في الحديث: "من أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تر"[1]، والقياس في مراعاة اللفظ: ما لم تريا، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ**﴾[ص:21، 22]. ومما حمل على لفظ المثنى لفظ العيد في قول أم عطية رضي الله عنها: " أمرنا أن نخرج الحُيَّض يوم العيدين " [2]. في هذا الحديث توحيد المضاف إلى العيدين، وهو في معنى المثنى[3]، والقياس أن يكون اللفظ: يومي العيدين.

ومثله قول الراوي عن وضوء النبي ﷺ: "ومسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما"[4]، وبإفراد ظاهر وباطن، والقياس: ظاهريهما وباطنيهما.

ومنه قولنا فى الخطاب اليومى: أخذ محمد وعلى أجرهما، والأصل: أجريهما.

وقد سمع عن العرب الإفراد وأرادوا به المثنى، فمما أريد به المثنى ما حكاه الفراء أنه سمع بعضهم يقولون: "أكلت رأس شاتين" [5] أراد رأسي شاتين. ومنه قول الشماخ بن ضرار[6]:

---

(1) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، عن ابن عمر رضي الله عنه .

(2) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب وجوب الصلاة في الثياب.

(3) شواهد التوضيح ص60.

(4) رواه أبو داود فى سننه، وصححه الترمذى عن ابن علاس، وجاء فى ابى داود: فمسح راسه وأذنيه، فغسل بطونهما وظهورهما مرة واحدة، رقم 108 ورقم 121، 123 وروى عن الربيع بنت معوذ بن عفراء.

(5) شواهد التوضيح ص60.

(6) شواهد التوضيح ص60. وترنَّمي: أي رجعى صوتك. والغر: جمع غراء يعنى البيضاء.

حَمَامة بطن الواديين ترنَّمِي

سقاك من الغُرِّ الغوادي مطيرُها

أفرد البطن، والقياس أن يقول: بطني الواديين. وقال الفرزدق[1]:

فلو بخلت يداي به وظننت لكان عليّ للقدر الخيار

والقياس أن يقول: ظننا، ومنه قول العرب: رأيته بعَينِي، وبعينيّ، والأصل: بعينيَّ.

قال سُلْميّ بن ربيعة الضّبي[2]:

وكأن بالعيني حَبَّ قرنْفُلٍ أو سنبلاً كُحِلَت به فانْهلَّتِ

يريد: ألفت البكاء لتباعدها، فساعدت العينان وجادتا بإسالة دمعها غزيراً، وقد أسند الفعل إلى لفظ المفرد فقال "كُحِلَت" إخباراً عن إحدى العينين، وساغ ذلك لما في العلم من أن حالتيهما لا تفترقان، وكل اثنين لا يكاد أحدهما ينفرد فهو على هذا المثال.

وجاءت واحدة في قول الشاعر[3]:

إذا ذكرت عيني الزمان الذي مضى

بصحراء فلْجٍ ظلت تكفان

وقال حسان رضي الله عنه[4]:

إنَّ شَرْخَ الشبابِ والشعرَ الأســ

ــوَدَ ما لم يُعاصَ كان جُنُونا

ما لم يعاص: أفرد الضمير وإن كان لاثنين، وذلك أن كل واحد منهما بمنزلة آخر فحمل عليه وجرى مجراه، فشرخ الشباب اسوداد الشعر، فهما

(1) شواهد التوضيح ص62.
(2) الأمالي للقالي جـ1 / 81 ، وحماسة أبي تمام بشرح المرزوقي جـ1 / 547.
(3) أمالي ابن الشجري 1 / 106. والبحر المحيط لأبي حيان جـ3 / 87. والصاحبي ص424، وهو غير منسوب لقائل فيهم.
(4) ديوان حسان ص413 واللسان 3 / 507 وتأويل مشكل القرآن ص280.

بمنزلة المفرد، والأصل أن يقول: يعاصا، وقال عمرو بن امرئ القيس الأنصاري مخاطباً مالك بن العجلان[1]:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلفُ

والأصل: والرأيان مختلفان، وقيل: نحن وأنت راضيان، ويجوز نحن وأنت راضون. ويجوز: نحن راضون وأنت راض فحذف خبر الأول لدلالة الثانى عليه.

ويقولون: الدار في يدي وفي يدىّ، والأصل اثنان، قال الفرزدق[2]:

فلو بخلت يداي بها وضنَّت لكان عليّ للقدر الخيار

والمعنى: لو ملكت أمري فكان عليّ أن أختار للقدر ولم يكن على القدر أن يختار.

وهذا مطرد في كل زوجين لا ينفرد أحدهما على الآخر، كاليدين، والرجلين، والعينين.

وقالت غضوب لامرأة من رهط ربيعة بن مالك، تهجوا سبيعاً[3]:

أخو الذئب يعوى والغراب ومن يكن شريكيه تطمع نفسه كل مطمع

فاسم "يكن" يعود على "من" وهو مفرد، وخبر كان "شريكيه" وهو مثنى، فكأنه قال: وأي اثنين كانا شريكيه طمعت أنفسهما كل مطمع، إلا أنه عاود لفظ الواحد بعد أن حمل على معنى التثنية، بقوله تطمع نفسه، ولم يقل "تطمع أنفسهما".

---

(1) تأويل مشكل القرآن ص289 وجمهرة أشعار العرب ص127، واللسان جـ 433/3.

(2) البيت برواية ابن فارس في الصاحبي ص424. وفي الديوان: ص 258. يروي على الأصل "يداى" ورواه ابن جنى كذلك: فلو رضيت يداى بها وقرت لكان عليّ للقدر خيار

ارجع إلى: الخصائص جـ1 / 258، ورواه المبرد على نحو ما رواه بن فارس بلفظ المفرد: "ولو أني ملكت يدي ونفسي" وهذه الأبيات قالها ندماً على تطليقه زوجته،الكامل جـ1 / 99 ط1، المكتبة العصرية.

(3) الخصائص جـ2 / 425.

ويقال: رأيت عمراً وزيداً وسلمت عليه، فأوقع الفعل على أحدهما، والأصل: وسلمت عليهما(1).

- حمل الواحد على معنى الجمع: قد يذكر الواحد ويراد به الجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا**﴾[النساء:4]، وقوله﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا**﴾[النجم:26] وتقديره: وكم من ملائكة في السموات(2)، وأرى أن لفظ الملك مما يحمل على الواحد والجمع، قال تعالى: ﴿**وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا**﴾ [الحاقة:17] الملك: اسم جنس يعنى الملائكة، وقال الأخفش في الآية: ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللـه لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى**﴾[النجم:26] الملك واحد ومعناه جمع، وهو قوله تعالى: ﴿**فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾[الحاقة:47] أحد مفرد ومعناه جمع، وكقوله تعالى: ﴿**لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾ [البقرة:285]. فبين تقع على اثنين فما زاد(3). وقوله: ﴿**وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ**﴾[النساء:152]، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين فأكثر، والتقدير: لانفرق بينهم، وقوله: ﴿**إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي**﴾[الحجر:68] يريد ضيوفي، فإنهم كانوا جماعة، ودل عليها هؤلاء، وقد دل على ذلك لفظ رُسُل في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا**﴾[هود:77] وقوله: ﴿**وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا**﴾[العنكبوت:33]، ومثلها: ﴿**وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ**﴾[القمر:37] و﴿**وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي**﴾[هود:78]، وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء**﴾[الطلاق:1]،

---

(1) فقه اللغة، الثعالبي ص224.

(2) فقه اللغة ص225 ويقال: قررنا به عيناً، والمراد أعيناً.

(3) تفسير القرطبي جـ 82/17.

والخطاب موجه للمؤمنين قاطبة، فأراد بالمفرد الجمع، وعدل عنه على ضمير الجمع في "طلقتم" ليكون دليلاً على المراد.

وقال تعالى: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[غافر:67]. أي أطفالاً. ومثلها قوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[الحج:5]. ومثله قوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾[النور:31] يريد الأطفال، فكذلك قال: الذين لم يظهروا(1)

وقال الشاعر:

فَعُمٌّ لعُمِّكُمُ نافع ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وطِفلٌ لِطِفْلِكُمُ يُؤْمَلُ

والعُمّ: الجماعة من الرجال البالغين (المدركين)، وقد أخبر عنه بلفظ المفرد "نافع"، وأراد بالطفل الأطفال(2). ومن ذلك لفظ "الفلك" في قوله تعالى: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[يس:41] وجاءت جمعاً في قوله تعالى: ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾[الحج:65]، ومن ذلك لفظ "جُنُب"، يقال "رجال جنب" وجاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ﴾[المائدة:6] و"عدو" في قولنا: "هذا عدو"، ويقال هم عدو لنا، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:77] وقوله: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[النساء: 92]. وند، تجعل للمفرد والجمع، وتأتي مفردة وجمعاً قال تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً﴾ [البقرة:22] أي أضداداً، وجاءت في موضع الجمع في قول جرير(3):

أتيماً تجعلون إليَّ نداً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وما تيم لذى حَسَب نديدُ

وتيم اسم قبيلة، والقياس أن يقال أنداد، ولكنه عدل عن الجمع إلى المفرد، ويجوز في اعتبار الأب في اسم القبيلة، فعمد إلى الأب دون القبيلة فأخبر عنه

---

(1) ارجع إلى الأضداد للسبحستاني في ص130 والاضداد لابن الأنباري 24.

(2) البيت رواه السجستاني في الأضداد ص131، وابن الأنباري في الأضداد ص25 ولم ينسباه لقائل. والعُمُ: الجماعة.

(3) ديوان جرير، مكتبة الحياة، ص164 وفيه:

أتيتم تجعلون إليَّ نداً ‏ ‏ ‏ ‏ وهلْ تيم لذى حسب نَديد

بند، وليس على هـذا الوجـه حمـل في "نـد"، ويقـال: فـلان نـدي، ونديـدي، ونديـدتي[1]. وقـال تعـالى: (والملائكة لعد ذلك ظهير) [التحريم:4].

ومن العرب من لا يثنيه ولا يجمعه، ولا يؤنثه: فيقول الرجلان ندي، والرجال ندي، والنساء ندِّي، كما قالوا: القوم مثلي، وأمثالي، قال اللـــه سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّكُـمْ إِذًا مِّـثْلُهُمْ**﴾[النساء:140]. وقولـه: ﴿**ثُـمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾[محمد:38]، ومثله عِدْل قال زهير[2]:

متى يشتجر قومٌ يَقُلْ سَرَوَاتهم　　　هم بيننا فَهُم رضاً وهم عَدْلُ

وقال الشاعر[3]:

يا عاذلاتى لا تزدن ملامتى　　　المال هدْيٌ والنساء طوالق

والشاهد: المال هَدْى. وزن فعْل.

ووزن فِعْل يخبر به عن الجمع مثل وزن فَعْل، وجاء عليه: المِثل، والشبه، والعِـدْل، والضـد يخـبر بها عن الجمع من الرجال والنساء، وهي لفظ مفردة، قال تعـالى: ﴿**إِنَّكُـمْ إِذًا مِّـثْلُهُمْ**﴾[النسـاء:140]. ويقـال أمثـالكم أيضـاً، قـال تعـالى: ﴿**ثُـمَّ لَا يَكُونُـوا أَمْثَـالَكُمْ**﴾[محمـد:38][4]. وضـد في قولـه تعـالى: ﴿**وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا**﴾[مـريم:82] أي: أضداداً، لأن أول الآيتين: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِـن دُونِ اللـــه آلِهَـةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا**﴾[مريم:81] ثم قال تعالى: ﴿**كَـلَّا سَـيَكْفُرُونَ بِعِبَـادَتِهِمْ وَيَكُونُـونَ**﴾[مـريم:82] أي تكون الآلهة ضداً عليهم، أي عوناً أراد خلاف العز، وإنمـا جعـل الضـد كالمصـادر التـي تكـون للواحـد والجمع سواء كقولك القوم رضى، والقوم عَدْل، وهم جَنْب والمشارب عَذْب، والأعلام ثَمْل، وأفرد عَـدْل،

---

(1) الأضداد ص24.

(2) ديوان زهير ص107، وتأويل مشكل القرآن ص285. والصاحبي ص181: يشتجر من المشاجرة، وهي الخصومة، وسرواتهم: أشرافهم، وهم بيننا: الحاكمون بيننا.

(3) تأويل مشكل القرآن ص286، ومجاز القرآن جـ 245/2، ولا يعرف له قائل.

(4) الأضداد لابن الأنباري ص26، والأضداد للسجستاني ص134.

وعذب وثَمْل وهي مصادر وقعت وصفاً[1]، ومثله قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾[البقرة:17] الذى مفرد فى اللفظ والمعنى على الجمع بدليل قوله: (ذهب الله بنورهم) فى بقية الآية، وقيل فى الذى: اسم جنس مثل: من، وما، فيعود إليه الضمير بلفظ المفرد أو الجمع، وقيل أراد بالذى الذين، فحذفت النون لطول الكلام بالصلة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[الزمر:33]. ويقال: رجل كَرَم ورجال كرم ونساء كرم، ويقال: رجال شَرَط وقَزَم إذا كانوا سُقَّاطاً لا أقدار لهم، قال الكميت[2]:

وجَدت الناسَ غير ابني نزار ... ولم أذمُمْهُمُ شرطاً ودونا

ولفظ "رهبان" يراد به المفرد والجمع وفيه أيضاً راهب، أنشد الفراء[3]:

لو أبصرت رهبان دير فى جبل ... لانحدر الرهبان يسعى ويصل

حمل "الرهبان" على معنى المفرد ودل عليه الضمير فى يسعى ويصل، ووزن فعيل يخبر به عن الجمع مثل فَعْل، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[التحريم:4]، فأفرد الخبر، وهذا جائز في الإخبار عن جمع التكسير، فقام المفرد مقام الجمع[4]. قال الشاعر[5]:

يا عاذلاتى لا تزدن ملامتى ... إن العواذل ليس لى بأمير

أخبر بأمير عن الجمع المؤنث فواعل، والأصل: لسنَ لى بأميرات يقودننى،

وهذا جائز فى التكسير،ووزن فعيل يوصف به المؤنث والمعنى جماعة العواذل ليس بأمير. وقد يقع العكس فيوصف المفرد بلفظ الجمع نحو: بُرْمة أعشار (مكسرة على عشر قطع)، وثوب أهْدَامٌ (الأخلاق من الثياب)، وثوب أسمال

(1) اللسان 9 / 204.
(2) الأضداد للسجستاني ص134.
(3) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص 24.
(4) تأويل مشكل القرآن ص286.
(5) تأويل مشكل القرآن ص 285، واللسان جـ 198/6، ومجاز القرآن 245/2.

(الأخلاق مفردة:سمل)، وثوب أخلاق (إذا خلق)، ورمح أقصاد. ونعل أسْمَاطٌ (لا رقعة فيها)، ويجوز: نعل سميط، وقد حمل لفظ الجمع في ذلك على معنى المفرد: عشر، هِدم، سمل، خلق، قصد، سمط.

وقال العباس بن مرداس:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم   فقد برئت من الإحَن الصدورُ

يريد: إنا إخوانكم، فحمل لفظ "أخ" على معنى الجمع، فوقع موقع الجماعة. وقال الأسود بن يعفر[1]:

ترى جوانبها بالشحم مفتوقا

فحمل لفظ "مفتوق" على معنى الجمع. وقال الشاعر[2]:

هم الموْلَى وإن جَنَفوا علينا   وإنّا من لقائِهم لزورُ

والموالي يراد به الموالي أي بني العم، كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا**﴾ [غافر:67] .

ثانياً - حمل المثنى على معنى الواحد والجمع

قد يكون الفاعل واحداً فينسب الفعل لاثنين متلازمين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا**﴾[الكهف:61] والناسى فتى موسى الذى اصطحبه فى السفر، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿**فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ**﴾ [الكهف:63]، وقد نسب الفعل في النسيان لهما؛ لأنهما رفيقان. وقال تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ**﴾[الأنعام:130] والرسل من الإنس دون الجن، قد جمع الله تعالى بينهما؛ لأن الرسل أرسلت إليهما معاً، والإنس والجن من خلق الله تعالى، ويجوز أن يكون المعنى في منكم أي: مخلوقون

---

(1) الخصائص جـ2 / 289.

(2) تأويل مشكل القرآن ص284، ومجاز القرآن جـ1 / 66، 67 وهو منسوب لعامر الخصفى. والمولى: ابن العم، والجنف: الميل والجور.

مثلكم فاصطفاهم الله تعالى لرسالاته، فيكون حجة عليهم في التكليف، والله أعلم. وقال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[الرحمن:22]، وهما يستخرجان من الماء الملح لا من العذب، فحمل العذب على المالح؛ لأنه من جنس الماء، والماء العذب يستخلص من الماء المالح فهو أصله فحمل عليه، والله أعلم. ومثله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر:12]، والحلية تستخرج من الماء المالح[1].

وغلّط ابن قتيبة أبا ذؤيب الهزلى في قوله[2] عن الدرَّة:

فجاء بها ما شِئت من لطميَّةٍ … يدوم الفُرَاتُ فوقَها ويَموجُ

والمعنى: كأن فى الدرة ماءً يموج لصفائها وحسنها، فجعل الدرة من الفرات، وهى من الماء الملح الأجاج.

وقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[ق:24] وقوله: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾[ق:26] وهو خطاب لمالك خازن النار، فهو حمل على معنى المفرد، وقيل المراد بالخطاب خزنة جهنم أو زبانيتها، فيحمل على هذا الوجه على معنى الجمع[3]، ويجوز أن تكون التثنية على خطاب الحقيقة من قول الله تعالى يخاطب به الملكين. وقيل: هو مخاطبة للسائق والحافظ[4].

وقال المضرس بن ربعي الأسدى[5]:

فقلت لصاحبى لا تحسبانا … بنزع أُصُوله واجتزّ شِيحا

والأصل: لا تحسبنى، فجعل الفعل لاثنين؛ لأنهما متلازمان، فخاطب الواحد بضمير الاثنين. وقال سويد كراع الفلكى[6]:

(1) ارجع إلى تأويل مشكل القرآن ص287.
(2) ديوان أبي ذؤيب الهزلى ص57، وتأويل مشكل القرآن ص287، وكتاب الصناعتين؛ لأبي هلال ص71.
(3) فقه اللغة ص226 وتأويل مشكل القرآن ص291.
(4) تفسير القرطبى جـ17/ 15.
(5) الصاحبى ص80، 186 واللسان 5 / 194 وتأويل مشكل القرآن ص291. يريد قلت لحاطبى ويسمى صاحب السفر.
(6) الصاحبى ص186 وتأويل مشكل القرآن ص291.

فإن تزجُرانى يا ابن عفان أنزجر وإن تدعانى أَحْمِ عِرْضَاً ممنَّعاً

جعل المخاطب اثنين وهو واحد، وقال الأعشى[1]:

وصلّ على على خير العشيّات والضُّحَى ولا تعبُدِ الشيطان والـلـه فاعبدا

والشاهد: اعبدا مسنداً إلى المثنى، والأصل: فاعبدْ، وذهب بعض العلـماء إلى أن الألـف بـدل مـن نون التوكيد الخفيفة، وقال الفراء: والعرب تقول: " ويلك ارحلاها وازجراها " وتأويل الأبيات التي وقع فيها الفعل لاثنين، وهو لواحد أن الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة نفر، فجـرى كـلام الواحـد عـلى صـاحبيه، ومن ثم يقول الشاعر: يا صبىّ، ويا خليليّ، على المثنى، وقال العلماء أدنى ما يكون الآمر والنـاهى بـين الأعوان اثنان فجرى كلامهم على ذلك[2].

وندر مجىء المثنى بمعنى الجمع فى العربيـة؛ لأنـه محـدد فى اللفـظ بـاثنين، ولتوسـع العـرب فى استخدام الواحد بمعنى المثنى واستخدامهم الجمع فى موضع المثنى، بيد أن المثنى مميز فى اللفظ فلـم يقع موقع الجمع إلا فى النادر، وللتعبير عن المثنى الذى يدل على الجمع بلفظ الجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ**﴾[الأنعام:130] فمـعشر اسـم جمـع، فجـاء الضمير جمعاً فى (يأتكم).

ومما جاء بلفـظ المثنـى واحتمـل فى المعنـى الجمـع قولـه تعـالى: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[ق:24] الخطاب للمثنى، والمراد خزنة جهنم أو زبانيتها، وقيل: الخطاب موجـه عـلى الحقيقـة لملكين[3]، وقيل: الخطاب موجه لمالك خازن النار عليه السلام.

ومــن ســنن العــرب أن تطلــق المثنــى فى بعــض كلامهــا، ويــراد بــه غــير المثنــى تجمـيلاً فيحتمـل وقوعـه عـلى الواحـد والجمـع ووقوعـه عـلى الواحـد أكـثر، وقـد تـأول

(1) الديوان ص 51، فقه اللغة ص226.
(2) تأويل مشكل القرآن ص292، 293.
(3) تفسير القرطبى جـ 15/17.

بعض العلماء مقدمات بعض القصائد التى ابتدأها الشاعر بخطاب المثنى أن المراد بها واحد، ويحتمل الجمع أيضاً. ومن ذلك قول امرئ القيس[1]:

قفا نبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل

بِسِقْطِ اللّوى بَيْنَ الدخول فَحَوْمِلِ

وهذا الخطاب يحتمل الواحد والجماعة، فقد يكون فى رفقة جماعة، ولم يتوسع العرب فى إطلاق المثنى على الجمع.

ثالثاً - حمل لفظ الجمع على معنى المفرد والمثنى

ويقع ذلك مجازاً فخراً وتعظيماً، قال تعالى: معظماً ذاته ووحدانيته: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر:9]، و﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾[يوسف:3]، و﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[القمر:49] عدل – سبحانه- عن المفرد إلى الجمع للتعظيم، وإظهار القدرة.

وقال تعالى: ﴿**بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾[النمل:35] وهو واحد، ودلّ عليه قوله: ﴿**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ**﴾[النمل:37][2]. وقوله: ﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ**﴾[هود:14]، وقال تعالى على لسان من حضره الموت: ﴿**... رَبِّ ارْجِعُونِ**﴾[المؤمنون:99]، وقال تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِآبَائِنَا**﴾[الدخان:36] والمتكلم واحد؛ لأنه من مطالب الكفار لإعجاز الأنبياء. ومنه قوله تعالى: ﴿**عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ**﴾[يونس:83] والمراد ملأ فرعون الذين يناصرونه[3].

وقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللّه**﴾[التوبة:17] ويريد بالمساجد: المسجد الحرام، جعله جمعاً للتعظيم؛ لأن المشركين يسعون فى تخريب بيوت العبادة عامة.

---

(1) الديوان ص 110 ومعلقة امرئ القيس، شرح المعلقات السبع للزوزنى ص 7.
(2) فقه اللغة ص226، وتأويل مشكل القرآن ص284، والصاحبى ص181 وص350.
(3) تأويل مشكل القرآن ص294.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[البقرة:72] وكان القاتل واحداً منهم، فنسب إلى الجميع لجهلهم به، ولأن القاتل منهم. وقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النور:7].

والشاهد في إقامة الحد بعد ثبوته أن يكون واحداً فاثنين فأكثر على مقتضى العدد، وقد ذكر طائفة؛ لأنها الأصل في إقامة الحد علناً؛ ليكون ردعاً لمن يقدم على مثله.

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾[التوبة:66] قيل إن طائفة أريد بها رجل كان لا يمالئ الطائفة المنافقة التى خاضت بالقول فى أمر النبى ﷺ، فجانبهم، ولم يشاركهم، فسماه الله تعالى طائفة تعظيماً لذنبه، لمجيئه بما يعادل عمل الطائفة، وقد جاء لفظ طائفة ليشاكل اللفظ الآخر، ويحتمل أنه وحده بمنزلة الطائفة تعظيماً لتركه لهم وعدم مشاركتهم فى الحديث[1]، والله أعلم.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾[الأنبياء:82] أسند الفعل للجمع فحمل على المعنى، و"من" تدخل فيما بعدها.

وقوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:112] فأفرد على لفظ، ثم جمع من بعد فحمل على المعنى. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات:4] قيل هو رجل واحد، ناداه: يا محمد، وهو على المشهور عيينة بن حصن قال: يا محمد، إن مدحى زين، وإن شتمى شين، فخرج النبى ﷺ، فقال: "ويلك ذاك الله عز وجل" [2]، ونسب الفعل إلى الجمع؛ لأنه كان فى جماعة من قومه. وقال الفرزدق:

---

(1) تفسير القرطبى جـ 171/8.

(2) الصاحبى، ابن فارس، مكتبة دار التراث ص81، 349 ، وتأويل مشكل القرآن ص283.

فياليت دارى بالمدينة أصبحت   بأجفار فَلْج أو بسيف الكواظم

الشاهد أجفار يريد الجفر، والكواظم: يريد كاظمة ، فحمل لفظى الجمع على معنى المفرد.

والعرب تقول: شكرت من أحسنوا إليَّ فعلهم، ولا يجوز العودة إلى المفرد (اللفظ) بعد الذهاب إلى المعنى، فلا يجوز: شكرت من أحسنوا إليَّ على فِعْلِهِ. ومنه قول الفرزدق أيضاً[1]:

وإذا ذكرت أباك أو أيامه   أخزاك حيث تُقبِّل الأحجار

أوقع لفظ الجماعة على معنى الواحد، يريد الحجر، فإنه جعل كل ناحية حجراً؛

ويمس في كل ناحية حجراً. ويجوز أن يعتد بجزء الشيء دون الشيء أو ما يدخل في غيره دون ما يدخل فيه، وهو بخلاف اعتبار الكل دون الجزء.

قال تعالى: ﴿**وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[الأحزاب:31] أسند الفعل إلى الواحدة؛ لأنه أراد: امرأة، قال ذو الرُّمة[2]:

ومية أحسن الثقلين وجهاً   وسالفه وأحسنه قذالا

فأفرد الضمير مع قدرته على جمعه، فاعتبر المفرد دون الجمع.

والعرب تقول: هو أحسن الفتيان وأجمله، وتفرد الضمير؛ لأن هذا موضع يكثر فيه الواحد، كقولك: هو أحسن فتى فى الناس[3].

ويقال في خطاب الصفوة وأولى الأمر: حضرتكم، سيادتكم، عظمتكم، فخامتكم، جلالتكم تعظيماً للمفرد المخاطب.

وقد يحمل الجمع على معنى المثنى، قال تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾[التحريم:4] ولم يقل قلباكما، فالمراد بقلوب المثنى، وقوله: ﴿**فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ**﴾[النساء:11] أى أخوان فصاعداً، وقوله:

---

(1) الخصائص جـ2 / 289.

(2) الخصائص جـ2 / 189، والقذال: القفا (جماع مؤخر الرأس من الإنسان) اللسان: قذل.

(3) الخصائص جـ2 / 287.

﴿**وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ** ﴾[الأعراف : 150] قيل إنهما لوحان[1]، وقال تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا**﴾[المائدة:38]، ولم يقل يديهما، فالمراد بالأيدى المثنى، فالحد قطع يد واحدة من السارق، وأرى أن أيدى جاءت جمعاً؛ لأن السارق والسارقة أريد بهما الجنس أى: كل سارق وكل سارقة فأضيف لفظ الجمع إلى ضمير الجنسين المذكر والمؤنث[2]، والله أعلم.

ومما جاء به بلفظ الجمع وأُريد به المثنى قوله تعالى: ﴿**قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[الأعراف:23]. والقائلان آدم وحواء عليهما السلام، أى: المتكلمان وكل من لم يغفر لهم.

ومنه قول النبى ﷺ: "إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه "[3]. أراد: نصفى ساقيه، فأطلق الجمع وأراد به المثنى، وروى فيه " إزرة المؤمن إلى نصف اللسان.." وإلى عضلة ساقية.." وقوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ**﴾[النور:26] ويراد بالجمع عائشة وصفوان رضي الله عنهما[4]، وقد يجتمع لفظان مجموعان في تركيب فيحملان على لفظهما لا جمعهما، ومن ذلك لفظا السموات والأرض فى قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ [الأنبياء:30] فاعتبر اللفظ في الضمير ولم يعتبر الجمع في السموات والأرض، فجاء الإسناد في "كان" إلى المثنى، وقال الشعبى في كلام له في مجلس عبد الملك بن مروان: "رجلان جاءونى"، فقال عبد الملك: " لحنت يا شعبى. قال: يا أمير المؤمنين لم ألحن مع قول الله عز وجل: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾[الحج:19] قال عبد الملك: لله دَرُّك يا فقيه

(1) تأويل مشكل القرآن ص283.
(2) الدلالة اللفظية، الدكتور محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو ص125، وفقه اللغة ص224.
(3) رواه أحمد رحمه الله تعالى، وابن ماجه رقم: 3573 صحيح الجامع رقم 919، 920 عن أبي هريرة، وعن أبي سعيد.
(4) تأويل مشكل القرآن ص284.

العراقين، قد شفيت وكفيت" [1]، فأجرى الشعبى المثنى مجرى الجمع فأسند الفعل إلى الجماعة، وقال الأسود بن يعفر[2]:

إن المنايا والحتوف كليهما ... فى كل يومٍ تَرْقُبان سوادِى

ثنّى حملاً على اللفظ دون المعنى، وقال الآخر[3]:

ألم يُحزِنْك أن الحبال قيس ... وتغِلب قد تباينَتَا انقطاعا

ثنّى على اللفظ دون المعنى، ويجوز الوجهان: قال تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللـه فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللـه يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[الحجرات:9] الطائفة جماعة أو فرقة، فاعتبر فيهما اللفظ فى المثنى، ثم اعتبر المعنى فقال (اقتتلوا) لدخولهم فى الفتنة ولخروجهم عن الجماعة الواحدة، ومن ثم قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللـه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[الحجرات:10]، وذكر المثنى (أخويكم)؛ لأنهما فريقان تقاتلا، فأوجب الإصلاح بينهما؛ ليدخلوا فى حوزة الجماعة وتقتضى المثنى فما فوق، ثم أمرهم جميعهم بالتقوى.

---

(1) فقه اللغة ص227، والعراقان: العراق والشام، مثل: الأسودان: التمر والماء، فحمل أحدهما على الآخر تغليباً.

(2) فقه اللغة ص227.

(3) فقه اللغة ص227.

ميزت العربية بين النوعين المذكر والمؤنث باللفظ أو اختصاص اللفظ بـالنوع، فجعلـت للمؤنـث لفظاً، سواء أكان المؤنث حقيقيـاً أو مجازيـاً، واللغـة تفـرق بـين الجنسـين في الخطـاب بالضـمائر، وفي الألفاظ بألفاظ تخص الذكور وألفاظ تخص الإناث أو بلاحقة تزاد في الاسم للتأنيث، فمن الضـمائر مـا يعرف بضمائر الذكور نحو: أنتَ، أنتم، هو، هم. وضمائر الإناث نحو: أنـتِ، هـى، هـن، ويوجـد نـوع ثالث مشترك بينهما، مثل: أنا، أنتما أطلق فيهما لمعاينة المخاطب من يخاطبه.

وإن وجد الذكور مع الإناث غُلّب ضمير المذكر، وإن كانت النسـاء كـثرة، فضـمائر الجمـع، نحـو: أنتم، تقع للذكور والإناث معاً في خطاب واحد. وأسماء الإشارة تخص الجـنس عـدا هـؤلاء، فهـى لهـما معاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**هَؤُلاء بَنَاتِي**﴾[الحجر:71]، ويفـرق بـين النـوعين بزيـادة التـاء فى الأفعـال المسندة إلى مؤنـث حقيقـى، وبزيـادة التـاء فى الأسـماء، وتقلـب فى الوقـف هـاء نحـو: رجـل وامـرأة أو بالزيادة نحو: التاء في: معلمة، وذلك فيما يشترك فيـه الرجـل والمـرأة مـن الصـفات، وقـد يقـع في بعض أعلام المؤنـث نحـو: شـجرة، ناقـة، عـزة، وقـد وقعـت بعـض الألفـاظ المؤنثـة للمـذكر خروجـاً على القاعدة التى تفرق بينهما، وذلك نحـو: حمـزة، طلحـة، معاويـة، ومـن الأعـلام المعـاصرة: عـزت، شـوكت، رأفـت، مـدحت، وأصـلها: عـزة، شـوكة، رأفـة، مدحـة، وهـى أسـماء مؤنثـة أطلقـت عـلى مذكر، وهنالك ألفاظ على لفظ المذكر وضعت لمؤنث مثل: قطام، سجاح، عناق، حزام، وحديثاً: نجـاح، رضـا، ومثلهـا: عقـرب، وعقـــاب، عنكبـوت. ومـن ذلـك بعـض الصـفات التـى تـأتي عـلى وزن: فاعـل نحـو: حـائض، وفعيـل نحـو: قتيـل وجـريح، ومثلـه: فعـول، ومفعيـل، ومفعـال[1]، وهنالـك أعـلام

(1) ارجع إلى: الكتاب جـ3 / 236 - 239، والمقتضب 3 / 32.

مؤنثة في المعنى نحو: سحر، وقمر، وقدم، وتعرف بالمؤنث المعنوى فليس بها علامة من علامات التأنيث، ومثلها: هند، وعلا، قِدْر، أمل، شمس، والأسماء الأعجمية الدخيلة نحو: حِمْص، مِصْر (الدولة)، فرنسا، وغيرها من أسماء الدول وأسماء النساء نحو: مارى، هايدى، جيهان، ومثله من الجمع: إبل، غنم. وهذه الأسماء متمكنة في التأنيث فتمنع من الصرف و إن تسمى بها مذكر. وأسماء بها رمز التأنيث نحو: نجلاء، وسمراء، وفاطمة، سُلْمى، سُعْدى. والأصل أن يوضع لفظ لكل نوع نحو: رجل: امرأة، ولد: بنت. ثم استخدموا لفظاً لهما فيما اشتركا فيه وزادوا التاء في المؤنث ثم اطردت زيادتها في كثير من التأنيث ومنه: امرؤ: امرأة، رجل: سمع فيه رجلة، ومنه ما حكاه أبو زيد: "فكانت عائشة رضي الله عنها - رجلة الرأى"، قال الشاعر[1]:

مزقوا جيب فتاتهم لم يُبالُوا حُرْمة الرجلة

ومثله: حمار: حمارة، والأصل: أتان، وبرذون (دابة تركب): برذونة، وثعلب: ثعلبة (ثرْملة)، وعل: وعلة (أروية)، قرد: قردة (مِسَّة)، عصفور: عصفورة، نمر: نمرة، ضفدع: ضفدعة. قنفذ: قنفذة[2].

وهنالك صفات في المؤنث دون المذكر نحو: حائض، طامث، وحامل، أى امراة ذات حيض وطمث وحمل، فهى على النسب عند الخليل وعند سيبويه: تؤول بإنسان أو شيء: إنسان حائض، وذلك للدلالة على ثبوت الوصف فى المؤنث، فإن كان عارضاً في زمن محدد جاز: حائضة، طامثة، حاملة بمعنى الآن،أو غداً، وليس على الوصف الدائم، فالتاء تدخل على الصفة الخاصة بالأنثى لتحديد زمنها وحدوثها، فإن كانت دائمة حذفت من الوصف، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ**﴾[الحج:2]، زاد التاء؛ لأن المرضعة التى تكون في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبى فهى تباشر

---

(1) شرح المفصل م2 / 511، 512.

(2) المزهر جـ2 /220، وشرح المفصل م2 /512، ولسان العرب 1 /266، والمعجم المفصل 2 / 648.

الرضاع، فتترك رضيعها من هول الموقف، والمرضع التى شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فهى امرأة مدرة للبن، فتوصف بمرضع[1]. والتاء تزاد للتفرقة بين الواحد والجمع نحو: تمر: تمرة، شعير: شعيرة، حب: حبة، دجاج: دجاجة، بط: بطة، حمام: حمامة، شجر: شجرة.

قال جرير[2]:

لمَّا تذكرت بالدَّيْرين أرقنى　　　صوت الدجاج وقرع النواقيس

صوت الدجاج: صوت الديكة، فالدجاج جمع الذكور والإناث، ومثلها: ساع: ساعة، قال الشاعر[3]:

وكنا كالحريق أصاب غاباً　　　فيخبو ساعة ويهبُّ ساعة

ومثله الفصل بين جنس الصناعة نحو: لَبِن: لَبِنة، جر: جرّة، وقلنس: قلنسوة. سفين: سفينة.

وقد تزاد في المذكر لغير التانيث نحو: راوية، حاكية، باغية، راعية، للمبالغة في الفعل وليست للتأنيث نحو: فروقة (لشديد الخوف)، ومثلها: ملولة، وعجولة. ومثله: فقاقة (أحمق كثير الكلام)، ومثله: إمعة (يتابع رأى غيره في كل شيء فلا رأى له)، ومثله: نسابة، وعيابة، وهُمَزة ولُمَزة، وذلك ليس من المؤنث، وقد تناولنا ذلك من قبل، ومثله: زيادة التاء للعوض عن المحذوف، فالتاء تكون عوضاً عن فاء الكلمة نحو: عِدَّة من وعد، ومثلها: ثبة من وثب، وعوضاً من العين نحو: إقامة من أقام، والأصل: إقوام وزن إفعال مثل: إحسان وإكرام، ومثلها: استقالة واستقامة واستطاعة. وعوضاً عن لام الكلمة نحو: لغة من لغو، كرة من كرو، سِنة من سِنه أو سنو. فالجمع: سنوات، وسنهات. كرهوا تعاقب الحركات في الواو فحذفت الواو أو الهاء، وعوضوا عن

---

(1) الكشاف جـ2 / 56.

(2) ديوان جرير. ط الصاوى ص321.

(3) ديوان القطامى ص 262 وروى: وكنا كالحريق لدى الكفاح واللسان: سرع 749/4.

المحذوف بحرف التاء في موضع المحذوف فى اللام، ثم اطرد القياس فعوض عن المحذوف في موضع الفاء واللام في آخر الكلمة قياساً على حذف اللام؛ لأن الحذف فيها كثير[1].

ولحقت التاء ببعض الأسماء التى تتطلق على المذكر والمؤنث مثل: الحية، البطة، النملة، الجرادة، البومة، البقرة، يراد بها الواحد من جنسها، فتطلق على المذكر والمؤنث، مع صحة المذكر نحو: ثور في الذكور. ومثله بعض المذكر الذى يطلق على النوعين نحو: أسد، ذئب، أرنب، ثعبان. جاز فيها أن تطلق على النوعين، وقيل أطلقت على النوعين فيما أبهم فيه معرفة المذكر والمؤنث فلا يتحقق من النوع فيسميه بلفظ عام، والأصل أن يفرق بين المذكر والمؤنث. ومثلها التاء التى تزاد في جموع القلة وزن أفعلة نحو: ألوية، أردية، أرغفة، أقمصة، أفئدة.

وبناء فِعْلة نحو: صِبية، عِلْية، فِتية، وبناء فُعْلة: قُضَاة، سُعَاة، رُمَاة، طُهَاة، وفَعَلة نحو: سَحَرة، خَونَة، قصَصَة، ضعفة. وبناء فِعَلة نحو: قِرَدة، دِيَكَة، فِيَلَة، وهذه الجموع يجوز تأنيث الفعل معها والتاء فيها ليست للتأنيث.

وينبغى أن نفرق بين ما يحمل على المعنى فى التذكير والتأنيث وبين ما يحمل على اللفظ، فالأول يكون في الألفاظ التي سمع فيها التذكير والتأنيث في لغة من أنثها أو ذكرها، فيقال: أُنثت حملاً على معنى المذكر، ويقال: ذكرت على معنى المذكر. والثانى يحمل على اللفظ فقط في الألفاظ التي اختصت بجنسها ولم يسمع فيها خلافه، فالألفاظ المخصوصة بالتأنيث لا تحمل على معنى المذكر، والألفاظ المخصوصة بالتذكير لا تحمل على معنى المؤنث، فالحمل فيهما يكون على اللفظ فقط؛ لأن المؤنث صريح التأنيث لا يجوز أن يكون بمعنى المذكر؛ لأنه مخصوص بجنسه وكذلك المذكر الصريح لا يكون بمعنى المؤنث.

---

(1) المقتضب جـ1 / 243.

والحمل على اللفظ والمعنى وقع في التركيب، فالحمل لايكون إلا في تركيب، وقد صحت وجوه في العربية عدل فيها عن لفظ المذكر إلى المؤنث أو العكس، وذلك من خلال الضمير العائد على اللفظ الذي وقع الحمل فيه، أو الزيادة التي وقعت كتاء التأنيث في الفعل أو في الوصف، أو البناء المخصوص بالنوع، كجمع الذكور أو الإناث، فالقرينة اللفظية تبين وقوع الحمل على نوع المذكر أو المؤنث.

وهنالك ألفاظ عامة في الجنسين يدخل فيها المؤنث في حكم المذكر لعموم الحكم في النوعين.

وهنالك ألفاظ تقع على الذكور حملت في اللفظ على المؤنث مثل جموع التكسير يجوز التذكير والتأنيث فيها؛ لاحتمال معنى الجماعة فيها.

أولاً - حمل المؤنث على لفظ المذكر

وقع المؤنث موقع المؤنث ودخل في لفظ، وأشهر تلك المواضع دخول الإناث في ضمير الذكور فى الخطاب القرآنى، وذلك في المواطن التي شمل الحكم فيها، وهذا الحمل في اللفظ لا المعنى؛ لأن المؤنث لا يكون بمعنى المؤنث لاختلاف الجنسين.

وجاء الخطاب المذكر شاملاً الجنسين في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللـه إِنَّ اللـه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[البقرة:110] خطاب للذكور والإناث، ومثلها: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللـه بِهِ**﴾[المائدة:3]، وهذا الحكم وغيره من أحكام التحريم عام فى الذكور والإناث، فالتكليف فى العبادات والتحريم فى المحرمات يشمل الجنسين فتدخل الإناث فى حكم الرجال، وهذا من باب التغليب والإيجاز فيما اشتركا فيه، وتغليب الرجال على النساء من سنن العربية وليس هذا خاص بها؛ بل شأن كثير من اللغات، وتغليب الذكور على الإناث ليس مطرداً فى العربية،

فتتهم بالتعص للذكورة، فقد يعامل لفظ المذكر معاملة المؤنث للفظ خلافاً للغات الأخرى. وخَصَّ الخطاب الإناث في المواطن التي تحتاج توكيداً أو تخص النساء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[النور:30] هذا لتأكيد الحكم في الذكور صراحة لمجيء ذكر النساء بعده، والفرج للمرأة فأطلق على عورة الرجل والمرأة تغليباً، وتعظيماً لعفة المرأة وهذا مما حمل فيه الذكور على لفظ الإناث، ثم جاء الخطاب صريحاً للمرأة ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:31] جاء الخطاب بلفظ المؤنث لتأكيد الحكم للإناث. وجاء التفريق بينهما في اللفظ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الحجرات:11]. لفظ قوم خاص بالذكور - عند بعض المفسرين - ومن ثم جاء ذكر النساء صراحة. فقالوا : يقال للرجال قوم دون النساء؛ لأنهم يقومون في الأمور، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء﴾[النساء:34].

وجاء التفريق بينهما في اللفظ في قول زهير(1):

وما أدرى ولست إخال أدْرى ... أقوم آل حصن أم نساء

وقيل إن لفظ قوم خاص في الرجال، ويجوز دخول النساء فيه لأنهن تبع لهم، وقالوا إن النساء ذكرن في الآية تأكيداً على نهيهن؛ لأن السخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب يكثر بينهن فذكرهن لتأكيد تحريم ذلك. ومثله قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:31] جاء تأكيداً على نهيهن وتعظيماً لعفتهن.

---

(1) ديوان زهير ص 73، والكشاف للزمخشري جـ 344/2 ط بولاق.

ومنه قول امرئ القيس فى رجل أصاب رميته[1]:

فهو لا تنمى رميَّتُه ماله لاعُدَّ من نَفَرِه

وكلمة "نفر" تخص الرجال، ولكنه قد يحمل على الرجال والنساء معاً؛ لأنهن ينفرون مع الرجال إذا استنفروهن والنساء تبع لرجالهن، وقد خاطبهن الله تعالى بخطاب الرجال فى السياق العام الذى يراد به الجميع، وتدخل النساء مع الرجال فى بعض الكلمات العامة مثل: الناس، البشر، الإنسان، الخلق.

وقد اقترن المؤنث بالمذكر فى بعض المواضع تعظيماً لهن وتأكيداً على مساوتهن بالرجال فى الأجر، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ الله كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ الله لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[الأحزاب:35]، وهذا تكريم للنساء ومدح لهن فى المنازل التى يسابقن الرجال فيها. وهنالك مواضع غير عامة تتعلق بسياقها حمل فيها المؤنث على لفظ المذكر، فقد يحمل المؤنث على المذكر تغليباً، نحو قوله تعالى: ﴿**وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾[التحريم:12] (من القانتين) مذكر، والأصل أن تدخل فى النساء (القانتات) ولكنه جاء مذكراً؛ لأن القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين، فغلّب ذكوره على إناثه، و"من" للتبعيض، ويجوز أن يكون "من" لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين[2].

وأرى أنها دخلت فى لفظ جمع الذكور فيما دخل فيه المؤنث مع المذكر من شمول الحكم العام، وقد سبقها: ﴿**وَضَرَبَ الله مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾[التحريم:11] وذكر فى الذين آمنوا امرأة فرعون ومريم ابنة عمران- عليهما الرحمة - فى

(1) الديوان ص 61.
(2) الكشاف م 429/4.

مقابل اثنتين من الذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، والمراد بلفظ "الذين" الجماعة التى يدخل فيها الرجال والنساء، فجاء لفظ القانتين جامعاً الرجال والنساء؛ لأن المرأتين من الذين كفروا والمرأتين من الذين آمنوا جعلهن الله تعالى للجنسين وليس للنساء فقط، فجاء اللفظ مذكراً؛ ليكون المَثَل عاماً وتأنيثه يخرج اعتبار الرجال به، والله أعلم. قال تعالى: ﴿**فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ**﴾ [البقرة:275]، ذكر فِعْل الموعظة وهى مؤنثة، حملاً لها على لفظ المذكر (الوعظ)[1]، وقيل: ذكّر؛ لأن تأنيث موعظة ليس بحقيقى، وقيل: ذكّر؛ لوجود الفصل بالهاء بين المؤنث غير الحقيقى والفعل، فيجوز التذكير والتأنيث[2]، وقيل: الوعظ والموعظة معناهما واحد يقال: وعظ وعظاً وموعظة. وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾[النحل:66] حمل لفظ الأنعام على التذكير، وهى جمع يذكر ويؤنث، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾[المؤمنون:21] فحمل "الأنعام" فى الأولى على لفظ المذكر، وحمل التأنيث على معنى المؤنث، وقيل إن الأنعام جنس فعاد الضمير إليه على المعنى، وقيل: الأنعام جمع نعم، وجمع التكسير يحمل على التأنيث، ولجمع التكسير الذى حمل على التذكير نظير فى لغة العرب، قال الأعشى[3]:

فإن تعدينى ولى همة   فإن الحوادث أودى بها

فحمل لفظ الحوادث على لفظ التذكير، فقال "أودى"، وجاء الضمير مذكراً فى "بطونه" على لغة من يذكر، وجاء فى "بطونها" على لغة من يؤنث، ومنه

---

(1) الاقتراح للسيوطى ص 250.

(2) البيان فى إعراب غريب القرآن، ابن الأنبارى، مكتبة الآداب ص174، التبيان فى إعراب القرآن ص224، والخصائص جـ 282/2.

(3) الديوان ص 28 وفيه: فإن تعهدينى ولحاملة .: فإن الحوادث ألوى بها ألوى: ذهب، واللمة ناحية الشعر، يريد سقوط الشعر.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾[ق:11] أى: فأحيينا بالمطر مكاناً ميتاً، فأراد بالبلدة المكان، ولهذا جاء الوصف مذكراً "ميت"، ويجوز ميتة[1]، وقيل: إن التاء لحقت بقرية وبلدة وغرفة وسقاية لمجرد تكثير بنية الكلمة، وتفيد التأنيث فى بعضها وتفرق بين الواحد والجمع فى بعضها وصح لفظاً بلد وبلدة، وأرى أن ميتة يجوز أن تحمل على وصف المذكر والمؤنث مثل: رَبْعة، فالتاء لازمة فيما يشترك فيه المذكر والمؤنث، يقال: رجل رَبْعة وامرأة رَبْعة (ويعنى المعتدل والمعتدلة من الرجال والنساء لا بالطويل ولا بالقصير)، وقد جاء لفظ المذكر فى قوله تعالى: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[الأعراف:57]، وحمل لفظ المؤنث على معنى المذكر نحو: "السماء" فى قوله تعالى: ﴿السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل:18] قال أبو عمرو بن العلاء: السماء منفطرة، ألقى الهاء؛ لأن مجازها السقف، نقول: هذا سماء البيت، وقال قوم: قد تلقى العرب من المؤنث الهاءات استغناء، يقال: مهرة ضامر وامرأة طالق[2]، وقد حمل "السماء"، وهو مؤنث – على معنى السقف – وهو مذكر. قال ابن فارس معقباً: "وهذا يتسع جداً "[3]، فالبيت يتضمن السقف، مثل: الأصابع يراد بها الأنامل فى: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾[نوح:7]، وقرئ قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾[سبأ:3] قرئ: (ليأتينكم) بالياء مذكراً، قال ابن جنى: جاز التذكير هنا بعد قوله: (لا تأتينكم الساعة)؛ لأن المخوف منها إنما هو عقابها، والمأمول ثوابها، فغلب معنى التذكير الذى هو مرجوّ أو مخوف، فذكّر[4]، وجاز تأنيثه على التأوّيل، وذلك لغلبة التذكير فى اللغة.

(1) الصاحبى ص 426، والجامع لأحكام القرآن الكريم ص 8/17، وشرح الأشمونى 97/2.
(2) مجاز القرآن، لأبى عبيدة جـ 274/2.
(3) ارجع إلى: الصاحبى ص 425، وشرح كافية ابن الحاجب جـ 3*399.
(4) ارجع إلى: الصاحبى ص 425، وشرح كافية ابن الحاجب جـ 399/3.

ومن تذكير المؤنث حملاً على معنى المذكر فيه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾[الأنعام:78]، أى: هذا الشخص أو هذا المرئى ونحوه[1]، وقيل أراد: هذا الكوكب ربى أو هذا الطالع أو الضوء، وقيل ذكّر هذا؛ لأن التأنيث غير حقيقى، وقد عاد اسم الإشارة على متقدم. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف:56]، قيل المراد بالرحمة "المطر"، ويجوز أن يكون التذكير هنا؛ لأجل الوصف بفعِيل التى يوصف بها المذكر والمؤنث معاً[2]، ورحمة مصدر من رحم، فوقع الوصف على المصدر. والقرآن الكريم يحمل على أفضل الوجوه وأقواها، ومن ذلك حكم إعطاء المضاف حكم المضاف إليه فى التذكير والتأنيث ضرورة، وقد حمل ابن مالك والنسفى تذكير قريب على أن الرحمة ذكرت لإضافتها إلى لفظ الجلالة (المذكر)، والعرب تعطى المضاف حكم المضاف إليه فى التذكير والتأنيث إذا صح الاستغناء عنه[3]، وقد رد ابن القيم هذا الوجه، فما صح عن العرب فيه نادر، ومنه قولهم: "ذهبت بعض أصابعه" [4].

وذهب الجوهرى إلى أن الرحمة مؤنث غير حقيقى فجاز تذكير قريب، وضعّف أبو حيان هذا الوجه؛ لأنه جائز إن كان الفاعل ضميراً يعود على متقدم مجازى التأنيث، فإن تأخر فليس فيه إلا التأنيث نحو: الشمس طالعة، فلا يجوز طالع إلا فى ضرورة، وتابع رأيه[5]. وجاء فى الحديث: "إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه" أى كريم قوم، وقيل إن الهاء فى "كريمة" للمبالغة، يراد به البالغ فى الكرم، كما قالوا: علاّمة ونسَّابة، فزادوا الهاء للمبالغة، ومثلهم الهاء فى هِلْباجة:

(1) الخصائص جـ 282/2، والتبيان جـ 512/1.

(2) الخصائص جـ 282/2، والتبيان جـ 575/1.

(3) الأشباه والنظائر للسيوطى جـ 238/2، ومدارك التنزيل، مطبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبى) (د.ت) جـ 57/2.

(4) بدائع الفوائد، ابن القيم جـ 26/3.

(5) البحر المحيط، أبو حيان، جـ 314/4، وبدائع الفوائد جـ 28/2.

رجل هلباجة، إذا كان أحمق فيشبهونه بالبهيمة، ومثلهم: نديد، يقال للمبالغة نديدة، قال لبيد بن ربيعة[(1)]:

لكى لا يكونَ السَّنْدِرىّ نديدَتى   وأشتمُ أقواماً عُمُوماً عَماعِما

ومنه قول عامر بن جوين الطائى[(2)]:

فلا مُزَّنة ودقت وَدْقها   ولا أرض أبقلَ إبقالُها

فلا سحابة أرسلت مطرها، وأرض أخرجت نباتها، والأرض مؤنث فحمل لفظها على معنى الموضع أو المكان، ونظيره البلدة فى قوله تعالى: ﴿**وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا**﴾[ق:11]. ومن ذلك قول الحطيئة[(3)]:

ثلاثة أنفس وثلاث زود   لقد جار الزمان على عيالى

يريد بالنفس: الإنسان، أى ثلاثة من البشر أو ثلاثة أناسى، فخالف العدد ثلاثة المعدود أنفس، ومفردها نفس، والنفس مؤنث، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**﴾[الشمس:7]، وأرى أنه يريد بأنفس عياله، فسياق الحديث عن عياله.

ثانياً - حمل المذكر على المؤنث

أجرى العرب لفظ المذكر مُجْرى المؤنث ، ومن ذلك قول النبى ﷺ: "أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخير تقدمونها، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم" [(4)] أجرى لفظ خير مجرى المؤنث فأنث الضمير العائد عليه (فى تقدمونها)، والخير مذكر، وأجاز العلماء تأنيثه إذا أُوِّل بمؤنث، كتأويل الخير الذى تقدم إليه النفس الصالحة بالرحمة أو الحسنى أو باليسرى، كقوله

---

(1) السندرى شاعر كان مع علقمة بن علاثة وكان لبيد مع عامر بن الطفيل، فدعى لبيد إلى مهاجاته، فأبى، والعماعم الجماعات، والعُمْ: الرجال البالغون، ارجع إلى الأضداد للسجستانى ص 129.

(2) الكتاب لسيبويه جـ 46/2، والخصائص جـ 281/2.

(3) ديوان الحطيئة ص120، والخصائص جـ214/2، والكتاب جـ 565/3، الزود: نوق، يريد: ثلاثة عيالٍ، وثلاث نوق يتقوت بألبانها على عياله، والزود اسم مفرد مؤنث منقول من المصدر يقع على الجمع، فيضاف العدد إليه كما يضاف إلى الجموع.

(4) رواه البخارى، كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنازة.

تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:26] وقوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[الليل:7][1]، وجاء فى حديث الذباب: "فإن فى إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء" [2]، أنَّث جناح وهو مذكر ودل على تأنيثه: إحدى والأخرى مؤنث أحد وآخر، وقد أنث الجناح؛ لأنه من الطائر بمنزلة اليد، فجاز تأنيثه مؤولاً بها[3]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[الأنعام:160] أنث العدد "عشر"، وهى مذكر (مؤنثها:عشرة) لتأويلها بالحسنات، وجاء فى قراءة أبى العالية: ﴿لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾[الأنعام:158] أنث الفعل "تنفع"، وهو مسند إلى إيمان؛ لأنه فى المعنى طاعة وإنابة، فاقتضى هذا المعنى التأنيث للدلالة عليه، ولا يجوز توجيه تأنيث الفعل تنفع على سريان التأنيث من المضاف إلى المضاف إليه، فالمضاف إلى إيمانها يعود على المفعول نفس، ولا يجوز إسناد الفعل إلى ضمير المفعول، وجواز سريان التأنيث من المضاف إلى المضاف إليه مشروط بصحة الاستغناء به عنه، ولا يجوز الاستغناء عن الفاعل "إيمان" بضمير المضاف الذى يعود على المفعول "نفس". ويجوز تأنيث المذكر إن صح وقوعه موقعه من الكلام، فيجوز سريان التأنيث من المضاف إليه إلى المضاف: وهذا جائز إن صح الاستغناء بالمضاف عن المضاف إليه، ومن ذلك قول ذى الرُّمة[4]:

مَشَيْنَ كما اهتزت رماحٌ تسفهَت   أعاليها مَرُّ الرياح النواسم

اكتسب الفعل التأنيث من المضاف وهو الرياح؛ لأنه جمع وجمع تكسير يعامل معاملة المؤنث فى اللفظ، أنث الفعل تسفهت؛ لأن التأنيث سرى من

---

(1) شواهد التوضيح والتصحيح ص 84.

(2) رواه البخارى، كتاب بدء الخلق، إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه.

(3) شواهد التوضيح والتصحيح ص 85.

(4) ديوان ذى الرمة ص303، وشواهد التوضيح والتصحيح ص 85، والخصائص جـ419/2، والكتاب جـ25/1، 33، والمحتسب جـ237/1، يصف النساء فى مشيهن وثنيهن بأنهن مثل رماح منصوبة هزتها الرياح فاهتزت وتثنت.

المضاف "الرياح" إلى المضاف إليه، ويجوز فى مثل: سرتنى إيمان الجارية، لجواز وقوع الجارية موقع الفاعل "إيمان"، فجاز سريان التأنيث إلى الإيمان.

وجمع التكسير الذى ليس بينه وبين مفرده إلا الهاء يذكر ويؤنث مثل: السحاب مفرد سحابة، جاء مذكر فى قوله تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:164]، وجاء مؤنثاً فى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف:57]، ذكر "بُشُرا" بضم الباء والشين والتنوين جمع بشير، فذكر على إرادة معنى فاعل من فعيل، وبُشُر مثل قُلُب وقليب، وقراءة تسكين الشين بمعنى مبشِّرات، ويقرأ بُشْرُى مثل: حُبْلى، أى ذات بشارة، وقرئت "نُشُراً" من النشور مثل: صَبُور وصُبُر، وفعول تكون بمعنى فاعل، فيوصف بها المذكر والمؤنث(1)، والمشهور: بُشْراً.

وقد يحمل لفظ المذكر على معنى لفظ المؤنث، ولا يعتد بمعنى المذكر، وهذا النوع نادر فى اللغة، والعام اختصاص اللفظ بدلالته مذكراً أو مؤنثاً، قال أبو عمرو: سمعت رجلاً من اليمن يقول: فلان لَغُوبُ جاءته كتابى فاحتقرها، فقلت له: أتقول: جاءته كتابى؟ فقال: نعم، أليس بصحيفة(2).

قال ابن جنى: فهذا الأعرابى الجِلف علَّلَ هذا الموضع بهذه العلة، واحتج لتأنيث المذكر بما ذكره(3)، ومثل ذلك لفظ بعض إن أضيف إلى مؤنث حمل على معناه؛ لأن بعض المؤنث مؤنث، قال تعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾

---

(1) التبيان جـ 575/1، ومشكل إعراب القرآن جـ 321/1، وتفسير القرطبى 229/7، والمحتسب 255/1، وفقه اللغة ص 268، 269.

(2) الخصائص، ط دار الكتب جـ 249/1، ونزهة الألباء لابن الأنبارى، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر 1967 م ص 29، والاقتراح ص 280، والمحتسب م 186/2.

(3) الخصائص جـ 418/1.

[يوسف:10] أنث الفعل؛ لأن بعض السيارة سيارة، وعليه قول بعض العرب: ذهبت بعض أصابعه؛ لأن بعضها إصبع فى المعنى، والإصبع مؤنث، والجزء يدخل فيما تجزأ عنه، وبعض الأصابع جزء منها مجمَعة[1].

وبعض الشىء يدخل فيه؛ لأنه جزء منه، ومنه قول الأعشى[2]:

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شَرِقَتْ صدر القناة من الدم

الشاهد: شرقت صدر القناة، والصدر مذكر، فأنث الفعل؛ لأنه يدخل فيما هو جزء منه (القناة) فأرادها به، وعليه قول ذى الرمة[3]:

مشين كما اهتزَّت رماحٌ سَفَّهت أعاليها مَرُّ الرياح النواسم

يريد: تسفهت مَرُّ الرياح: أعاليها، أنث الفعل؛ لأن مر أضيف إلى مؤنث "الريح" قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر:22]. وقال جرير[4]:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخُشَّع

وسور المدينة جزء منها، فأنث الفعل.

وقال العجاج (وقيل الأغلب العجلى)[5]:

طولُ الليالى أسرعت فى نقضى أكلن بعضى وتركن بعضى

وقال أيضاً:

على قبضة موجوءةٍ ظهرُ كفه فلا المرء مستحى ولا هو طاعم

يريد: ظهرُ كفه على قبضة موجوءة، وظهر الكف جزء منه.

وقال تميم بن مقبل[6]:

---

(1) المحتسب م 186/2.

(2) الديوان ص 183، الخصائص جـ 418/2، والكتاب جـ 25/1.

(3) الخصائص جـ 419/2.

(4) الديوان 345، والخصائص جـ 286/2.

(5) الخصائص جـ 420/2، موجوءة، وقيل: مرجوّة.

(6) الخصائص جـ 420/2، والكتمان اسم موضع وقيل جبل، والمهرية الذقن: الإبل التى تميل ذقنها إلى الأرض عند السير وقيل السريعة، ارجع إلى معانى القرآن جـ 187/1.

قد صرح السيرُ عن كُتمان وابتُذِلَتْ وقْعُ المحاجن بالمَهْرية الذُّقُن

أى: ابتذلت المهرية وهى المنسوبة إلى مهرة، وأصلها: الذُّقُن المهرية، فقلبه وأنث.

وأما قول بعض العرب: "صرعتنى بعير لى" فليس فيه حمل؛ لأن" البعير" يقع على المذكر والمؤنث.

قال أبو ذؤيب الهذلى[1]:

إذا لسَعَتْهُ النَّحْل لم يرجُ لَسْعَها وخَالفَها فى بيت نُوبٍ عَوَامِلِ

أنث النحل – وهى لغة – والتذكير جيد[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان:11] ثم جاء بعده: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:12]، والسعير مذكر، وهو من تَسعّر من سعار النار، ثم جاء بعده فعل مؤنثه، مجازها: أنها النار، والعرب تفعل ذلك، تظهر مذكراً من سبب مؤنثه، ثم يؤمنون ما بعد المذكر على معنى المؤنثة، وله نظير فى كلام العرب، ومنه قول المخَيَّس:

إن تميماً خُلِقت ململُوما

وتميم اسم رجل، ولكنه قصد إلى القبيلة فأنث فعله فقال: "خلقت" ثم رجع إلى تميم فقال: ملموماً فى قوله "خلقت ملموماً"، وهو يريد اسم الرجل تميم وليس القبيلة فحقها ملمومة، ثم عاد إلى الجماعة المذكور فقال:

قوماً ترى واحدهم صِهْميما[3]

ثم عاد إلى اسم الرجل "تميم" فقال:

(1) ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية 1945، 1950 جـ 143/1، الأضداد لأبى حاتم السجستانى، تحقيق الدكتور محمد عبدالقادر، مكتبة النهضة المصرية ط 1411/1 هـ - 1991 م ص 143، وبيت النحل الجُبْح والخلية والجباح والخلايا، والنوب: جمع نائب أراد أنها تأتى بالشمع والعسل.

(2) نفسه.

(3) الصِّهميم من الرجال الشجاع الذى يركب رأسه ولا يثنيه شىء عما يريد ويهوى.

لا رَاحمَ الناسَ ولا مرحوما

أى: لا راحم "هو" أراد الرجل[1]. و"تيم" اسم قبيلة أيضاً، وقد جاء فى قول جرير مفرداً يريد به الجد[2]:

أتيماً تجعلون إلىّ ندّاً وما تيمُ لِذِى حسب نديدُ

وقال رويشد بن كثير الطائى[3]:

يا أيها الراكب المزجى مطيته سائل بنى أسد ما هذه الصوت

الشاهد: هذه الصوت، حمل معنى الصوت على الاستغاثة، فأشار إليه بمؤنث، وقال الشاعر[4]:

لو كان فى قلبى كقْدر قلامة حُبَّاً لغيرك قد أتاها أرسلى

الشاهد: أتاها أرسلى، كسر رسولاً وهو مذكر على أَرْسُل، وهو جمع تكسير المؤنث، كأتان، وآتُن، وعناق وأَعْنُق، وعقاب وأعقب، ومثل جناح وأجنح، وقد كسر رسول؛ لأنه يريد به المرأة التى حملت الرسالة وهى التى تغوص فى حمل هذا النوع من الرسائل.

وقد حمل لفظ المفرد المذكر على معنى المؤنث فى قوله تعالى: ﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الشعراء:16]، جعل الرسول بمعنى الرسالة، فجاز الوصف به للواحد والتثنية والجمع، مثل الوصف ببعض المصادر نحو: صَوْم، وزور، يقال: هو رجل زور، وهما رجلان زور وهم رجال زور، ومنه قول الشاعر:

لقد كذب الواشون! مافُهتُ عندهم بسِّر ولا أرسلتهم برسول

أى: برسالة، وأريد به الجمع فى قول الشاعر:

---

(1) مجاز القرآن جـ 70/2.

(2) ديوان جرير جـ 331/1، والأضداد للسجستانى ص 130، والأضداد لابن الأنبارى ص 130.

(3) الخصائص جـ 285/2.

(6) نفسه.

ألكنى إليها ، وخير الرســ ... ـول أعلمهم بنواحى الخير

أى: وخير الرُّسل[1].

وقد يحمل اللفظ على معنى لفظ آخر من مادته ويخالفه فى البناء، ومـن ذلـك مـا أنشـده ابـن جنى من قول الشاعر[2]:

أتهجر بيتا بالحجارة تلفعتْ ... به الخوفُ والأعداء من كل جانب

الشاهد: تلفعت به الخوف، فذهب بالخوف إلى المخافة، وأنث الفعل، ومن ذلك قول لبيد[3]:

فمضى وقدَّمها وكانت عادةً ... منه إذا هى عرّدت إقدامُها

قيل أنث الفعل " عردت "؛ لأنه حمل الإقدام على معنـى التقدمـة، وقيـل إن فاعلـه يعـود عـلى "عادة" وهى مؤنث. ومن ذلك "ثلاث شخوص" فى قول عمر بن أبى ربيعة[4]:

فكان مجنِّى دون من كنت أتّقى ... ثلاث شُخوصٍ : كاعبان وُمعْصِرُ

الشاهد: ثلاث شخوص، وحقه فى العدد أن يقول: ثلاثة أشخص؛ لأن شـخص مـذكر، وثلاثـة عـدد قلة، وتمييزه يكون على وزن أفعل، ولكنه قصد إلى النساء فى المعنى؛ فأنث على المعنـى فجعـل العـدد "ثلاثاً" مذكراً ليخالف معدوده، وأبان عما أراد بقوله: كاعبان ومُعْصِرُ[5]، واستخدم وزن جمع الكـثرة " فعـول " فى موضـع وزن جمـع القلـة " أفعـل "، وهـذا صـحيح فى العربيـة، قـال تعـالى: ﴿**ثَلاَثَـةَ قُرُوَءٍ**﴾[البقرة:228].

(1) الكشاف جـ 353/3، وقد جاء الرسول مثنى موافقاً المبتدأ فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾[طه:47]، جـاء مثنـى لأنـه معنـاه (المرُسَـل) فوجب تثنيته، وقال أبو عبيدة فى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:16] أراد رسالة، مجاز القرآن جـ 84/2، والصاحبى ص 426.

(2) الخصائص 417/2.

(3) الكامل جـ471/2، والخصائص جـ 284/2.

(4) الخصائص جـ 419/2.

(5) الكامل جـ471/2، والصاحبى ص 425، الخصائص جـ 419/2.

ومن ذلك قول القائل[1]:

فإن كلاباً عَشْرُ أبطُـــنٍ

وأنت برىء من قبائلها العَشْر

والبطن مذكر، ولكنه حمل أبطن على معنى القبائل، وحق ظاهر اللفـظ أن يقـول عشرة أبطـن؛ لأن البطن مذكر، ولكنه فى هذا الموضع فى معنى القبيلة، فأنث لتأنيث القبيلة فى المعنى[2].

وقال القتَّال الكلابى[3]:

قبائلنا سبعُ وأنتم ثلاثــة

وللسَّبْعُ خيرُ من ثلاثٍ وأكثر

ثالثاً - استواء المذكر والمؤنث

يستوى المذكر والمؤنث فى بعض الألفاظ، فيجىء اللفظ فـيهما عـلى سـواء دون تغيـير أو زيـادة، ومن ذلك:

بعض أبنية الوصف يستوى فيها المذكر والمؤنث:

مِفعَال: مِعْطار، مذكار (تلد الذكور)، مئناث (تلد الإناث).

ومِفْعَل: مِحْرَب.

ومُفْعِل: نحو: مُرْضع، وهو المؤنث، ومُشعِر للرجل.

ومِفْعِيل: منطيق.

ومنفعِل: منفطر نحو: ﴿**السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ**﴾[المزمل:18].

فِعَال: نحو: ناقة دِلاث، وعِيان.

---

(1) الصاحبى ص 425، البيت غير منسوب لقائل، وقد نسبه لرجل من بنى كلب وهـو غـير منسـوب فى الكامـل للمـبرد جــ471/2، وتفسـير الطبرى جـ 60/9، ومعانى القرآن للفراء 126/1، والخصائص لابن جنى جـ 286/2، وقيل: إن القائل النواح الكلابى يهجو رجلاً ادعى نسـبه فى بنى كلاب، فذكر أنهم عشرة، ولا نسب له فيهم، الكتاب لسيبويه جـ 565/3.

(2) معانى القرآن للفراء جـ 126/1.

(3) الكتاب جـ565/3.

وفاعل: نحو: ناشز، وحائض، وطامث، وهى للمؤنث فقط، ومثلها: عاقر، وقاعد للآيسة من الحيض، وعاهر، وفاجر، وطاهر، ومثلها: عاصف، فى وصف الريح: ﴿**جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ**﴾ [يونس:22] وناقة ضامر[1].

وفعيل: بمعنى مفعول، ويبنى بناء فعيل للمذكر فلا يؤنث إن كان بمعنى مفعول نحو: عين كحيل، وكف خضيب، ولحية دهين، بمعنى: مكحولة، ومخضوبة، ومدهونة.

ويجوز أن يأتى وصف المؤنث بلفظ المذكر على وزن فعيل، نحو: قتيل، وبخيل[2]. وجاء ذلك فى قول جرير[3]:

نصبن الهوى ثم ارتمينَ قلوبَنا بأعين أعداء وهن صديق

أراد: وهن صديقات، وقول ابن حزام[4]:

ليالى لا عفراء منك بعيدة فتسلى ولا عفراء منك قريب

يريد: عفراء منه قريبة، ومن ثم فالوصف فى الآية للفظ المؤنث "رحمة "، وليس فيها حمل على المعنى على هذا الوجه.

وفَعَال: نحو: جبان، وحكى سيبويه أنه سمع فيها جبانه. روى البخارى، عن مسروق قال: دخلنا على عائشة ﷺ وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً يشِّببُ بأبيات له وقال[5]:

حصان رَزَان ما تُزَنُّ بِرِيَبةٍ وتُصبحُ غَرْثى مِن لحوم الغوافل

وقال الأموى[6]:

---

(1) ارجع إلى: المذكر والمؤنث، أبو البركات ابن الأنبارى، تحقيق عضيمة وعبد التواب، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1419 هـ 1999 م جـ 15/2، وشرح المفصل م 517/2، وشرح الكافية جـ 399/3، 400.

(2) الخصائص جـ 282/2، والمذكر والمؤنث لأبى بكر بن الأنبارى جـ 15/2.

(3) اللسان، مادة صدق، وديوان جرير جـ 398/1، وفيه: دعون الهوى، وبأسهم أعداء.

(4) الخصائص جـ 282/2، والأغانى جـ 158/3.

(5) صحيح البخارى، كتاب المغازى، باب حديث الإفك 41/3.

(6) الأضداد لابن الأنبارى ص 26.

فحصان، ورزان، وزن فعال، وهو لفظ مذكر ووصف به المؤنث دون إلحاق تاء التأنيث بـه؛ لأنـه بمعنى فاعل. وقد جاز أن يحمل اللفظ على النـوعين فى بعـض المواضـع والألفـاظ، ومـن ذلـك ألفـاظ الجنس التى تشمل النوعين بإطلاق اللفظ عليهما، فيعين المذكر فيها بقرينة تدل عليه.

وفعول: بمعنى فاعل نحو: عدوّ، وسمع فيهـا عـدوّة، وركـوب، قـال تعـالى: ﴿**فَصَـكَّتْ وَجْهَهَـا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**﴾[الـذاريات:29]، والمعنى: وأنا عجوز عقيم، ويقال: امرأة هَـدِىّ، وهـى عـروس، وهدى وزن فعيل بمعنى مهدية، وعروس يوصف بها المذكر والمؤنـث[1]، وامـرأة ظلـوم ورجـل ظلـوم، وغضوب بمعنى غاضب، فإن كـان الوصـف بمعنـى مفعـول زيـدت التـاء: ظلمومـة: بمعنـى مظلومـة، وعجول: فيه عجلة وفيها عجلة، ويقولون: رجل ظنون وظنين إذا كان ضعيفاً، قال تعـالى: ﴿**وَمَـا هُـوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾[التكوير:24] وهى قراءة ابن كثير وأبى عمـرو والكسـائى ورويـس، وقـرأ البـاقون بالضاد (بضنين) أى: حريص على ادعاء العلـم بـه، وظنـين فى الآيـة: مـتهم، وظنـين، وضـجور، ضروس، ضحوك[2].

ومنهـا أسـماء الجـنس: نحـو: نملـة، حبـة، شـجرة، يجـوز فيهـا أن تكـون مـذكراً، والتـاء فيهـا للوحدة للتفرقة بين المفرد والجمع، نملة: نمـل، حبـة: حـب، قـال تعـالى: ﴿**قَالَـتْ نَمْلَـةٌ**﴾[النمـل:18]، ولا يجوز هذا فى علم المـذكر الحقيقـى، يقـال: قـال طلحـة؛ لأنـه يلتـبس فى التأنيـث بالمؤنـث، ونملـة ليست بمؤنث حقيقى، فيجوز قال نملـة وإن كانـت ذكـراً نحـو: غـردت حمامـة ذكـر، وعنـدى ثـلاث مـن الـبط ذكـور، فهـى مؤنـث لفظـى، ويجـوز فيهـا الوجهـان: عنـدى مـن الـذكور حمامـة حسـنة

(1) المذكر والمؤنث جـ 23/2.

(2) نفسه.

وحسن[1]. نحو: رأيت حياً على حية، أى ذكراً على أنثى، وقالوا أيضاً: فلان حية، أى: ذكر، ومثلها: شاة للذكر والأنثى[2]، ومثل ذلك: رأيت جراداً على جرادة وحماماً على حمامة أى: ذكراً على أنثى، وهم يريدون الواحد من الجراد فجعلت الهاء دليلاً على الواحدة، للتفريق بينها وبين المذكر؛ لأنهم لو قالوا: حية على حية لم يعرف النوع، وقد سمع فى "رجل" رجلة للمؤنث فى النوادر، فالحية تذكر وتؤنث. أنشد الفراء[3]:

فما تَزْدَرى من حية جبليَّة　　سُكاتٍ إذا ما عضَّ ليس بأوردا

حية مذكر وقد دل عليه الضمير.

وقال الأخطل[4]:

إن الفرزدق قد شالت نعامته　　وعَضَّه حيَّةٌ من قومه ذكَرُ

حية: مذكر وقيدها الوصف ذكر بالمذكر.

وقد يحمل اللفظ على التذكير والتأنيث، ومن ذلك لفظ "السبيل" فى قوله تعالى: ﴿**وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**﴾[الأعراف:146]، جاء اللفظ مذكراً وجاء مؤنثاً فى قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللـه عَلَى بَصِيرَةٍ**﴾[يوسف:108]، ومن ذلك الطاغوت فى قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ**﴾[النساء:60]، وجاء مؤنثاً فى قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا**﴾[الزمر:17]، ومن ذلك"ناب" مذكر ويؤنث حملاً على معنى "سِن"، وهو مؤنث يقال: سن كبيرة، وكبرت سنه[5].

---

(1) شرح الكافية جـ 404/3.
(2) المذكر والمؤنث للفراء ص 69، 70.
(3) المذكر والمؤنث للفراء ص 70 ولسان العرب: سكت.
(4) المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ص 438، والمخصص لابن سيده جـ 107/16.
(5) فقه اللغة ص 231، والتبيان م110/2.

وقد أجاز العلماء جريان التأنيث من المضاف إلى المضاف إليه إن صح وقوع المضاف موقع المضاف إليه فى الإسناد، فيؤنث المذكر، والمضاف إليه حملاً على تأنيث المضاف، ولا يكونان شبيهان بما يستغنى عنه[1]. ومن ذلك قول ابن عباس ﷺ: "اجتمع عند البيت قرشيان وثقفىّ، أو ثقفيان وقرشى، كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم"[2]. أنث كثيرة وقليلة؛ لأن الشاهدين أشبها ما يستغنى عنه نحو: أعجبتنى شحم بطون الغنم، ونفعت الرجالَ فقه قلوبهم، فالغنم والقلوب يجوز أن يقعا موقع الفاعل، ويجوز تشبيه شحم البطون وفقه القلوب بهما فى قول ابن عباس ﷺ مع أن المضافين لا يقعان موقع شحم وفقه فى كثيرة شحم بطونهم وقليلة فقه قلوبهم، وأجاز بعض العلماء تأنيث كثيرة وقليلة على تأويل الشحم بالمعنى العام "شحوم"، والفقه يأوّل بالفهوم، وهذا جائز فى العربية قياساً على لغوب بمعنى صحيفة.

وقال أبو جحيفة ﷺ: "خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة، فأتى بوضوء فتوضأ، فصلى بنا الظهر والعصر، وبين يديه عنزة والمرأة والحمار يمرون من ورائها"[3]، أعاد ضمير الذكور العقلاء على مؤنث ومذكر غير عاقلين: وقد تأوّل ابن مالك ذلك أنه أراد: المرأة والحمار وراكبه، فحذف الراكب لدلالة الحمار عليه، فنسب المرور إلى الحمار، ودليل صحة ما ذهب إليه ابن مالك أنه يجوز فى العربية أن يقال: وصلت السيارة، والمراد راكبها، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾** [يوسف:70]، **﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾** [يوسف:82]، **﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ ...﴾** [يوسف:94]، المراد: راكبو العير. وحق أفعل التفضيل المفرد نكرة أن يلزم الإفراد والتذكير فى

(1) شواهد التوضيح ص 86.

(2) صحيح البخارى، كتاب التفسير، سورة فصلت، باب(وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرادكم).

(3) رواه البخارى، كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى العنزة.

التفضيل نحو: هند أفضل الطالبات. وقال تعالى: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[النحل:125]، ويجوز تأنيث أفعل معرفة نقول: الحسنى، الفضْلى، الدنيا، العلْيَا والقُصْيا، والأصل: الدنوى، والعلوَى، والقصوى، وبعض العرب نطق بها على لفظها الأصلى: القصوى تنبيهاً على الأصل، وقد استخدمها بعض العرب على الأصل فى الوصف، فقالوا: "خذ الحُلْوَى وأعطه الُمرَّى" [1]، قال تعالى: ﴿**وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾[النجم : 31]، ولفظ "دنيا" مؤنث أدنى، وزن أفعل التفضيل، وأفعل التفضيل إذا نكر لزم الإفراد والتذكير وامتنع تأنيثه وتثنيته وجمعه، وقد جاء استعمال "دنيا" مؤنثاً ونكرة فى بعض النصوص الصحيحة، وكان حقه أن لا يستعمل كما لا يستعمل قصوى ولا كبرى[2]، وقد جاء فى الحديث الصحيح: " ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها" [3]، وقال أبو ذر الغفارىرضي الله عنه:" ولا - والله - لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله " [4].

وقال الفرزدق[5]:

لا يعجبنَّك دنيا أنت تاركها　　　كم نالهَا من أناس ثم ذهبوا

جاء لفظ دنيا فى الحديثين مؤنثاً ونكرة، وهذا فى القياس غير جائز، لأن"أفعل" التفضيل نكرة لا تؤنث ولا تثنى ولا تجمع، إلا أن دنيا فى الحديثين لا يراد بها الوصف بل العلمية، فأجريت مجرى وزن فعلى مما ليس وصفاً نحو: رُجْعى وبُهْمى، وقد عومل "جُلَّى" (مؤنث الأجل)، معاملة دنيا فى الجمع بين التنكير والتأنيث، قال بشامة بن حزم النهشلىّ:

---

(1) الكتاب لسيبويه ج389/4، شرح الشافية ج177/3، 178. والتتمة فى التصريف ص 109.
(2) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص 81.
(3) صحيح البخارى، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة.
(4) رواه البخارى، كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز.
(5) شواهد التوضيح ص 81، لم أعثرفى الديون الذى تحت يدى.

أجرى الشاعر الجلَّى (مؤنث الأجل)، مجرى الاسم الذى يدل على الحادثة العظيمة بعد أن خلع عنه الوصفية، فجرى مجرى الأسماء التى لا وصفية لها فى الأصل نحو: رُجْعَى وبهمى[1]، وجُلَّى وزن فُعْلَى أجراه مجرى الأسماء، وقال: أرد به جليلة، ويدخل هذا فى المجاز، "والمرأة والحمار يمرون من ورائها" أى: العنزة التى أمامه، فأعاد ضمير الذكور العقلاء على مؤنث ومذكر غير عاقل، وهذا فى ظاهر اللفظ، والمعنى فيه المرأة والحمار وراكبه يمرون من وراء العنزة التى أمامه، فحذف الراكب لدلالة الحمار عليه، وغلب ضمير المذكر العاقل (راكب الحمار)، على غير العاقل وعلى المرأة، وتغليب المحذوف المقدر جائز فى اللغة نحو: قول العرب: " راكب البعير طليحان " وروى: "الناقة، وراكب الناقة طليحان" وروى: "راكب الناقة طليحان" أى: والناقة لكنه حذف المعطوف لأمرين: أحدهما تقدم ذكر الناقة، والشىء إذا تقدم دل على ما هو مثله، ومثله من حذف المعطوف قول الله عز وجل: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ**﴾[البقرة:60]، أى: فضرب فانفجرت فحذف فضَرَبَ، وهومعطوف على قوله: (فقلنا) وكذلك قول الشاعر التغلبى:

إذا الماءُ خالَطها سخينا

أى: فشربنا سخينا، ولا يجوز تقدير معطوف عليه أى: الناقة وراكب الناقة طليحان، لأن الحذف اتساع والاتساع بابه آخر الكلام وأوسطه لا صدره وأوله، يجوز الاتساع فى حذف الأول، والأوجه تقدير المحذوف آخر الكلمة. والوجه الثانى أن يكون الكلام محمولاً على حذف المضاف أى راكب الناقة أحد طليحين، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه (راكب الناقة)، والطليح الذى أجهده السفر وهزله[2].

(1) شواهد التوضيح ص81. وسراة الناس سادتهم.
(2) لسان العرب: طلح.

والفعل يؤنث ويذكر، فيؤنث بإلحاق تاء التأنيث فيه، وتجب زيادتها إن جاور الفاعل المؤنث الحقيقى فاعله، ويؤنث الفعل جوازاً إن كان الفاعل جمع تكسير، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾[الحجرات:14]، أنث الفعل؛ لأن الجمع يكسب الاسم تأنيثاً، فهو بمعنى الجماعة، وليس بمؤنث حقيقى؛ لأنه يقع فى اللفظ لا المعنى فهو بمنزلة الدار والنعل، والتأنيث يقع فيه على إرادة الجمع، ولا اعتبار بلفظ المفرد، يقال: قامت الرجال، أى: جماعة الرجال، وقام النساء: أى: قام جمع النساء، ومثله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾[يوسف:30].

ويجوز فى الجمع المكسر من الذكور التأنيث والتذكير من دون ترجيح، لأن لفظ المفرد قد تغير فى التكسير وصارت المعاملة مع لفظ الجمع، فإن قدر جمعاً ذُكَّر وإن قدر بالجماعة أُنِّث، قال الشاعر:

إذا الرجالُ وَلَدت أولادُها　　　واضطربت من كِبر أعضادُها

وجعلت أوصابُها تعتادُها　　　فهىْ زروع قد دنا حِصَادُها

الشواهد: ولدت، اضطربت، جعلت، أسندت إلى فاعلين من أبنيه التكسير، فوقعت مؤنثة، ويجوز التذكير على إرادة لفظ الجمع[1]، ويجوز إثبات التاء أو حذفها إن كان الرافع نعم أو بئس، فالإثبات والحذف فصيح نحو: نعم المرأة هند، ونعمتِ المرأة هند.

وحكى سيبويه عن بعض العرب: "قال فلانة" استغناء بالمؤنث الظاهر عن علامته. ويذكر الفعل إن فصل بينه وبين فاعله فاصل، وهو أجود، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾[البقرة:275]، فصلت الهاء بين الفعل والفاعل، ومنه قول الشاعر[2]:

إن امرأ غرَّه منكن واحدة　　　بعدى وبعدك فى الدنيا لمغرور

---

(1) شرح المفصل م523/2.

(2) شرح كافية ابن الحاجب ج 406/3، 407.

ذكر الفعل لعدم اتصال فاعله به "غرَّه منكن واحدة". وقال جرير هاجياً الأخطل[1]:

لقد ولد الأُخَيطِلَ أمٌّ سوء   على باب استها صُلُب وشام

جاء الفعل مذكراً للفصل بين الفعل وفاعله، وهذا جائز فيما ليس فيه لبس، فالتأنيث ظاهر فى الفاعل، فلا يضره حذف التاء فى الفعل للدلالة الفاعل بعد الفعل عليه.

(1) ديوان جرير ص 515، الخصائص2 ج284/2، قال ابن جنى: وتذكير المؤنث واسع جداً؛ لأنه رد فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب فى التناكر والإعراب.

الإعراب فى العربية أحوال حركات أواخر الكلم فى الجملة رفعاً ونصباً وجراً وبناء، فلا إعراب فى الكلمات التى خرجت عن الإسناد، كالأسماء المفردة المطلقة دون إسناد أو تركيب تشارك فيه غيرها، والإعراب فى العربية يبيِّن المعانى وأغراض المتكلمين، فالمتكلم قد لا يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفرداً أو مركباً قبل الإعراب، بيد أنه يفهم المعنى فى سياق لغوى، فإنه فرع المعنى، فقد يكون الإعراب سبيل فهم المعنى[1] فيما اختلف ترتيبه عن المألوف، وأعمل فيه الأسلوب.

وقد جعل علماء العربية الإعراب أساساً فى تفسير اللغة، فالعلاقات التركيبية جزء من المعنى، وحركات الإعراب تبين وظائف الألفاظ فى الجمل، فتفرق بين المتكافئين، فقد يحتمل أن يكون الإسناد لأحد الاسمين فيحدد الإعراب الفاعل والمفعول، وقد ذهب ابن قتيبة إلى أن الإعراب يفرق بين المعنيين المختلفين نحو: هذا قاتلٌ أخى (بتنوين قاتل). وهذا قاتلُ أخى (على الإضافة). فالتنوين دلّ على أنه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنه قتله[2].

وجاء فى الحديث: " لا يُقْتل قرشى صَبْراً بعد اليوم " [3]، قد يتوهم أحد أن اللام في " يقتلُ " ساكنة على أن "لا" ناهية. وهذا يوجب عدم قتل القرشى وإن ارتدَّ أو قتل عمداً، وهذا ليس مقصوداً، فقد جاء فيه الرفع وهو الأرجح، فلا نافية نحو: أنت لا تقرأُ كثيراً. والحديث بالرفع يعنى أن قريشاً قد دخلت الإسلام ولن يرتد منها أحد فيحد على ردته. وقد ساق ابن قتيبة أدلة توجب معرفة الإعراب لمعرفة المعنى، ودعا إلى ربط الشكل بالمضمون أو اللفظ بالمعنى، وقد نقلت عنه الشاهدين السابقين، وهذا يؤكد فهم العلماء طبيعة اللغة العربية

(1) الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى(ط الهيئة 1973م) جـ309/2.
(2) تأويل مشكل الإعراب، ابن قتيبة، مكتبة دار التراث ص 14.
(3) رواه أحمد فى مسنده (طبعة الحلبى) جـ214/3 ،213/4، وتأويل مشكل القرآن ص14.

وعرفها فى التعبير عن المعنى. وقد ناقش ابن الأثير علاقة الإعراب بفهم المعنى، ورأى أن بعض المواضع التى تخلص فيها المتكلم من الإعراب يفهم المراد منها، ولا يختل المعنى فيها نحو: جاء زيد راكبْ. بإسقاط حركات الإعراب فسكن حرف الإعراب، والمعنى ظاهر. وهذا يكون فى التراكيب التى تفهم من لفظها وتشاكل المشهور من كلام الناس فليس فيها إبهام، ولكن يتعسر الفهم فيما وقع فيه تقديم وتأخير أو المواضع التى يصح أن يسند الفعل فيها إلى ما وقع بعده على سواء دون معرفة الفاعل من المفعول نحو: ضرب زيد عمرو. كل منهما يصح أن يكون فاعلاً وأن يكون مفعولاً، لعدم وجود قرينة تبين الفاعل والمفعول. والتقديم والتأخير لا يعرف إلا بالإعراب، ومن ذلك: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللـه مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**﴾[فاطر:28] فالمعنى على ترتيب أجزاء الجملة فاسد، فالله تعالى لا يخشى أحداً بل يخشاه العلماء وغيرهم والعلماء أشد خشية؛ لكثرة علمهم به، وهذا يستوجب معرفة علامة الإعراب، فلفظ الجلاله المفعول والفاعل العلماء.

وقولنا: ما أحسنْ زيدْ، بتسكين آخر أحسن وآخر زيد، فيحتمل التركيب التعجب من حسن زيد، ويحتمل الاستفهام عن محاسن زيد، ويحتمل الإخبار بنفى الإحسان عن زيد، والإعراب يدفع هذا الاحتمال ويخص التركيب بمعنى واحد منها فقولنا: ما أحسنَ زيداً! تعجب. وقولنا: ما أحسنُ زيدٍ؟ استفهام . وقولنا: ما أحْسَنَ زيدُ . إخبار بنفى[1].

واختلاف علامة الإعراب يعقبه اختلاف المعنى ومن ذلك قول ابنة أبى الأسود الدؤلى له : يا أبتِ ما أشدُ الحرِ (وهى متعجبة) فرفعت "أشد" ففهم أبو الأسود من الإعراب بالرفع أنها مستفهمة، فقال: شهْر ناجر (كل شهر فى صميم الجر) فقالت: يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك! فصوب خطأها، فأمرها أن

(1) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية جـ30/1.

تفتح "أشدَ" للتعجب[1]. وعلماء العربية جعلوا الإعراب سبيلاً إلى فهم المعنى، فربطوا بينه وبين المعنى خلافاً للمدارس غير العربية التى فرقت بين الشكل والمعنى.

حمل الإعراب على المعنى

قد تأتى الجملة على معنى يستوجبه فى السياق بيد أن هذا المعنى فيه شذوذ عن القياس النحوى، فيغلب المعنى ويوجه عليه الإعراب؛ لأن المراد بوضع الألفاظ فى التراكيب المعنى، فالمعنى المقصد الرئيسى وليس اللفظ، ومن ثم يوضع عليه ترتيب اللفظ ويوجه عليه الإعراب، وقد رأى عبد القاهر أن الكلمة مفردة عن التركيب لا قيمة لها إلا فى تركيب تدخل فيه مع غيرها.

" وإذا كان هذا كذلك فينبغى أن ننظر إلى الكلمة قبل دخولها فى التأليف، وقبل أن تصير الصورة التى بها يكون الكلم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً، وتؤدى فى الجملة معنى من المعانى لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظه على لفظه، هل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضل فى الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذى وضعت له من صاحبتها على ما هى موسومة به" [2] ؟!

وهذه المعانى الخاصة والدلالات السياقية لا تتحقق من الكلمة وهى مفردة بل داخل التراكيب فالمعنى السياقى، يختلف عن المعنى المعجمى، فالأول يعرف من خلال التركيب، والثانى يعرف من خلال الكلمة وهى بعيدة عن سياقها الخاص، فالمعنى المعجمى مجموع المعانى التى ترد بها المفردات فى سياقاتها المختلفة مع معرفة الأصل الذى وضع له اللفظ إن أمكن ذلك، لكن السياق يحدد دلالة اللفظ بإعطائه معنى واحداً من خلال التركيب النحوى، وقد ربط عبد القاهر بين المعنى والتركيب، فقال: " إن النظم يكون فى معانى الكلم

---

(1) المثل السائر جـ30،31/1.

(2) دلائل الاعجاز، الجرجانى، تحقيق شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص35.

دون ألفاظها وأن نظمها توخّى معانى النحو فيها"[1]. ويتبين من قول عبد القاهر أنه يعتد بالبنية فى فهم المعنى، ويرى أن اللفظ عديم القيمة دون تركيب. وقد ذهب ابن قيم الجوزية مذهب عبد القاهر فى دراسة المعنى، فقد رأى أن المعنى من خلال التركيب ألطف وأرق: " دلالة التركيب، وهى ضم نص إلى نص آخر، وهى غير دلالة الاقتران بل ألطف منها وأرق وأصح " [2].

والألفاظ فى التراكيب تقام على المعانى التى يقصدها صاحبها، فالكلمات فى ترتيبها إعراب عن أغراضه، وقواعد الإعراب تخضع للمعنى، وهو الأكثر أثراً فى التراكيب، فاللغة العربية بها وجوه إعرابية حملت على المعنى، وهى فى الظاهر تخالف قواعد الإعراب، ولكن هذا الوجه المخالف يستقيم مع المعنى ويحمل عليه، وهذا قليل فيها.

يقول ابن جنى عما أسماه "الحمل على المعنى": "هو غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، يدور به القرآن الكريم، وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً، كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصور المعنى الواحد فى الجماعة، والجماعة فى الواحد، وفى حمل الثانى على لفظ قد يكون عليه الأول، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً، وغير ذلك مما تراه"[3]. ومثال ذلك: تذكير المؤنث، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**﴾[الأنعام:78]. أى هذا الشخص أو هذا المرئى ونحوه[4]. وتأنيث المذكر مثل: ﴿**قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾[يوسف: 10]. لأن بعض السيارة سيارة أو بعض منها. والفردوس أنثت فى قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَرِثُونَ**

---

(1) نفسه ص 297.

(2) إعلام الموقعين 362/1.

(3) الخصائص 411/2.

(4) الخصائص 412/2.

الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[المؤمنين:11]؛ لأنها حملت على معنى الجنة[1]. وقد يكتسب اللفظ التأنيث أو التذكير من لفظ المضاف إليه، قال تعالى: **﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾**[الأنعام:160]. ذكّر العدد "عشر" فحذف منه التاء مخالفة للمعدود "أمثال" لاكتسابه التأنيث مما أضيف إليه (ضمير الهاء) أو عشر درجات فى مقابل الحسنات التى فعلها. فالمثل مذكر وأنث بإضافته إلى ضمير المؤنث فجرى أمثال على حكم ما جاوره فى التأنيث[2].

ومثلها قول جرير[3]:

لما أتى خبرُ الزبيْرِ تضعضعت　　　سور المدينة والجبال الخشَّعُ

أَنَّثَ الفعل لحمل سور على لفظ المدينة، فأعطى المذكر حكم ما جاوره. ومثله وجوب التأنيث عند اتصال الفعل بفاعله المؤنث، وذلك لمجاورته له، فإن فصل عنه جاز عدم التأنيث[4]. وإفراد ماحقه الجمع مثل: هو أحسن الفتيان وأجمله. أفرد الضمير، لأن هذا موضع يكثر فيه الواحد كقول: "هو أحسن فتى فى الناس"[5]. والجمع على المعنى دون اللفظ مثل: **﴿لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾**[الروم :26]، و**﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللـه وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾** [النمل:87]. لأن "كل" لم تضف إلى جماعة فعوض عن ذلك ذكر الجماعة فى الخبر، ولهذا جاء فى قوله تعالى: **﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾**[مريم:95] جاء كل مضافاً إلى جماعة فاستغنى عن الجمع فى فرد.

---

(1) الخصائص 308/3، 309.

(2) التبيان فى إعراب القرآن جـ11/ 422، 423.

(3) ديوان جرير 345/1، والكامل للمبرد جـ 324/1. وروى: تواضعت.

(4) ارجع إلى: التبيان فى إعراب القرآن جـ 423/2.

(5) الخصائص 419/2.

ومن ذلك أيضاً حذف الفاعل للدلالة عليه فى الكلام مثل إقامة الفعل محل المصدر مثل: ما يصنع زيد؟ يصلى أو يقرأ. والأصل الصلاة أو القراءة [1]. وقد يسكت المتكلم عن ذكر لفظ أو أكثر من الجملة اكتفاء بدلالة ما ذكر عليه، وقد أطلق عليه ابن فارس اسم " الكف "، وهو أن يكف عن ذكر الخبر اكتفاء بما يدل عليه الكلام، كقول القائل[2]:

وجَدّك لو شىء أتانا رسولُه سِوَاك ولكن لم نجد لك مدفعا

المعنى: لو أتانا رسول سواكَ لدفعناه. وقال آخر[3]:

إذا قلت سيرى نحو ليلى لعلّها جرى دون ليلى مائل القرن أعضبُ

ترك خبر "لعلها". وقال آخر:

فمن له فى الطعن والضّراب يلمع فى كفَّىَّ كالشهاب

أى: فمن له سيف. وقال امرؤ القيس[4]:

تضىء الظلام بالعشاء كأنها منارةُ مُمْسَى راهبٍ متبَتَّلِ

أراد: سرُج منارة حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، نحو: قطعت السارق. والأصل: يد السارق.

ومما يحمل على المعنى قول الله تعالى: ﴿**وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا**﴾[الجن:11]. أى منا قوم دون ذلك، حذف المبتدأ وقامت الصفة مقامة. والمثل القائل: " تسمع بالمعيدى خير من أن تراه " أى سماعك بالمعيدى. ويحذف الخبر للعلم به فى مثل: كل رجل وضيعته، فالخبرمحذوف تقديره: متلازمان. وحذف جواب الشرط للدلالة عليه فى مثل: أنت ظالم إن فعلت. فجواب الشرط لا يقدم على أداه الشرط، ولكن جملة: أنت ظالم، سدت

---

(1) نفسه جـ433/2، 434، وجـ335/3، 336.

(2) الصاحبى ص 432، وديوان امرئ القيس ص 242.

(3) أمالى المرتضى جـ 73/2.

(4) الديوان ص 116، شرح المعلقات السبع للزوزنى ص 24، والصاحبى ص 432، والديوان ص 37.

مسده فى المعنى أى أنت ظالم إن فعلت فأنت ظالم[1]. والمعنى أقوى من ظاهر اللفظ، فالألفاظ تحمل فى الجمل على المعانى، فيترك حكم ظاهر اللفظ؛ لأنه محمول على معناه مثل: ثلاثة أنفس. والنفس مؤنثة بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[الفجر:27] وظاهر اللفظ أن يذكر العدد فنقول: ثلاث أنفس، ولكن حمل معنى لفظ نفس على الإنسان.

ومثل: ثلاث شخوص. حمل معنى لفظ شخوص على أنهن نساء. ومثل: عشر أبطن. والبطن مذكر، ولكن معنى أبطن هنا القبائل فى قول القائل[2]:

فإن كلاباً هذه عشر أبطن وأنت برئ من قبائلها العشْر

واللفظ فى ذلك تبع المعنى فصار طوعاً له، فالمعنى أقوى فجذب اللفظ إليه، ومن ثم الإعراب تبع المعنى فهو من اللفظ، ويتأثر بالمعنى.

والعربية حمّالة تحتمل وجوهاً متعددة فى المعنى، وهذا التعدد يقتضى تعدد الاحتمال فى تقدير اللفظ وعمله وإثباته ونفيه.

واختلاف الإعراب يعقبه اختلاف المعنى، فالإعراب والمعنى رفيقان فى العربية يلزم أحدهما الآخر ويفسد بتركه، فالإعراب يقتضى فهم المعنى ليعلم الإسناد فى الكلام وأحوال لفظه.

وقد بحث ابن جنى علاقة الإعراب بالمعنى، وأشار إلى أن أستاذه أبا على الفارسى يعتاده ويلم به كثيراً ويبعث على المراجعة له وإلطاف النظر فيه، وقد يدعو ظاهر الإعراب إلى معنى يمنعك منه معنى آخر ترتاح إليه، فيعدل إلى المعنى ويوجّه إليه الإعراب. وقد وجّه ابن جنى الإعراب على المعنى فى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ*يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق:8،9] والمعنى: إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر. ولا يجوز أن يحمل فى الإعراب على هذا المعنى، لأن " قادر" فصل بين الظرف "يوم" وبين ما هو متعلق به (الرجع)

---

(1) ارجع إلى: الخصائص ج283/1 ،ج434/2.

(2) الصاحبى ص 425. والكتاب جـ565/3.

والظرف من صلته والفصل بين الصلة والموصول الأجنبى لا يجوز، ولكن المعنى يقتضيه، والإعراب يمنعه، ومن ثم يضمر فعل المصدر (الرجوع) ويحمل عليه الظرف فى النصب، والمعنى: إنه على رجعه لقادر يرجعه يوم تبلى السرائر. فحذف الفعل لدلالة المصدر عليه[1]. ومثله قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللـه أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ**﴾[غافر:10]. والمعنى : لمقت اللـه إياكم وقت دعائكم إلى الإيمان فكفرتم أكبر من مقتكم أنفسكم الآن (أى يوم القيامة) ، وهذا المعنى يقتضى الفصل بين إذا وصلته "لمقت" والفصل بين إذا ومقت (عامل النصب فى الظرف غير جائز)، ولكن المعنى يقتضيه، فيضمر ناصب يعمل النصب فى الظرف "إذ"، وحذف لدلالة المصدر عليه، والمعنى: ينادون لمقت اللـه أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فكفرتم[2]. ولا يجوز ترك المعنى بعد الحمل عليه إلى اللفظ لوجوب تقديم المعنى على اللفظ. قال أبو الحسن الآمدى: إن العرب تكره الانصراف عن الشىء، ثم الرجوع إليه بعد ذلك فى معانيهم فكذلك يكرهونه فى "ألفاظهم"، وأنشد قول معن بن أوس[3]:

إذا انصرفت النفس عن الشىء لم تلد إليه بوجه آخر الدهر ترجع

ولذلك يكره العرب الحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى فى لفظ مفرد، ومعنى مجموعة كمن وأخواتها، ولذلك يكرهون الرجوع إلى الإتباع بعد القطع فى النعوت، نحو: بسم اللـه الرحمنُ الرحيمُ، بقطع الرحمن الرحيم عن لفظ الجلالة فى الإتباع على الوصف، أى هو الرحمن وهو الرحيم، ولا يجوز جر الرحيم بعد رفع الرحمن، وكذلك إن قلت: الرحمنَ الرحيمَ بالنصب، مقدراً: أمدح الرحمنَ والرحيمَ، ونقل الآمدى عن عمر بن محمد الشلوبين (ت 645)

---

(1) الخصائص (ط الهيئة) ج258/3، 259.

(2) الخصائص ج 259/3.

(3) الأمالى جـ261/2، والأشباه والنظائر جـ213/1، وروى: تقبل بدل ترجع.

قوله: إذا قلت: ما أظن أحداً يقول ذلك إلا زيداً، فالنصب أجود، على أنه بدل من أحد، وأما الرفع على أنه بدل من الضمير، فحمل على المعنى مع وجود الحمل على اللفظ [1].

ورأى ابن جنى أنه إذا حمل على المعنى لا يرجع إلى اللفظ، وذلك لضعفه بعد الانصراف عنه؛ لأن اللفظ أقوى، فلا يرجع إلى الأضعف بعد الأقوى. ورأى ابن الحاجب الرأى نفسه، أنه إذا حمل على اللفظ جاز الحمل بعده على المعنى؛ لأن المعنى أقوى، ويفضل الأقوى الأضعف فى الحمل عليه[2].

وقد اعترض عليه الاستراباذى[3] بأن الاستقراء دل على أن اعتبار اللفظ أكثر من اعتبار المعنى، وكثرة موارده دليل على قوته، ولا يستقيم أن يكون ما قل فى اللغة أقوى مما كثر فيها، ورد رأى ابن جنى، وابن الحاجب فى عدم جواز العودة على اللفظ بعد الحمل على المعنى، واستدل بجواز الوجهين فى اللغة، ذلك أن ترجع إلى المعنى بعد اللفظ، ذلك أو ترجع إلى اللفظ بعد الحمل على المعنى، وورد بذلك التنزل، ومنه قوله تعالى: **﴿رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللـه مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللـه وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللـه لَهُ رِزْقًا﴾**[4][الطلاق:11] [5] فحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى، فقد ختم - سبحانه - الآية بلفظ المفرد على اعتبار من تعنى المفرد والجمع فحملها على معنى المفرد، وقد ابتدأها بالجمع، وما ورد به التنزل ليس بضعيف، فثبت أنه يجوز الحمل على كل واحد منهما بعد الآخر من

(1) الأشباه والنظائر جـ213/1.
(2) عزى ابن جنى هذا الرأى إلى عرف العرب فى اللغة. ورأى ابن الحاجب الرأى نفسه وأبو الحسن الآمدى.
(3) ركن الدين حسن بن محمد الاستراباذى، صاحب كتاب " البسيط " فى النحو.
(4) فقد ختم الآية بالحديث عن المفرد حملاً على لفظ "من" المؤمن، وحد وجمع على لفظ من، تفسير النسفى جـ 268/4، دار الكتاب العربى.
(5) الأشباه والنظائرج 213/1.

غير ضعف[1]. وحكى ابن هشام أن أحد النحويين سُئل عن إعراب الكلالة فى قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللـه وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾[النساء:14] فقال أخبرونى ما الكلالة ؟ قالوا له: هى الورثة إذا لم يكن فيهم أب فما علا ولا ابن فما سَفُل، فقال: فهى إذن تمييز[2]. ومثال ذلك لفظ الحقلد الذى بحث ابن هشام عن معناه فوجده سيء الخلق فى قول زهير[3]:

تقى نقى لم يكثر غنيمة   بنكهة ذى قربى ولا بحقلد

فأجاب بأنه معطوف على التوهم إذ المعنى ليس بمكثر غنيمة ولا بحقلد. وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[البقرة:130] قيل إن "فى الآخرة" متعلق بمحذوف دل عليه ما بعده، والمعنى: إنه صالح فى الآخرة لمن الصالحين، ولمن الصالحين صفة مؤكدة للمحذوف أو خبر ثانٍ لإن ولا يجوز أن تكون " فى " متعلقة بالصالحين؛ لأنه يؤدى إلى تقديم معمول الصلة على الموصول وهذا ممتنع. وقيل: الجار والمجرور متعلق بمصدر محذوف، والتقدير: صلاحه فى الآخرة، وقيل الجار والمجرور متعلق بالصالحين، و" ال " فيه ليست موصولة بل للتعرف، وهذه الأقوال توافق المعنى[4]. وقال تعالى: ﴿**فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾[هود:27] قرأ أبو عمرو (بادئ) اسم الفاعل من بدأ، وقد نصب بادئ، وقرأ الباقون بادى بياء مفتوحة. وبادئ الرأى: أول الرأى، وبادى الرأى: من بدا يبدو ومعناه ظاهر الرأى، والمعنى: وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا فى

---

(1) مغنى اللبيب، ابن هشام جـ 606/2، تفسير النسفى جـ 268/4 ط دار الكتاب العربى.

(2) شرح شواهد المعنى ج890/2، ولسان العرب: ج947/2، مادة حلقد.

(3) لسان العرب م563/2.

(4) البحر المحيط ج566/1، والبيان فى غريب إعراب القرآن، ط مكتبة الآداب جـ117/1.

أول الرأى أو فى ظاهر الرأى. والنصب فيها على تقدير نزع حرف الجر قياساً على قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف:155]، أى اختار من قومه، والمعنى عليه: اتبعه أراذلنا من بادئ أو بادى. وقيل نصب على الظرفية، والعامل اتبعك. وقيل نصب على تقدير فعل محذوف: تقديره: اتبعوا بادئ الرأى أو بادى الرأى. وهذا الرأى وما قبله يوافقان المعنى(1).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ*بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:43،44] المعنى يقتضى أن يكون الجار والمجرور (بالبينات) متعلقين بالفعل "أرسلنا"، فالمعنى: أن الله تعالى أرسل رسله بالبينات وهى الحجج التى تدعمهم، وهذا المعنى يأباه الإعراب الذى لا يجيز تعلق الجار والمجرور الذى وقع بعد إلا بما قبلها، وقدر فعل محذوف: أرسلناهم بالبينات وبالزبر، وقيل قُدر بعثوا بالبينات، وأجاز بعض العلماء أن يتعلق الجار والمجرور بعد إلا بالفعل قبلها؛ لأن ما بعد إلا قد يدخل فى حكم ما قبلها ويكون معمولاً له نحو: ما ضربت إلا زيداً بالسوط، وأجاز بعضهم أن يكون وقع تقديم وتأخير، والأصل: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً. وهذا يوافق المعنى.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ﴾[الرعد:5]، يقتضى المعنى أن يكون العامل فى "إذا" واقعاً فيما بعد إن تقديراً ويتعلق به الجار والمجرور "فى خلق جديد". وهذا غير جائز عند النحويين، فلا يجوز أن يعمل ما بعد إن فيما قبلها والصفة

---

(1) البحر المحيط، ابو حيان جـ 215/5، ومعانى القرآن، الأخفش جـ 2/ 576.

(جديد) لا تعمل فيما قبل الموصوف، ولا يجوز أن يكون العامل فى "إذا" "كنا" فهم لم ينكروا أن يكونوا تراباً بل أنكروا أن يكونوا خلقاً جديداً.

وما بعد إذا مضاف إليه ولا يعمل المضاف إليه فى المضاف، وقد قدر العلماء محذوفاً دل عليه (إنا لفى خلق جديد)، والتقدير: أنبعثُ إذا كنا تراباً أو إذا كنا تراباً نبعث ؟![1]. ومثلها قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾[مريم:69]. والمعنى أخرج حياً إذا ما مت، وقدم إذا مت؛ لأنه المقصد فى الإنكار، ولا يجوز أن يعمل أخرج فى إذا الظرفية. لدخول اللام على ما بعدها "لسوف". وبعضهم أجازه فى الظرف وبعضهم قدر فعلاً، والتقدير: أ إذا مت بعثت أو أبعث؟ وقد دل عليه: أخرج حياً[2].

وقال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللـه كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:227]. نصب أى بقوله (ينقلبون)، ولم تنصب بـ "سيعلم"؛ لأن حروف الاستفهام إذا كانت أسماءً امتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد همزة الاستفهام من أن يعمل فيه ما قبله، فإن قلت: "علمت زيداً منطلقاً" عمل "علم" فى المفعولين، اللذين أصلهما المبتدأ والخبر. ويمتنع ذلك إن دخلت الهمزة على المفعولين نحو: علمتُ أزيدُ منطلق أم لا؟ و"أى" بمنزلة الاسم الذى يقع بعد همزة الاستفهام، فمعنى"أى" فى التركيب أذا أم ذا ؟.

وقال اللـه عز وجل: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[الكهف:12] فمعناها: أهذا أم هذا، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

(1) معانى القرآن وإعرابه الزجاج جـ 138/3. ومغنى اللبيب، ابن هشام، جـ116/1. والكشاف، الزمخشرى ج279/2.

(2) الكشاف جـ 417/2، والبحر المحيط جـ194/6، وغريب إعراب القرآن جـ 130/2. والتبيان فى إعراب القرآن، العكبرى جـ75/2.

قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:19]. وكقولك: أَعْلَمُ أيُهُم ضَرَبَ زيداً.

ولكن إن انتصبتَ أىّ، فيما بعدها نحو: أعلم أيَّهم ضرب زيدُ، فالفعل ضرب نصب أىَّ. ولم يقع ذلك من "علم" بل بما بعد أى، وكذلك ما أضيف إلى اسم من أسماء الاستفهام نحو: علمت غلامُ أيِّهم فى الدار. وقد عرفت غلامُ من فى الدار. وقد علمت غلامَ من ضربتُ، فغلام منصوب فى الأخير بـ "ضرب"[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سبأ:28] والمعنى: وما أرسلناك إلا للناس كافة العرب والعجم وسائر الأمم، فكافة بمعنى عامة، فهى على هذا المعنى حال مقدم من الناس، وهذا غير جائز عند بعض النحويين؛ لأن فيه تقديم الحال على صاحبه المجرور باللام، فلا يجوز مررت جالساً بزيد.

فالصواب: مررت بزيدٍ جالساً. وبعضهم أجاز تقديم الحال على صاحبها المجرور. وبعضهم تأول معنى كافة على معنى جامع والمعنى: وما أرسلناك إلا جامعاً للناس فى الإنذار والإبلاغ، وكافة تكون حالاً من المفعول (الكاف فى أرسلناك)، والتاء فى كافة للمبالغة نحو تاء علامة وراوية، وضعّف آخرون هذا الرأى. وقيل: كافة مصدر كعاقبة، وهو نعت لمصدر محذوف، وهذا ضعيف أيضاً، فكافة لا تكون إلا حالاً، ومختصة بمن يعقل، فالمصدر المحذوف إرسالة كافة. وإرسالة غير عاقل، والمرجح أن كافة حال من الناس، فالمعنى: أرسلناك للناس عامة، وعليه يجوز تقديم الحال على صاحبها وإن كان مجروراً (للناس)، فكافة بمعنى عامة[2]، وهى بهذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ

(1) ارجع على الكامل جـ 14/1، 15.

(2) الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبى جـ 300/14، وشرح الأشمونى على ألفية ابن مالك جـ2 /176. وشرح الكافية، الرضى، جـ207/1. والبحر المحيط جـ269/7.

كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللـه مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:36]، و﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:208]، وهذا يرجح أنها حال بمعنى عامة، ومعنى الآية من هذا المعنى، فالنبى ﷺ مرسل للعالمين[1].

ومن ذلك قول النبى ﷺ فى الهبة: " هو لها صدقة " [2]، بالرفع والنصب، الرفع على أنه خبر، والنصب على أنه حال، ولها: خبر.

قال الشاعر:

والصالحات عليها مغلقاً باب

والوصف اللازم منه: الصالحات عليها باب مغلق، وفى الحديث: هو صدقة لها، و "لها" فى الحديث صفة لهو، فى موضع رفع، ويجوز نصب صدقة على الحال، و " لها " خبر "لهو"، وجاء فى الحديث "ماتركنا صدقة"[3]، بالرفع والنصب.

ما: فى "ماتركنا صدقة" :مبتدأ بمعنى الذى، وتركنا: صلة الموصول. والعائد: محذوف، وصدقة: خبر. على رواية الرفع، وهو الأجود لسلامته من التكلف ولموافقته رواية من روى: "ما تركنا فهو صدقة" بالرفع [4]. والنصب على تقدير: ما تركنا مبذول صدقةً. فحذف الخبر وبقى الحال كالعوض منه. ونظيره: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[يوسف:8] فى قراءة بالنصب فى عُصْبة [5].

---

(1) أعد صديقنا الدكتور مصطفى وتيد بحثاً قيماً فى الإشكال الإعرابى فى القرآن الكريم، كلية الأداب بدمنهور، وقد بحث الدكتور مصطفى كثيراً من قضايا الأعراب وتوسع فيها ومحصها.

(2) رواه البخارى، كتاب الهبة، باب قبول الهبة.

(3) رواه البخارى فى كتاب فرض الخمس، باب الخمس .

(4) شواهد التوضيح والتصحيح ص 154.

(5) شواهد التوضيح والتصحيح ص154.

والمشهور الرفع. وقال النبى ﷺ: " اللـهم، سبعاً كسبع يوسف"، وفى رواية أبى ذر رضي الله عنه: " اللــهم، سبعُ كسبع يوسف" [1].

والنصب فيه هو المختار؛ لأن الموضع موضع فعل دعاء، فالاسم الواقع منه أغنى عن اللفظ بالفعل، فيستحق النصب، وتقدير هذا: اللـهم ابعث عليهم سبعاً، أو سلّط عليهم سبعاً. والرفع جائز، على إضمار مبتدأ أو فعل رافع.

وجاء فى الحديث: " من اصطبح بسبع تمراتِ عجوة " [2]، اختلف العلماء فى إعراب " تمرات " عجوة، فبعضهم منع التنوين فى تمرات على أنها مضاف، وسمع فيها التنوين على ترك الإضافة؛ لأن تمرات مبهمة، أن تكون من العجوة ومن غيرها، فإضافتها إلى العجوة إضافة عام إلى خاص. وهو مقتضى القياس، ومثله على الإضافة: ثياب حرير، وحبات قمح. وسمع فيها القطع فنوّن تمرات، وثياب، وحبات. وجاء بعجوة مجرور على أنه عطف بيان، ويجوز نصب عجوة على أنها تمييز [3].

حَمْل اللفظ على ما يجاوره فى الإعراب:

يحمل اللفظ على ما قبله أحيانا لإضافته إلى ما حقه أن يتبعه فيجرى على ما قبله ويحمل على لفظه، فيعرب إعرابه، وحقه أن يتبع اللفظ الذى أُبعد عنه بالإضافة أو الوصف أو الحال، فحمل اللفظ على لفظ ما قبله.

قال امرؤ القيس [4]:

كأن ثَبيراً فى عَرانين وبله ... كبيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَلِّ

---

(1) رواه البخارى، كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبى ﷺ، اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف، وشواهد التوضيح والتصحيح ص 157.

(2) رواه البخارى، كتاب الطب، باب الدواء بالعجوة للسحر.

(3) شواهد التوضيح والتصحيح ص 157.

(4) الديون ص 122، المعلقات السبع، الزوزنى، ص 40 معلقة امرئ القيس ثبير: اسم جبل، العرنين: الأنف. البجاد كساء مخطط والجمع بجد. مزمل: ملتف. والمعنى: كأن جبل ثبير فى أوائل مطر هذا السحاب سيد أناس قد التف بكساء مخطط.فشبه تغطيته بالغثاء بتغطى هذا الرجل بالكساء .

فالمزمَّل نعت الشيخ (كبير أناس)، وليس نعت بجاد، وحقه الرفع الذى عليه "كبـير أنـاس" فهـو وصف له، ولكنه جر حملاً على لفظ ما قبله للمجاورة، فجر على جوار بجاد.

ومنه قول الأخطل[1]:

جزى الـلـه عنى الأعورين ملامة وفروةَ ثَفْرَ الثَّوْرةِ المتضاجمِ

جـــر المتضـــاجم عـــلى جـــوار الثـــورة، والقيـــاس نصـــبه؛ لأنـــه صـــفة ثفـــر، وثفـــر نصب على البدل من فروة (اسم رجل)، وجر المتضاجم على جوار الثورة.

وبعض العلماء حمل الكسر فى القافية على الضرورة الشعرية بيد أنه وقع فى الكلام المنثور.

وهنالك شاهد مشهور فى الحمل على الجوار، وهو قول العرب: "هذا جحْرُ ضبٍ خـربٍ" فخـرب وزن فَعِل صفة "جحر"، وليس صفة "ضب"، فالضب لا يكون خرباً، بيد أنهـا جـرت حمـلاً عـلى جـوار ضب فحملت عليه فى لفظ الإعراب.

وبعض العلماء رأوا أنه شاذ لا يقاس عليه، وبعضهم أجازوه لوقوعه فى كـلام العـرب، ومعظمهـم أنكره فى القرآن الكريم، وهو الراجح، فقد وافق المشهور من كلام العرب لغة القرآن الكريم.

والذين أجازوه - ومـنهم السـيوطى - رأوا أن " خربـاً "، جـر عـلى "ضـب" وإن كـان فى الحقيقـة وصف "جُحْر"، كما تقول: مررت برجل قائمٍ أبوه، فجر قائم إتباعاً للفـظ رجـل، وإن كـان القيـام بــ " الأب " لا " الرجـل "، وقـدروا مضـافاً محـذوفاً فى "هـذا جحـر ضـب خـرب"، فالأصـل "جُحـر ضـبٍ خَـربٍ جُحْـرُه". ثـم حـذف "جحـره" المضـاف إلى الهـاء، وأقيمـت الهـاء مقامـه فارتفعـت، فالمضـاف

---

(1) الديوان ص 326، وروى مذمَّة موضع ملامة، وعبدة موضع فروة، شرح المعلقات السبع للزوزنى ص40 واللسـان: مادة، ثور م722/1، وهو بلفظ جزى الـلـه عنا الأعـورين ملامـة:.وفـروة ثفـر الثـورة المتضـاجم. اللسـان م465/1 ضجم، وفروة اسم رجل، والثورة: البقرة، والثفر: الحياء استعارة للبقرة، المتضاجم: المعوج المائل.

المحذوف كان مرفوعاً، فاستتر الضمير المرفوع فى الصفة " خرب " [1]، وهذا تأويل بعيد. وقد ناقش سيبويه قضية الحمل على الجوار فى إعراب " هذا جُحْرُ ضبٍ خربٍ " فجعله فى باب مجرى النعت على المنعوت، ورأى أن الجر وقع على غير وجه الكلام، والأفصح الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم فخرب صفة جحر، وهو القياس، ولكن بعض العرب يجر، وليس بنعت للضب بل نعت للذى أضيف إلى الضب، فجروه؛ لأنه نكره كالضب، ولأنه فى موضع يقع فيه نعت الضب، فصار هو والضب بمنزلة اسم واحد، فأتبعوا الجر الجر كما أتبعوا الكسر الكسر، نحو: قولهم: بِهِم وبدارِهِم، وشبه ذلك بقولهم: هذا حب رُمَّانٍ. وهذه ثلاثة أثوابٍ، فتضيف لنفسك الرمان والثوب، فتقول: هذا حب رمَّانى، وهذه ثلاثة أثوابى، فالرمان للحب وليست لهذا، والأثواب للثلاثة، وليست لهذه، فهى للذى أضيف إليه، ومن ثم فخرب نعت الجحر. وحقها الرفع، ولكنها وقعت فى موقع نعت الضب فحملت عليه فى الجر، فحملهم قرب الجوار على أن جروا خرب فجرى على الموضع لاعلى الاسم الذى قبله[2]. ومثل ذلك قول بعض النحويين: مررت برجل حسن الأبوين لا قبيحين، والتقدير لا قبيح الأبوين، وأصله لا قبيحٌ أبواه، ثم ثنى قبيحين فاستغنى عن المضاف إليه الأبوين وأجرى قبيحين مجرى الأبوين، ومن ثم قالوا أصل: "هذا جحرُ ضبٍ خَربٍ" "هذا جحر ضبِ خربِ الجحر" وخرب الجحر من باب حسن الوجه، الأصل: حسنٌ وجهُهُ، فالتقدير: خربٍ جحرُه، فأضيف جحر إليه، ثم حذف جحر، وحمل خرب عليه فى الجر[3]. وقد رد بعض النحويين هذا التوجيه[4]، والمرجح أن الجر وقع إتباعاً للجر قبله للمشاكلة فى الإعراب. ومثله ما يقع فى القوافى من تغيير حركة الإعراب لإقامة القافية. وجاء فى قراءة ابن كثير وأبى عمرو

---

(1) الاقتراح ص 205، 506.

(2) الكتاب لسيبويه ج436/1،421.

(3) خزانة الأدب للبغدادى ج323/2.

(4) ارجع إلى البحر المحيط ج415/5 ومغنى اللبيب ص 896.

وحمزة (وهم من السبعة) وأنس وعكرمة (من غير السبعة): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾[المائدة:6] بجر " أرجلكم " على الجوار، جر إتباعاً للمجرور قبلها، والأصل: النصب على تقدير: واغسلوا أرجلكم، فالمسح للرأس والغسل للقدم، وحذف الفعل للعلم به، وهذا عرف فى العربية التى تستغنى عن اللفظ لمعرفة السامع به وهو ما يعرف بالوعى الجمعى، فالمتلقى جزء من عملية اللغة وشريك فيها فأحالت اللغة بعض المسكوت عنه إلى معرفته[1].

ومن ذلك قراءة يحيى والأعمش: ﴿إِنَّ اللـه هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:58] بجر (المتين) حملاً على المجاورة، وحقها الرفع على الإخبار، ومثله (وحورٍ عينٍ)[الواقعة:22] على قراءة من جر، فلا يطوف الولدان بالحور العين، فالجر فيها على الإتباع، وليس على العطف على ما يسبقها. وقرأ حمزة قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللـه الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللـه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[الذاريات:58] بجر الأرحام، وهذا يقتضى عطف الأرحام على الضمير المجرور فى به، وهذا ممتنع عند النحاة، فلا يجيزون عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور، نحو: مررت بك وزيدٍ، ولكن يجوز: مررت بك وبزيدٍ، وبعضهم أجاز العطف على الضمير. والمشهور فيها أن تنصب على تقدير: اتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقال ابن خالويه[2]: إن الجر فيها على إضمار الباء، والتقدير: تساءلون به وبالأرحام، فالأرحام مجرور بحرف محذوف، واحتج بقول العجاج حين سُئل: كيف تجدُكَ؟ قال: خيرٍ، عافاك

---

(1) التبيان فى إعراب القرآن جـ422/1، والنصب فى أرجلكم بالعطف على الوجوه والأيدى، أى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم، وهذا جائز فى العربية بلا خلاف، وورد فى السنة ما يوجب غسل الرجلين، والجر فيه مشهور أيضاً على ما ذكرنا، وورد فيه الرفع على الابتداء، والنصب أقوى.

(2) النشر فى القراءات العشر، أبو عمرو الدانى، نشر أو تويرتزل، دار الكتب بيروت، ط1/1996م، جـ77/3.

الـلـه، يريد: بخير، فحذف الباء وأبقى عملها. وذهب إلى هذا ابن جنى ونقل عن ابـن الأنبـارى قـول الشاعر[1]:

أكلَّ امرئ تحسبين امرأ ونارٍ توقد بالليل نارا

أى: وكل نار، فجر على الموضع بعد حذف كل، وقيل الـواو والقسـم والأرحـام مجـرور بـه، ورأى الكوفيون جواز عطف الاسم على الضمير، فيجوز جر الأرحام عطفاً على الضمير فى " به "، وهذا أرجـح الوجوه، ويعنى عن تقدير حرف محذوف ويجوز أن يكون الجر حملاً عـلى الجـوار، فالهـاء مكسـورة والكسر فى الميم حملاً عليها، والراجح العطف على الضمير[2].

قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَـبِيلِ الـلـه وَكُفْرٌ بِهِ**﴾[البقرة:217] قيل: " قتالِ " مجرور على الجوار بـ " الحرام " [3]. وروى الفراء قـول أبى الغريب[4]:

ياصاحِ بلِّغْ ذوى الزوجات كلِّهم

أن ليسَ وصلُ إذا انحلَّت عُرا الذنب

الشاهد: جر التوكيد (كل) إتباعاً لجر الزوجات، وهذا غير ممتنع عند الفـراء، وحقـه أن ينصـب؛ لأنه نعت " ذوى " ومن ثم لحق بهم الضمير " هم " وليس هن. وقال الحطيئة[5]:

فإياكُم وحية بطن وادٍ هموزٍ الناب ليس لكم بسيءٍ

---

(1) الإنصاف فى مسائل الخلاف، ابن الأنبارى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصريـة، بـيروت، ط 4إ، 1988م، جـ463/2 . والخصائص جـ 285/1 والبيت لأبى دؤاد الإيادى (جارية بن الحجـاج)، الكتـاب جــ 66/1 وخزانة الأدب جـ592/19.

(2) التبيان فى غريب إعراب القرآن ابن الأنبارى جـ 240/1، والبيت لأبى دؤاد الإيادى، الكتاب جــ 66/1، وشرح ابـن يعيش جـ 26/3.

(3) البحر المحيط جـ 145/2.

(4) خزانة الأدب جـ325/2، ومغنى اللبيب ص 895.

(5) خزانة الأدب جـ 326/2، والمنصف جـ2/2.

والشاهد: هموز جر إتباعاً لوادٍ. وقال زهير بن أبي سلمى[1]:

لعِبَ الرياح بها وغيَّرها بعدى سوافى المور والقطر

والشاهد: القطرِ: بالجر حملاً على المور وحقها الرفع.

وقال دريد بن الصمة[2]:

فدافعتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ وحتى علانى حالك اللون أَسْوَدِ

الشاهد: "أسودِ" جر محمولاً على " اللـون " وحقـه الرفـع، نعـت لحالـك اللـون، وهـذا وسـابقه مكسور فى الروى. ومنه قول العجاج[3]:

وكأنَّ نسْجَ العنكبوتِ المرملِ

جر المرمل على الجوار وحقها النصب. وقال النابغة:

لم يبق إلا أسيرُ غيرُ منقلبٍ أو مُوثَقٍ فى حبال القدَّ مجنوبِ

الشاهد: مجنوب جر حملاً على القد، وحقه الرفع. وقول الشاعر[4]:

فهل أنتَ إن ماتت أتانُكَ راحل إلى آل بسطام بن قيس فخاطبِ

خاطب: مجرور حملاً على ما قبله، وحقه العطف عـلى راحـل فيرفـع، ويجـوز أن يكـون الـكسر للروّى فوافق ما قبله. وقال الشاعر:

كم قد تمششت من قصَّ وإنفحةٍ جاءت إليك بذاك الأضؤن السود

الشاهد: إنفحة، جُرَّت على المجاورة، والأصل أن تنصـب بفعـل محـذوف أى: كـم تمششـت مـن عظم وأكلت إنفحة، فالتمشش مص العظم، وليست الإنفحة عظم فـلا يجـوز أن يعمـل مشـش فيـه، وقيل إن الفعل ضُمّن معنى ما يصح أن يعمل فى الإنفحة[5]. ويجوز أن يكون الكسر للروى، فوافق ما قبله.

---

(1) ديوان زهير بن أبي سلمى ص 27، وارجع إلى: الإنصاف فى مسائل الخلاف جـ 605/2، والحمل على الجوار ص 35، وروى: الزمان بدل الرياح.

(2) خزانه الأدب جـ 324/2، والإنصاف فى مسائل الخلاف جـ 306/2.

(3) الكتاب سيبويه جـ437/1، والمذكر والمؤنث، الفراء ص 56.

(4) انظر حاشية الإنصاف فى مسائل الخلاف جـ603،604/2.

(5) الحمل على الجوار ص 42.

وقد يقع الحمل على الجوار فى الإعراب ويقدر محذوف فى المعنى لعدم جواز وقوع معنى الفعل على الاسم، فقد ينصب المفعول بفعل غير الذى سبق لعدم جواز وقوع الفعل على المنصوب، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللـه فَعَلَى اللـه تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ**﴾[يونس:71]. شركاءكم منتصباً بالفعل أجمع؛ لأن العطف ممتنع بين " أمركم " و" شركاءكم "، لأنه لا يقال: أجمعت شركائى، وذهب العلماء مذهبين فى الناصب:

أولهما- أن تكون الواو بمعنى " مع " لا أنها واو العطف، ويكون تقدير الكلام: اجتمعوا مع شركاءكم على تدبير أمركم، فالواو واو المعية.

ثانيهما- أن يقدر فعل محذوف حذف لدلالة الحال عليه، وتقديره: " وادعوا شركاءكم " فتكون الواو على هذا القول قد عطفت فعلاً مضمراً على فعل مظهر. وقد صح الوجهان عند العلماء على قطع همزة " أجمع "، وقد قرئ بوصلها أيضاً " اجمع " الأمر من الفعل " جمع "، والأول " أجمع " مختص بالمعانى ولا يتعلق بالذوات، والثانى " جمع " مشترك بين المعانى والذوات بخلاف أجمع، فلا يجوز أن يقع أجمع على شركاء؛ لأنها من الذوات، وأجاز " ابن هشام " وقوع أجمع على شركاء بتقدير مضاف أى: " وأجمعوا أمركم وأمر شركائكم أو فعل شركائكم، أو أن يقدر المحذوف: وأجمعوا شركائكم " فأجمع لا يتعلق بالذوات بل بالمعانى، وحكاية القول بأن أجمع أكثر ما يقال فى المعانى، وجمع فى الأعيان، فيقال: أجمعت أمرى، وجمعت قومى، يقال: جمع الشىء عن تفرق يجمعه جمعاً وأجمعه، والإجماع: الإعداد والعزيمة على الأمر.

قال الشاعر[1]:

---

(1) البيت من شواهد اللسان لم ينسبه لقائل مادة: "جمع" وجاء فى المفضليات غير منسوب لقائل ص 323.

ياليت شعرى والمنى لا تنفع

هل أغدون يوماً وأمرى مجُمْع

ومجْمع: اسم المفعول من أجمع، وهو بخلاف جمع التى تدل على جمع المتفرق من الأعيان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ**﴾[هود:103][1].

وأجاز بعض العلماء أن تكون أجمع بمعنى جمع، فعلى هذا لا تحتاج الآية إلى تقدير، وصح العطف بين أمر وشركاء، وجاءت الهمزة فى قراءة وصلاً لا قطعاً " فاجمعوا " فصح عطف " شركاء " على " أمر "، وقدر المعنى: فاجمعوا مع شركائكم أمركم.

وغلط بعض العلماء تقدير المحذوف؛ لأنهم كانوا يدعون شركاءهم؛ لأن يجمعوا أمرهم، والواو بمعنى مع، والمعنى: فأجمعوا أمركم مع شركائكم، كقولك: تركت الناقة وفصيلها لترضعه. أى مع فصيلها[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ*بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ*لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ*وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ*وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ**﴾[الواقعة: 17-21].

العرب تقول: طافوا بأكواب وأباريق. وأتوا بلحم، فالفاكهة كاللحم والحور لا يطاف بها، فقدر محذوف: ويؤتون بلحم طير، فحمل اللفظ على ما قبله فى الإعراب دون المعنى[3]، وقد قدر محذوف فيما لا يصح وقوعه على المفعول، فى كلام العرب، قال الشاعر[4]:

علفتها تبناً وماءاً بارداً حتى شتت هَمَّالةً عيناها

---

(1) درة الغواص ص 282.

(2) ارجع إلى: درة الغواص ص 282، 283.

(3) كتاب الصناعتين، لأبى هلال العسكرى ص136، تأويل مشكل القرآن ص 213.

(4) تأويل مشكل القرآن ص 213، وأمالى المرتضى جـ4/ 164، والخصائص 297/2، وشتت: أقامت فى الشتاء.

أى: وسقيتها ماءً بارداً، فالعلف يكون للتبن والسَّقى للماء.

وقال آخر(1):

تراه كأن الـلـه يجدعُ أنفه ... وعينيه إن مولاه ثاب له وفرُ

أى: ويفقأ عينيه.

وقال آخر(2):

تسمع للأجوف منه صَرَدا ... وفى اليدين جُسْأة وبددا

أى: وترى فى اليدين جسأة وبدداً.

وقال لبيد(3):

فعلا فروع الأيهُقان وأطفلت ... بالجهلتين ظباؤها ونعامها

أى: وأفرخت نعامها.

وقال آخر(4):

إذا ما الغانياتُ برزنَ يوماً ... وزجَّجن الحواجبَ والعيون

أى: وكحلن العيون.

وقال الشاعر(5):

ياليتَ شَيْخَكَ قدغدا ... متقلَّداً سيفاً ورُمْحا

والرمح لا يقلد بل السيف، فحمل الرمح على لفظ السيف لمجاورته فى التركيب. والتقدير: وحاملاً رمحاً، فهذا محمول على لفظ ما جاوره لا معناه. وقال الثعالبى: "والعامة تقول: جَاء البَرْدُ والأكسية".

---

(1) البيت منسوب للزبرقان بن بدر وقيل لخالد بن الطيفان. الخصائص جـ297/2 وتأويل مشكلة القرآن ص213.

(2) الخصائص ج 297/2. الجسأة: الصلابة، والصرد: البرد، والبدد التفرق.

(3) الخصائص ج297/2 والأيهقان: عشب يطول وله وردة حمراء، والجلهتان: جانبا الوادى، وهما بمنزلة الشطين، وأطلقت: أى كان معها ولد طفل، وأطفلت بالجلهتين: أراد باض نعامها.

(4) الخصائص ج 297/2، وتأويل مشكل القرآن ص 213، وأساس البلاغة ج 394/1.

(5) فقه اللغة ص 223، والخصائص ج296/2 والبيت لعبد الـلـه بن الزبعرى، وتأويل مشكل القرآن ص 214. وروى: ياليت بعلك قد غدا.

والأكسية لا تجيء، فحملت على ما يجاورها[1]، وهذا الوجه جائز في العربية لقبوله لفظاً في الإعراب، وعدم الخلط في المعنى، فالمتلقي يفهم المعنى لوضوحه.

وأرى أن الحذف وقع في الألفاظ التي اشتهرت في الخطاب فلا خفاء في معناها ولا تلتبس بغيرها، والعرب تستغني في اللفظ عما فهم من المعنى.

حمل إعراب اللفظ على موضع غيره

بعض الألفاظ في الجمل لا تعرب على الأصل فتحمل على غيرها، فتقع موقعها من الإعراب، وقد يحمل الحرف العامل على غير العامل والعكس، وقد تناولنا ذلك في "الحمل في الحروف" وقد يحمل الاسم على عمل الفعل والعكس، وقد تناولنا بعضاً منه، ونذكر منه ما يتعلق بالإعراب وأثر الحمل فيه، ومنه: حمل المضاف إليه على موضع المضاف بعد حذفه ويجوز حذف المضاف، فيخلفه المضاف إليه في الإعراب ومن ذلك:

- إقامة المضاف إليه موقع الفاعل: قال تعالى: ﴿**وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾[الفجر:22] أي: جاء أمر ربك، فحذف الفاعل (أمر)، وأقيم المضاف إليه مقامه فرفع على موقعه، ومنه قول العرب: بنوفلان يطؤهم الطريق. أي: أهل الطريق.

- إقامة المضاف إليه مقام الخبر نحو: شر المنايا ميت بين أهله. أي: منية ميت بين أهله.

- إقامة المضاف إليه مقام المفعول به، قال تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾[يوسف:82] أي: أهل القرية. وقوله: ﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَه**﴾[العلق:17]. أي: أهل نادية.

---

(1) فقه اللغة ص 223.

- إقامـة المضـاف إليـه موضـع المفعـول الثـانى، قـال تعـالى: ﴿وَأُشْرِبُـواْ فِي قُلُـوبِهِمُ الْعِجْـلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة:93] أي: حب العجل.

- إقامة المضاف إليه مقام المفعول المطلق: قال الأعشى[1]:

ألم تغتمضْ عيناكَ ليلةَ أرمد

وبتَّ كما بات السليم مسهَّدا

أي: اغتماض ليلة أرمد.

- إقامة المضاف إليه موضع المفعول له نحو: جئتُ زيِداً فضلهُ، أي: ابتغاء فضله، ومنـه: تجنبـت زيداً غضبه أي: اتقاء غضبه.

- إقامة المضاف إليه موضع المفعول معه، نحو: جاء زيد والشمس. أي: وطلوع الشمس.

- إقامة المضاف إليه موضع الحال: تفرق العرب فرقة الأنداد. أي: مثل فرقة الأنداد.

- إقامة المضاف إليه مقام المبتدأ، قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقـرة:197]. أي: وقـت الحج.

- إقامة المضاف إليه مقام نائب الفاعل، قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ الـلـه النَّاسَ بَعْضَـهُم بِـبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ الـلـه كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ الـلـه مَن يَـنصُرُهُ إِنَّ الـلـه لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:40]. أراد: بيوت الصلوات، فالصلوات لا تهدَّم، وقيـل الصـلوات: كنـائس اليهود. فلا حمل فيه على هذا المعنى، ونحو: لُطِم عليَّ. أى وجه على. ونحو: أُكَلت المائـدة. أى طعـام المائدة.

---

(1) الديوان ص 49، السيرة النبوية، ابن هشام، 413/3، والـروض الأنـف جــ 137/2، والأرمـد: الـذى يشـتكى عينيـه، السليم: اللديغ، وارجع إلى: الشعر فى عصر النبوة، الكتور محمود عكاشـة، الأكاديميـة الحديثـة للكتـاب الجـامعى 2006م. ص98. وروى: وعاداك ما عاد السليم المسهدا.

- إقامة المجرور موضع المضاف إليه نحو: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا**﴾[سبأ:33]. أى مكركم فى الليل والنهار[1].

- إقامة المضاف إليه موضع المجرور: قال تعالى: ﴿**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**﴾[الأحزاب:19] أى: كدوران عين الذى يغشى. ونحو: لا يحول عطاء اليوم دون غدٍ. أى: دون عطاء غدٍ. وبعد "كم" قال تعالى: ﴿**وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ**﴾[الأعراف:4] أى: وكم أهل قرية.

- إقامة المضاف إليه مقام ظرف المكان نحو: انتظرتك وصول الحافلة أى: مكان وصول الحافلة. ويجوز زمن وصول الحافلة، وهو أرجح وأقيس. وينوب المصدر عن ظرف المكان قليلاً نحو: "جلست قُرْبَ زيد، أى: مكان قُرْب زيدٍ. فحذف المضاف إليه (مكان) وأقيم المضاف إليه مقامه، فأعرب بإعرابه، وهو النصب على الظرفية ولا يقاس على ذلك، ومن ذلك: آتيك جلوسَ زيدٍ. تريدِ مكان جلوسه. ونيابة المصدر عن اسم المكان سماعية فلا تستعمل إلا فيما ورد عن العرب، فلا يجوز التوسع فيها.

ويقام المصدر مُقَام الزمان نحو: أتيك طلوع الشمس، وقدوم الحاج، وخروج زيد. والأصل: وقت طلوع الشمس، ووقت قدوم الحاجز، ووقت خروج زيد. فحذف المضاف وأعرب المضاف إليه بإعرابه، وهو مقيس فى كل مصدر، يجوز العمل به[2].

وينوب عن الظرف مكاناً وزماناً بعض الألفاظ فتحمل عليه فى النصب ومنها: لفظ بعض نحو: عملت بعض الوقت، واشتريت بعض مكان. فكل تكون

---

(1) تأويل مشكل القرآن ص 211، 212.

(2) شرح ابن عقيل جـ 200/4.

بحسب ما تضاف إليه. ولفظ كل نحو: بحثت عنك كل مكان. وسرت كل اليوم. وكل تكون بحسب ما تضاف إليه. وبعض وكل تنوبان عن المفعول المطلق أيضاً نحو: أكلت بعض الأكل، وأكلت كل الأكل.

وينوب العدد المميز بالظرف عن الظرف نحو[1]: صمت ثلاثة أيام، وسرت ثلاثة أمتار. وينوب "أحقاً" عن الظرف نحو: قول الشاعر:

أحقاً عباد الله أن لست صادراً

ولا وارداً إلا عليَّ رقيبُ

وقال آخر:

أحقاً إن جيرتنا استقلوا فنيَّتنُا ونيتُهم فَرِيق

وقد حمل الماضى على لفظ الأمر، ومن ذلك قول النبى ﷺ: "تَصدق امرؤ من ديناره، من درهمه، من صاع بره، من صاع تمره"[3]، والمعنى: ليتصدق امرؤ من ديناره، وحذف حرف العطف الواو لصحة المعنى بحذفه. قال عمر بن الخطاب ﵁: "إذا وسع الله عليكم فأوسعوا، صلى رجل فى إزار ورداء، فى إزار وقميص، فى إزار وقباء". والمعنى: ليصلّ رجل فى إزار ..[2]. وقد حذف حرف العطف الواو لصحة المعنى بدونه. ومثله من كلام العرب: "اتقَّى الله امرؤ فعل خيراً يثبْ عليه". والمعنى: ليتق وليفعل، ومن ثم جاء الجواب مجزوماً كما يجاء بعد الأمر الصحيح.

وأكثر مجىء الماضى بمعنى الطلب فى الدعاء مثل قول الداعى: نصر الله من والاك، وخذل من عاداك[3].

وحمل المعتل على الصحيح، فتقدر الحركة المحذوفة فيه للجزم كما قدرت فى الرفع. وعلى هذا وجَّه بعض العلماء عدم حذف المعتل فى قول النبى: " من

(1) ارجع إلى شرح ابن عقيل جـ 4 /201 الهامش.

(2) رواه البخارى فى كتاب الصلاة، باب الصلاة فى قميص والسراويل والتُبّان والقباء.

(3) شرح التوضيح ص 63 .

أكل من هذه الشجرة فلا يغشانا " [1]. والشاهد: " فلا يغشانا " والقياس بعد النهى: يغشنا، فقيل: إن المعتل أُجرى مجرى الصحيح، فأثبت الألف، واكتفى بتقدير حذف الضمه التى كان ثبوتها منوياً فى الرفع وتقدر فى المعتل، وقيل جعل الكلام خبر بمعنى النهى[2].

وأكثر ما جرى المعتل مجرى الصحيح فيما آخره ياء أو واو، وقد صحت بعض القراءات التى وجَّهها العلماء إلى أن المعتل فيها لم يقع فيه حذف حملاً على لفظ الصحيح فجرى مجراه فى الإثبات دون حذف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللـه عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللـه لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[يوسف:90] قرأ قنبل: (إنه من يتقى ويصبْر) بالياء فى يتقى وتسمين يصبر. وجاء فى الحديث الصحيح: " مروا أبا بكر فيصلّى بالناس " [3]. بإثبات الياء فى يصلّى، والقياس الحذف. فليصلِّ. وجاء فى كلام العرب، وقد وجّه عليه قول أبي جهل صَفْوان بن أمية: " متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد هذا الوادى تخلفوا معك " [4]. قيل: " إن يراك " حملت على لفظ الصحيح، فأثبت الألف وقدر الحذف فيه مثلما تقدر الحركة فيه.

ومنه قول عبد يغوث الحارثى التميمى[5]:

وتضحكُ منِّى شيخةٌ عبشمِّيةٌ   كأنْ لم تَرَى قبِلى أسيراً يمَانيا

جرى الفعل "ترى" بإثبات الألف مجرى الصحيح، وقدر المحذوف فيه على رواية أهل الكوفة: كأن لم ترى بالألف. وخطّأ بعض العلماء هذا ورأوا أنه

(1) رواه البخارى، كتاب الأذان، باب ما جاء فى الثوم النيء والبصل والكراث.
(2) شواهد التصحيح والتوضيح ص 20.
(3) رواه البخارى، كتاب الأذان، باب من أسمع الناس تكبير الإمام.
(4) صحيح البخارى، كتاب المغازى، باب ذكر النبى ﷺ من يقتل ببدر.
(5) قاله عبد يغوث عند ما وقع فى الأسر، ورواه صاحب المفضليات ص 158، ويستشهد به فى النحت"عبشمى والنسب: عبشمى ويمانى.

بالياء "ترىْ" وحذفت منه نون الرفع والأصل: ترين، فحذفت النون للجزم. وليس فيه تقدير الحذف على هذا المذهب. ورأى آخرون أن الألف ثبت للضرورة الشعرية، وبعضهم ذهب أنه من راء مقلوب رأى فجزم ترأ. وحذفت الألف ثم خفف الهمزة ألفاً لانفتاح ما قبلها، فالألف المخففة تقابل العين فى فلع وزن راءَ مقلوب رأى، وهذه لغة مشهورة.

قال الشاعر[1]:

إذا راءَنى أبْدَى بشاشة واصل ويألفُ شنآنى إذا كنتُ غائبا

فراءَ مقلوب رأى، والمضارع: يراء، وفى الجزم: يرأْ. ويخفف يرى. وتثبت الألف فى الجزم. وقال رؤبة بن العجاج، مثبتاً الألف فى المجزوم، وهو من الفصحاء[2]:

إذا العجوز غضبت فطلَّق ولا ترضَّاها ولا تملَّقِ

الشاهد: ترضَّاها، حمل على الصحيح وقدر فيه المحذوف.

ومن ذلك قول قيس بن زهير[3]:

ألم يأتيكَ والأنباء تنْمى بما لاقت لبُونُ بنى زياد

وهو من شواهد العربية المشهورة[4].

والشاهد يأتى، وقد حملت على الصحيح دون حذف.

ومنه قول الشاعر[5]:

هجوتَ زبَّان ثمَّ جئت مُعتذراً من هجو زبَّان لم تهجُو ولم تدعِ

---

(1) شواهد التوضيح والتصحيح ص 18.

(2) شواهد التوضيح والتصحيح ص 20، والمعنى: إذا غضبت العجوز وخاصمتك فطلقها ولا ترفق بها. ولا تملق أصلها: تتملق.

(3) الكتاب جـ 59/2، والأغانى جـ 28/16، والمحتسب جـ 67/1 وص215، ويروى: ألم يبلغك مكان: ألم يأتيك، فلا شاهد فيه على هذه الرواية، واللبون: الإبل.

(4) اللبون: الإبل ذات اللبن، بنى زياد: الكملة من الرجال: الربيع وعمارة وقيس وأنس بنو زياد بن سفيان القيسى، تعريضاً بما فعله بإبل بنى زياد حيث استاقها وباعها غير مبال بهم.

(5) شواهد التوضيح والتصحيح ص21.

الشاهد: لم تهجو، أى: لم تجوه، ولم تدع أى: لم تدعه، فتتركه من الهجو. والقياس: حذف الواو "تهجو" للجزم.

ولكنه حملها على الصحيح، وقيل: زادت للإشباع وللضرورة فمد الضمة التى دلت على الواو المحذوفة فصارت واواً وكتبت فى الخط واواً، وعلى ذلك أثبت الكاتب الألف المشبعة عن الفتحة فى ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى﴾[الأعلى:6].

وقد ذهب أبو حيان الأندلسى إلى أن "لم" فى بعض لهجات العرب تنصب فحملها على معنى لن، ومثلها "لن" حملت فى الجزم على معنى "لم"[1]، ولهذا نظائر فى العربية.

ومن ذلك " متى " حملها بعض العلماء على عمل " إذا " فى قول أبى جهل لصفوان بن أمية: " متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد هذا الوادى تخلفوا معك "[2]. ثبت الألف فى "يراك" بعد متى الشرطية، وكان حقها أن تحذف: "متى يراك"، وقد قيل إنها شبهت بإذا فأهملت، كما شبهت إذا بمتى فعملت فى قول النبى ﷺ لعلى وفاطمة رضى الله عنهما: " إذا أخذتما مضاجعكما، تكبرا أربعاً وثلاثين وتسبحا ثلاثاً وثلاثين وتحمدا ثلاثاً وثلاثين "[3]. والأصل: تكبران، وتسبحان، وتحمدان. ومنه قول الشاعر[4]:

من أىِّ يومَىَّ من الموت أفرّ   **أيومَ لم يقدَرَ أَم يَوْمَ قُدِرْ**

الشاهد: لم يقدرَ(بفتح الرء)، وقد حمل النحويون الفتح فيه على حذف نون التوكيد الخفيفة كحذفها فى قراءة أبى جعفر الشاذة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[الشرح:1]، قرأ بفتح " نشرحَ " على حذف نون التوكيد الخفيفة، أى:

---

(1) البحر المحيط، أبو حيان النحوى، وبهامشة الدر اللقيط من البحر المحيط لأبى حيان تاج الدين بن مكتوم(تلميذ أبى حيان)، والنهر الماد من البحر المحيط، لأبى حيان مكتبة النصر الحديثة، الرياض جـ488/8.

(2) صحيح البيخارى، كتاب المغازى، باب ذكر النبى ﷺ من يقتل ببدر.

(3) صحيح البخارى، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب على بن أبى طالب ﷺ.

(4) الخصائص لابن جنى 94/3، 221، وسر صناعة الإعراب ص 85. والمحتسب جـ366/2.

" ألم نشرحَنْ "، فأبدل النون ألفاً مثلما أبـدلت فى: ﴿**أَرَأَيْـتَ إِن كَـانَ عَـلَى الْهُـدَى**﴾[العلـق:11]، ثـم حذفت الألف تخفيفاً، وقد رده ابن هشام لسببين:

أولهما - أنه أكد المنفى بلم، والثانى - أنه حذف نون التوكيد لغير الوقف ولا ساكنين(1). وأميل إلى أن الفتحة فى " لم يقدرَ" ليست إلا إشباعاً وتحريكاً عارضاً فى وصـل الكـلام لمجاورتهـا متحـرك بـالفتح، وهو ما ذهب إليه أبو القاسم الزمخشرى(2)، فقد رأى أن القارئ لعلّه أبان الحاء وأشبعها فى مخرجهـا، فظن السامع أنها فتحة، ورأى ابن جنى أن المتكلم قد يجرى الساكن مجرى المتحرك المجاور لـه، وقـد يجرى المتحرِّك مجرى السـاكن، فتحركـت الـراء لمجاورتهـا الفتحـة فى " أم " والفتحـة قبلهـا فى الـدال، والأصل السكون للجزم، ولكن الساكن أتبع حركة ما قبله وما بعده(3). ولا مانع من قبول الوجوه التـى ثبتت فى كلام العرب ، فحَمْل " لم " عـلى عمـل " لـن " وارد فى العربيـة، وقـد ذكرنـا (فى الحمـل عـلى المعانى) فى كتابنا هذا ما يؤكد وقوع الحروف موقع غيرها فى العمل فتحمل فى العمل عليها.

الحمل فى الجر على موضعه قبل حذف العامل

الأصـل أن يعـرب اللفـظ عـلى مـا هـو عليـه فى التركيـب، وقـد بقـى الجـر فى الاسـم بعـد زوال الجـار فى القليـل مـن العربيـة، والأقـيس أن يعـرب اللفـظ عـلى موضـعه بعـد زوال أسـباب الجـر، وأجمع جمهور العلماء عدم وقوعـه فى القـرآن الكـريم، وضـعَّفوا رأى مـن تـأول شـيئاً مـن القـراءات عـلى هـذا الوجـه، وردوا توجيـه القـراءات الشـاذة التـى حملـت عـلى هـذا الوجـه بيـد أنـه صـح فى بعـض لفـظ الحـديث وبعـض كـلام العـرب، ومـن ذلـك جـر المضـاف بعـد حـذف المضـاف إليـه، والمشـهور فى الإضـافة أن يكـون المضـاف إليـه نكـره معرفـة، وقـد صـحت شـواهد

(1) الخصائص جـ94/3. والمحتسب جـ366/2 . وسر صناعة الإعراب جـ85/1.

(2) الكشاف للزمخشرى، جـ266/4.

(3) الخصائص جـ94/3، والمحتسب 266/2.

فى العربية جاء المضاف نكرة، ومنها قول أبى هريرة ﷺ: " ثم قدم الذى كان أسلفه، فأتى بالألف دينارٍ" [1]، وفى " دينار" نكرة وجوه:

منها أن يكون أراد: بالألف ألف دينار، على أن تكون ألف الثانية بدلاً من "ألف" المضاف من المعرف بالألف واللام، ثم حذف المضاف، وهو البدل لدلالة المبدل منه عليه " دينار"، وأبقى المضاف إليه " دينار" على ما كان عليه من الجر، قياساً على حذف المعطوف المضاف وترك المضاف إليه على ما كان عليه قبل الحذف فالأصل قبل الحذف: فأتى بالألف ألفِ دينارٍ. ثم صارت بعد الحذف: فأتى بالألف دينارٍ، بجر دينار على ما كان عليه من الجر بالإضافة. فحمل الجر على ما كان عليه من الإضافة.

وقيل إن الأصل: جاءه بالألف الدينار، والمراد: بالألف الدنانير، فالمراد بالدينار الجمع فحمل المفرد على معنى الجمع، كقوله تعالى: ﴿**أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ**﴾[النور:31]. فالمراد بالطفل: الأطفال.

وقيل: إن الألف واللام فى الألف زائدتان، فلذلك لم يمنعا من إضافة دينار إلى الألف. والأجود الرأى الأول الذى قدر مضافاً إليه محذوفاً. والأصل: فأتى بالألف ألف دينارٍ[2]. وجاء فى الحديث فى باب الاستعانة باليد فى الصلاة: " قام فقرأ العشر آياتٍ" [3]، يحمل على أن المراد: فقرأ العشر عشر آياتٍ، فعشر آيات بدل ثم حذف البدل، وبقى ما كان مضافاً عليه مجروراً على ما كان عليه قبل الحذف. وروى " خير الخيل الأدهمُ الأقرحُ الأرثمُ المحجلُ ثلاثٍ " [4]، أى: المحجل بحجل ثلاث.

---

(1) رواه البخارى، كتاب الكفالة ، باب الكفالة فى القرض والديون بالأبدان وغيرها.

(2) ارجع إلى: شواهد التوضيح والتصحيح ص 57.

(3) صحيح البخارى، كتاب العمل فى الصلاة، باب استعانة اليد فى الصلاة.

(4) نقله ابن مالك عن جامع المسانيد، وشواهد التوضيح ص 58. والأرثم: الفرس فى طرف أنفه بياض، والأقرح: المحجل الذى بين جبهته قرحة أو له غرة بين عينيه.

ومن ذلك قول العرب " ما كلُّ سوداء تمرةٍ ولا بيضاءِ شحمة " ويجر بيضاء على تقدير كل بيضاء. فحذف كل وبقيت بيضاء على الجر بعد إضمار كل قبلها.

وقد يحمل اللفظ على مثله بمعناه بعد حذفه ومن ذلك حذف المضاف استغناء عنه بمثله، فيحمل المضاف إليه على إعرابه، قال أبودؤاد الإيادى:[1]

أكلّ امرئ تحسبين امرءا ونارٍ توقُد فى الليل نارا

جر لفظ نار على موضعه من الإضافة بعد حذف " كل"، والأصل كل نارٍ، فاستغنى عنها بـ " كل امرئ "، فأبقى الجر فى " نار" على نية إضمار كل قبلها، وهذا نادر فى العربية، وضعّفه بعض العلماء.

ومنه أيضاً قول بشير القشيرى[2]:

ولم أرْ مثل الخير يتركهُ الفتى ولا الشرِ يأته امرؤ وهو طالع

بجر الشر، والأصل: ولا مثل الشر، فحذف المضاف (مثل)، وأبقى الجر فى المضاف إليه على إعرابه. والأكثر أن يقدر سبب الجر على البدل.

وقال الشاعر[3]:

الآكل المالَ اليتيمِ بَطَراً يأكل ناراً وسَيَصلَى سقَرا

أراد: الآكل المالَ مالَ اليتيم. وقال الشاعر[4]:

المالُ ذى كرمٍ تنمى محامِدُهُ مادام يبذُلُهُ فى السرِّ والعَلَن

أراد: المال مال ذى كرم. وذهب أبو على الفارسى إلى أن الألف واللام فى المضاف زائدة وجوّز الإضافة إلى ما كان التعريف فيه زائداً، واستدل بقول القطامىّ[5]:

---

(1) الكتاب سيبويه 66/1 وشرح ابن يعيش 26/3.
(2) المساعد 366/2. والمؤتلف والمختلف ص78.
(3) شواهد التوضيح والتصحيح ص 58 ولا يعرف له قائل.
(4) شواهد التوضيح والتصحيح ص 58.
(5) ديوان القطامى ص 256.

عذبَ المذاقِ مفلّجاً أطرافُهُ   كالأُقْحُوانِ من الرشَاشِ المسْتَقِى

قال أبو على: أراد من رشاش المستقى، فزاد الألف واللام ولم يمنعا من الإضافة وكقوله: " فقرأت بالعشر آيات "، ومن ثم فالألف واللام الزائدتين غير مانعتين من الإضافة[1].

وقد يقع الحمل فى الألفاظ الملازمة للإضافة فتحمل فى الإعراب على الإضافة، فقد يحذف المضاف إليه بعد أسماء الجهات الست (أسماء الغايات)، كما يحذف بعد ما هو شبيه بأسماء الغايات نحو: غير، وأول، وحسب، وهذه الأسماء تبنى عند انقطاعها لفظاً عن الإضافة.

وقد وقع فى كلام العرب حذف المضاف إليه وبقى المضاف منها على إعرابه من غير تنوين على أنه مضاف، وذلك إذا عطف المتكلم على المتضايفين متضايفين آخرين والمضاف إليه فيهما واحد نحو: خذ ربعَ ونصفَ ما كسبت، والأصل: خذ ربع ما كسبت ونصفه، ونحو: أعطنى كتابَ وقلم محمد. والأصل: أعطنى كتاب محمد وقلمه. وقال الشاعر[2]:

علقت آمالى فعمت النعم   بمثلِ أو أنفع من وبل الديم

والأصل: بمثل وبل أو أنفع من وبل الديم. وقال الفرزدق:

يامن رأى عارضاً أسر به   بين ذراعى وجبهة الأسد

والأصل: بين ذراعى الأسد وجبهته، ومثله قول أبى ثروان: "قطع الله يد ورجل من قالها". وهذا نادر والأقيس أن تقع الإضافة للأول، فيلحق ضميرها بالثانى، فيقال: قطع الله يد من قالها ورجله.

حمل اللفظ على موقع حرف الجر بعد نزعه

الأصل أن يعرب الاسم بعد نزع حرف الجر على موضعه من الجملة، فينتصب المفعول بعد نزع الخافض فيعمل فيه الفعل النصب؛ لأنه وقع موقع

---

(1) شواهد التوضيح والتصحيح ص 60.

(2) شرح التصريح 57/2 . وبل الديم: المطر الشديد، الديم: جمع ديمة: مطر ليس به رعد ولا برق.

حرف الجر، وهو النصب ولا يبقى أثر الجر بعد نزع الحرف، فلا جر بإضمار حرف الجر، وهو المشهور وما ورد مجروراً بتقدير حرف محذوف نادر فى كلام العرب، وعده بعض العلماء شاذاً، وليس بقياس إلا فى القسم بلفظ الجلالة " اللـه " تعالى وربَّ أو أن تنوب عنها الواو أو بل أو الفاء، وهذا قليل ولا يقاس عليه، وقد تناولنا أثر الحروف فى اللفظ والمعنى فى حديثنا عن " الحمل فى حروف المعانى "، والقياس أن الحرف قبل حذفه فى موضع نصب مفعول، فوقع الاسم موقعه فحمل على موضعه، وهذا رأى البصريين، وقيل إن نصبه إنما لسقوط الخافض فقط دون أن يعمل فيه عامل آخر غير الحرف فقط وهذا مذهب معظم الكوفيين، والراجح رأى البصريين. ويسمى " نزع الخافض " و" إسقاط حرف الجر أو الخافض" و" النصب بنزع الخافض[(1)]".

ونزع الخافض له ما يؤكده فى العربية، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[الأنعام:117] وقع "من"، الموصل دون حرف الجر، وهو فى موضع نصب وقيل فى موضع جر بإضمار حرف، وهذا ضعيف، والمشهور أنه منصوب على نزع الخطاب، وله نظير يؤكد وجود الحرف، وهو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[القلم:7][(2)].

وقال تعالى: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ [يس:39]. أى : قدرنا للقمر منازل.

---

(1) ارجع إلى: الكتاب، سيبويه جـ38/1، جـ134/3، 135، 126، 127و 496 والمقتضب جـ26/2، 136/4، وشرح المفصل جـ2/ 45، 64 وشرح ابن عقيل جـ149/2. ونزع الخافض"دراسة فى عوامل النصب فى التراث النحوى"، الدكتور ابراهيم بركات، ط 1986 ص 13، 14 ، 15. وقد رجحت رأى البصريين، للعودة إلى الأصل بعد إسقاط الحرف نحو: قوله تعالى:﴿وَكَفَى بِاللـه شَهِيدًا﴾[النساء:79] ﴿وَكَفَى بِاللـه شَهِيدًا﴾[النساء:166]﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللـه شَهِيدًا﴾[الفتح:28]. يرفع لفظ الجلالة إن أسقطنا منه الباء. فيكون: كفاك اللـه شهيداً. وهو المعنى.

(2) ارجع إلى المحرر الوجيز ابن عطية جـ329/5 وشرح المفصل جـ71/2.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[الأعراف:45]. أي: يبغون لها. و﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:175]. أي: يخوفكم بأوليائه. و﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه:21]. أي: على سيرتها. و﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[مريم:87]. أي: أطلع على الغيب؟ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[المطففين:3]. والمعنى: إذا كالوا لهم، ودليل ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[المطففين:2] فهؤلاء أخذ منهم ثم أعطوهم. ويقال: كلتك الطعام، أي: كلت لك. ووزنتك المال، أي: وزنت لك[1].

وقال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف:155]. أي: من قومه[2].

اختار متعدٍ إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر، وقد حذف، ولا يجوز أن يكون سبعين بدلاً عند الأكثرين، والاختيار فيه مختار ومختار منه، وإعراب سبعين بدلاً ضعيف، والتقدير: سبعين رجلاً منهم، والراجح أنها نصبت بعد إسقاط حرف الجر، فكل خافض في موضع نصب إذا حذفته وصل الفعل فعمل فيما بعده[3]. ومن ذلك قول الفرزدق[4]:

ومنا الذى اختيرَ الرجالُ سماحة وجوداً إذا هب الرياح الزعازع

أي: اختيرَ من الرجال قال المبرد: فهذا الكلام الفصيح[5].

---

(1) الكامل للمبرد جـ30/1.
(2) الكامل جـ30/1. وارجع إلى التبيان م597/1.
(3) المقتضب جـ320/2.
(4) ديوان الفرزدق ص 516 و الكتاب 39/1، والمقتضب 330/4، وشرح المفصل جـ123/5.
(5) الكامل 31/1.

ومثله قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ**﴾ [البقرة:235]. أى: على عقدة النكاح، وقيل: لا تعزموا بمعنى: لا تنووا عقدة النكاح. ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللـه أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**﴾[الإسراء:110] قيل المعنى: ادعو بهذا الاسم (اللـه) تعالى أو ادعوه بالرحمن أو بأسمائه الحسنى الأخرى، فحذف الحرف ونصب اللفظين على المفعولية.

ومنه: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[الأعراف:16]. أى: على صراطك، ومنهم من يضمن لأقعدن معنى لألزمن. فنصب الصراط على تضمين معنى فعل متعدٍ دون تقدير حرف محذوف. ومنه: ﴿**وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللـه وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللـه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[البقرة:233] أى: لأولادكم. وقيل: إن تسترضعوا ضمن معنى ترضعوا، فلا إضمار حرف فيه.

ومما حمل على ذلك نصب "خمساً" فى قول النبى ﷺ: " صلاة الرجل فى الجماعة تضعَّف على صلاتِهِ فى بيته وفى سوقه خمساً وعشرين ضعفاً " [1]. أى: تضعف ..... بخمس وعشرين، فحذفت الباء ونصب خمساً بعد نزع الخافض. وهو فى الشعر كثير، قال إياس بن عامر (أعشى طرود)[2]:

أمرتك الخيرَ فافعل ما أُمرتَ به   فقد تركتك ذا مالٍ وذا نسب

أى: أمرتك بالخير[3]. قال ابن ميادة:

أمرتك يا رياح بأمر حَزْم فقُلْتَ   هَشِيَمةَ من أهل نَجْدِ

---

(1) صحيح البخارى، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة.

(2) الكامل جـ30/1. والكتاب جـ37/1، والمقتضب 36/2، والمحتسب 51/1 ونسب أيضاً إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدى.

(3) الأغانى لأبى الفرج جـ337/2، 338، طبعة دار الكتب، والمبرد فى الكامل جـ39/1. والهشيمة: النبت الجاف المتكسر.

تعدى أمر بالباء ولم تحذف فى " بأمر"، وهو الأصل، والحذف الفرع والعودة إلى الأصل أحمد.

ومن ذلك قول الشاعر:

أستغفر الـلـه ذنباً لست محصيه   ربَّ العبادَ إليه الوجه والعمل

وقال المتلمس[1]:

آليت حَبَّ العراق الدَّهْر أطعمه   والحب يأكله فى القرية السوسُ

والأصل: آليت على حَب العراق (أقسم على حب العراق).

وقال المبرد ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه، ويحمد اختصاره قول أعرابى من بنى كلاب:

تحنُّ فتبدى ما بها من صَبَابَة   وأُخفى الذى لولا الأسى لقَضَانِى

يريد: لقضى علىَ، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج[2]. وقوله لقضانى، يريد: لقضى على الموت، كما قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ**﴾ [سبأ:14] فالموت فى النية، وهو معلوم بمنزلة ما نطقت، فلهذا ناسب قوله عز وجل: ﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا**﴾[الأعراف:155].

وكذلك قوله: ﴿**كَالُوهُمْ**﴾[المطففين:3]، فالشىء المكيل معلوم، فهو بمنزلة ما ذكر في اللفظ، ومثله: نُبِّئت زيداً يقول ذاك. أى: يقول عن ذاك. وإسقاط حرف الجر ليس مطرداً فى كل موطن، فهو يحسن فى موضع له نظير فيه فى كلام العرب، ويستقبح فى موضع غير مألوف فيه. قال المبرد: " ولا يجوز مررت زيداً، وأنت تريد مررت بزيد؛ لأنه لا يتعدى إلا بحرف جر، وذلك أن فعل الفاعل فى نفسه، وليس فيه دليل على المفعول نفسه، وليس هذا بمنزلة ما يتعدى إلى مفعولين، فيتعدى إلى أحدهما بحرف جر وإلى الآخر بنفسه؛ لأن

(1) الكتاب جـ37/1، والمقتضب جـ320/2 وشرح المفصل جـ44/2.

(2) الكامل، المبرد ج30/1، 31.

قولك: اخترتُ الرجال زيداً، قد علم بذكرك " زيداً " أن حرف الجر محذوف من الأول[1] ".

وقد أنكر المبرد الرواية التى أنشدها رواة الكوفة لقول جرير بن عطية[2]:

تمرون الديارَ ولم تعوجوا   كلامُكم علىَّ إذا حرام

ورواية بعضهم له: " أتَمْضُون الديار" فليس بشىء لما ذكرت لك، والسماع الصحيح والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الشاذة "، وذكر المبرد أنه قرأه على عمارة بن عقيل بن بلال، بن جرير:

مررتم بالديار ولم تعوجُوا

وعقب قائلاً: " فهذا يدلك على أن الرواية مغيَّرة[3]".

وذهب المبرد إلى أن حذف حرف الجر قبل الضمير العائد على الظرف ليس من القياس الذى يثبت فيه الحرف ويحذف من باب قول الله تعالى: (واختار موسى)، فهو من بابه فى الحذف فقط، وذلك أن ضمير الظرف تجعله العرب مفعولاً على السعة، كقولهم: يومُ الجمعة سرته، ومكانُكْم قمتُه، وشهر رمضان صمته، فهذا يشبَّه فى السعة، بقوله: زيد ضربته، وما أشبه ذلك[4].

وتقول العرب: أقمت ثلاثاً ما أذوقُهُنَّ طعاماً ولا شراباً، أى: ما أذوق فيهن، وأنشد سيبويه قول الشاعر[5]:

ويوماً شهدناه سُليماً وعامراً   قليلاً سوى الطعن النهال نوافله

أى: ويوماً شهدنا فيه قبيلتى سُليم وعامر.

---

(1) الكامل ج30/1، 31.

(2) الديوان، جرير، تحقيق الصاوى، مكتبة الحياة، ص 512 وهو فى الديوان:

أتمضون الرسوم ولا تحيا   كلامكم علىّ إذن حرام

والمعنى: تتركون وتتجاوزن فلا شاهد فيه بهذا اللفظ

(3) الكامل 32/1.

(4) نفسه.

(5) الكتاب لسيبويه جـ90/1 والكامل 31/1. ومعناه: واذكر يوماً لم نغنم فيه إلا النفوس لما أحدثناه فيهم من كثرة الطعن، والنهال: الطعن المرتوية بالدم، والطعن جمع طعنة، والنهل: أول الشرب.

وقد تقع التعدية بحرف الجر؛ لأن الفعل يعُدّى تارة بهمزة النقل نحو: خرج، وأخرجته، ويعدى أيضاً بحرف الجر نحو الباء كقولك: خرج وخرجت به.

ورأى بعض العلماء أن المعنى يختلف إن تعدى الفعل بهمزة النقل أو الباء، فإذا قلت: أخرجت زيداً. كان بمعنى حملته على الخروج. فإذا قلت: خرجت به. فمعناه أنك خرجت واستصحبته معك.

ورأى الحريرى أن القول الأول أصح، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللـه بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**﴾[البقرة:17]. وجاء فى المثل السائر: كل من ذهب بشىء فقد أذهبه، وليس كل من أذهب شيئاً ذهب به.

وجاء فى الكشاف: الفرق بين أذهب وذهب به أن معنى أذهب أزاله وجعله ذاهباً، ويقال: ذهب به إذا استصحبه، ومضى معه، وذهب السلطان بماله: أخذه، ومنه قوله تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللـه مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللـه عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [المؤمنون:91] ومنه ذهبت به الخُيلاءُ.

وفسر فى ضوء ذلك قوله تعالى: (ذهب اللـه بنورهم)، والمعنى أخذ اللـه نورهم[1].

ولم يجر العلماء الجمع بين همزة النقل (التعدية) وحرف الجر، وما جاء مخالفاً ذلك ضُمن معنى الفعل اللازم. وعلى ذلك وجه العلماء قراءة: ﴿**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ**﴾[المؤمنون:20] بضم التاء. وضم التاء يعنى أن ماضى الفعل أنبت بالهمزة وزن أفعل، ومضارعه بضم حرف المضارعة "الياء"، وقد قيل فيها عدة أقوال: أحدها أن أنبت بمعنى نبت، والهمزة فيها أصلية لا للنقل (التعدية).

---

(1) درة الغواص ص 116.

وقد جاء أصلية (بناء أفعل) فى قول زهير:

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتنا   قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل

فالفعل أنبت فى قراءة الضم بمعنى القراءة التى ورد فيها حرف المضارعة مفتوحاً؛ لأنها بمعنى واحد، فأنبت بمعنى نبت، والمعنى أن الدهن ينبتها[1].

وقيل: إن الباء زائدة كزيادتها فى قوله تعالى: ﴿**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللـه وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللـه يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة:195] وكزيادتها فى قول الراجز[2]:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج

نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج

والشاهد: نرجوا بالفرج، والقياس: نرجوا الفرج.وأى أن الفعل نرجوا ضُمن معنى " ندعو "، وقيل: إن الباء متعلقة بمفعول محذوف تقديره تنبت ما تنبته وفيه دهن، كما تقول: ركب الأمير، أى: وسيفه معه. وخرج زيد بثيابه. أى: وثيابه عليه. والباء تعنى المصاحبة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللـه أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ**﴾ [المائدة:61] ومنه: "ذهبت به"، لأنك تكون مصاحباً له، وقد رجح الاسفرايينى هذه الوجه، ومثله: اشتريت الفرس بسرجه، جاز تعلق الباء باشترى على جهة المصاحبة[3].

والتعليم والتعدى بمعنى واحد، ولا يبعد أن يتعدى أنبت بالباء لمفعول ثان وإسناد الشىء إلى ما ليس له فى الحقيقة مجاز.

وقيل: إنما زيدت الباء؛ لأن إنباتها الدهن يعد إنبات الثمر الذى يخرج منه الدهن، فلما كان الفعل فى المعنى قد تطلق بمفعولين يكونان فى حال بعد حال،

---

(1) ارجع إلى: درة الغواص ص 116، 117.

(2) شرح ديوان الحماسة للتبريزى ص 355 . والفلج: الفوز والظفر.

(3) ارجع إلى: درة الغواص ص 118، 119.

وهى الثمرة والدهن، احتيج إلى تقويته فى التعدى بالباء، وقد رجح الحريرى هذا الرأى، واستحسنه.

والعامة تقول: أدخل باللص السجن، والصواب: أُدخل اللص السجن أو دُخل به السجن، فالفعل يتعدى بهمزة النقل أو بالحرف نحو: خرج محمدُ وأخرجت محمداً، وخرجتُ بمحمد، ولا يجمع بين همزة النقل وحرف الجر.

وقد يأتى الفعل متعدياً بنفسه، وقد يأتى متعدياً بحرف الجر نحو: أزمعت المسيرَ، وأنكر بعض العلماء أن يقال: أزمعت على المسير، واستدلوا بقول عنترة[1]:

إن كنتِ أزمعتِ المسيرَ فإنما   زُمَّعتْ ركابكم بليلِ مظلمِ

فأزمعت تعنى: أجمعت، فيقال: أجمعت الأمر، إلا أنه يجوز فى أجمعت خاصة تعديتها بنفسها، وأن تتعدى بحرف الجر "على" فيقال: أجمعت عليه. وشاهد ذلك قوله تعالى: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ الله فَعَلَى الله تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾** [يونس:71]. وقد أجاز بعض العلماء أن يتعدى "أزمع" بحرف الجر على أن يضمن معنى فعل متعدٍ. فالأفعال قد يحمل بعضها على بعض إذا تقاربت معانيها، فالإزماع هو المعنى فى الأمر والعزم عليه، فيقال: أزمع الأمر وعليه وبه، والمعنى واحد، ومثله: عزمت الأمر، وعزمت عليه عنده، ومثلهما: "خالف" يقال: خالف أمره، وخالف عن أمره، وجاء الأخير فى قوله تعالى: **﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ الله الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ**

(1) ديوان عنترة وشرحه، دار الكتب العلمية، بيروت ط1405/1ه ، 1985م ص118، وفيه: أزمعت الفراق. وأزمع: أجمع، الركاب الإبل، لا واحد له من جنسه فالواحد: راحلة. زمّع الركاب: شده بالأزمة. وارجع إلى: درة الغواص ص 279.

﴿**يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[النور:63]. فعدَّى "خالف" من جهة أن المخالفة خروج عن الطاعة. فالمعنى: فليحذر الذين يخرجون عن طاعته[1]. ويقال: عيرته الكذب، وعيرته بالكذب، وجاء الوجهان فى العربية، قال أبو ذؤيب:

وعيرنى الواشون أنى أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

والشاهد: إسقاط حرف الجر، وظاهر عنك عارها: زائل عنك[2]، وقد تمثل بعجز هذا البيت عبد الله بن الزبير ﷺ حين ناداه أهل الشام لما حُصِر فى المسجد الحرام: يابن ذات النطاقين، فقال: إيه والله، وتلك شكاة ظاهر عنك عارها. أى زائل عنك. ورأى الحريرى أن إسقاط الحرف هو الأفصح، والعرب تقول: "اللؤم ظاهر عنك والنعمة ظاهرة عليك، أى ملازمة لك. وجاء فى تفسير قوله تعالى: ﴿**أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ**﴾ [الرعد:33] أى بباطل من القول، ولم يسمع فى كلام بليغ ولا شعر فصيح تعدية عيرته بالباء[3]، فأما من روى بيت المقنع الكندى:

يعيرنى بالدين قومى وإنما تدينت فى أشياء تكسبهم حمدا

فهو تحريف من الراوى فى الرواية، والرواية الصحيحة: يعاتبنى فى الدين قومى[4]، وقد جاء الفعل عيَّر متعدياً بحرف الباء فى كلام العرب: وعُد من الفصيح، ومن ذلك قول عدى بن زيد[5]:

أيها الشامت المعيّر بالشيب أأنت المبرأ الموفور

---

(1) ارجع إلى: حاشية درة الغوص الخفاجى ص 279.

(2) درة الغواص ص 458، وقد رأى الحريرى أن حذف الحرف هو الأفصح.

(3) وأضاف الخفاجى أن حرف الجر "على" مع ظهر له وجوه من المعنى منها ماذكره الحريرى: اللؤم ظاهر عنك والنعمة ظاهرة عليك أى ملازمة، وهذا من الكناية، ويجىء بمعنى الغلبة، فيقال: ظهر على العدو، وأظهره الله عليه، وبمعنى أطلع، ويكون بمعنى "باطل" وفسر فى قوله تعالى: (أم بظاهر من القول) أى بباطل من القول، وقيل هو من الظهور. والله أعلم. ارجع إلى شرح درة الغواص ص 461.

(4) درة الغواص ص 459. والبيت فى مهذب الأغانى:

يعاتبنى فى الدين قومى وإنما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا

(5) حاشية درة الغواص ص 458.

وقال أيضاً[1]:

أيها الشامت المعيّر بالشيب　　　أقلن بالشباب افتخــــارا

وقال الصلتان العبدى لجرير بن عطية[2]:

أعيرتنا بالنخل أن كان مالنا　　　لود أبوك الكلب لو كان ذا نخل

وقول حميد بن ثور[3]:

أعيرتنا ألبانها ولحومها　　　وذلك عار يابن ريطة ظاهر

وقول ليلى الأخيلية للنابغة الجعدى[4]:

أعيرتنى داء بأمك مثله　　　وأى جواد لا يقال له هلا

ورأى الخفاجى (شارح الدرة) أن تعدى عير بالبـاء فى كـلام فصـحاء العـرب، واسـتدل عـلى ذلـك بشواهد من شعرهم، منها ما ذكرناه آنفاً، ونقل عن المرزوقى أن إثبات حـرف الجـر وحذفـه جـائزان، وكذا فى شرح البخارى: عيرته نسبته إلى العار وعيبته، يقال: عيرته كذا وبكذا.

ورأى الخفاجى أن ما ذكره الحريرى فى استشـهاده عـلى فصـاحة الحـذف فى عـيّرَ لـيس بشـاهد، وذلك فى قول أبى ذويب:

وعيرنى الواشون أنى أحبها　　　وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وقال: " ثم أنه لا شاهد له فيما أنشده على تعديه بنفسه لاطـراد حـذف الجـار مـع أن وإن "، " فأنى" فى البيت أسقط منها حرف الباء، فالأصل " بأنى" وهو ماذهب إليه الخفاجى[5].

وأجـاز العـرب أن يتضـمن الفعـل معنـى غـيره توسـعاً، فيعمـل عملـه فى الإعراب، كـما حـل موضـعه عـلى المعنـى، نحـو: رأى تنصـب مفعـولين إن كـان

---

(1) نسب هذا البيت فى معجم الأدباء لرؤبة بن العجاج جـ 11 / 151، وروى النحل.

(2) ديوان الحماسة جـ 191/3، والأمالى لأبى على القالى جـ158/2.

(3) درة الغواص ص 459، شرح ديوان الحماسة فى سيرة سبرة بن عمرو، غير منسوب.

(4) الشعر والشعراء جـ448/1.

(5) ارجع إلى شرحه على الدرة ص 459، 460.

بمعنى "عَلِم" نحو: رأيت العلمَ نوراً. فإن كانت بمعنى أبصر نصبت مفعولاً واحداً نحو: رأيت الهلالَ ورأيت زيداً.

وإن جاء بعدها اسمان منصوبان، وهو بمعنى أبصر، فانتصاب الثانى على الحال نحو: رأيت الأمير جالساً. وتنصب مفعولاً واحداً أيضاً إن كانت بمعنى "اعتقد" نحو: رأيت رأى أستاذى. أو يكون رأى بمعنى ضرب الرئة نحو: رأيت زيداً، أى: ضربت رِئَتَه. فقد اشتق الفعل من الاسم، وصنع منه الفعل الذى أوقعه به. ومثله: رملت الأرض: سارت مرملة (بها رمل)(1).

وعلم تنصب المفعولين إذا كانت بمعنى أيقن نحو: علمت الله موجوداً. أى: أيقنت الله موجوداً. فإن كان بمعنى "عرف" نصب مفعولاً واحداً نحو قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ الله يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ الله يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾[الأنفال:60]. ووجد تنصب مفعولين إن كانت بمعنى أيقنت نحو: وجدت السعر رخيصاً. فإن كانت بمعنى "صادف" نصب مفعولاً واحداً نحو: وجدت الضالة(2).

وقد يتعدى الفعل إذا ضمن فعلاً متعدياً نحو قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ**﴾[البقرة:235] وأصله: لا تعزموا على، ولكنه ضمن معنى: لا تنووا، فتعدت بتعديته.

ونحو: أتى بمحمد، أى: جاء به، قال تعالى: ﴿**وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ**﴾ [يوسف:72]، وأتى المرأة، بمعنى جامعها، أو باشرها، قال تعالى: ﴿**فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ الله**﴾[البقرة:222]، وهو موضع الولد، وقوله تعالى: ﴿**فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**﴾[البقرة:223]، أى: ائتوهن كيف شئتم فى موضع الولد متى

---

(1) ارجع إلى: شرح ملحة الإعراب ص 164.

(2) شرح ملحة الإعراب ص 164.

أردتم، وأتيت المروءة من بابها من وجهها، ويقال: أتيته، وأتوته، ويقال: أتيت الأمر وأتانى الأمر، وأتى المكان والرجل: جاءه، وقوله تعالى: ﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[البقرة:189]، وقوله: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:16]، وأتى الأمر: فعله، وقوله: ﴿وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾[التوبة:54] أى يتعاطونها.

ويبنى للمجهول فى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾[البقرة:247]، وأُتِى الجيش ونحوه: دهمه العدو، وأتى من جهة كذا: أصيب من جهته، وجاء المثل: "من مأمنه يؤتى الحذر" [1]، وأصل المفاعلة أن تكون من اثنين نحو: ضاربت زيداً. إذا ضربته وضَرَبك، نحو: قاتلته وراميته وشاتمته، ونحو: عاطيته، إذا ناولته وناولك.

وقد تجىء المفاعلة من واحد، نحو: سافرت، وشارفت البَلدَ. وطارقت نعلى (أطبقت إحداهما على الأخرى) وعاقب الضابطُ اللص. وعافاك الله، وخادعت فلاناً: خدعته.

وقالوا فى قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف:142]، بمعنى: وعدنا. وقال بعض أهل العلم: واعدنا فى الآية على باب المفاعلة؛ لأنه وعد من الله عز وجل، وقبول من موسى عليه السلام للوعد والانتهاء إليه، فهذه مفاعلة[2].

من ذلك قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة:187]. الفعل رَفِثَ رَفْثاً، يقال رَفِثَ فى كلامه رَفَثاً: صرّح بكلام قبيح، والرفث كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة فى سبيل الاستمتاع بها من غير

(1) ارجع إلى: المفردات فى غريب القرآن ص 7، 8.
(2) تفسير رسالة الكتاب ص 97.

كناية، ويعنى فى الآية الإفضاء، ولهذا تعدى بحرف الجر" إلى"؛ لأن أفضى يتعدى بـ " إلى" قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾[النساء:21] فحمل رَفِثَ عليه فى المعنى وتعدى بحرفه " إلى" [1].

وقال الفرزدق[2]:

ألم ترنى قالياً مجنى قد قتل اللـه زياداً عنى

حمل الفعل " قتل" على معنى صرف وعدَّاه بحرفه، أى: صرفه عنى.

وقال الأعشى[3]:

أقول لما جاءنى فجره سبحان من علقمه الفاجِر

حمل اسم المصدر "سبحان" على معنى "براءة منه" وسبحان كلمة تنزيه، ويقال فى التعجب: سبحان من كذا.

وقد وقع التضمين فى الخطاب المعاصر، فضَّمن الفعل معنى فعل آخر وعامله كعمله[4]، نحو: خَفَّف: انقص فى قولك: خفف من العقوبة، قال تعالى: ﴿نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾[المزمل:3]، دان: رجع، نحو: هذه الأحداث تدين إلى تعسف السلطة، أى ترجع. اصطحب بمعنى قاد: اصطحب الشرطة إلى مكان الحادث. تَعقَّد: وصل: تعقدت الأمور إلى الأسوأ. افتقر: احتاج: الدول العربية تفتقر إلى الحرية. استقطب: ضم: استقطبت الحكومة بعض رجال الأحزاب إليها. نوه: أشار: نوه إلى وجهة نظره.

---

(1) سماه ابن جنى باب "اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدى به"؛ لأنه فى معنى فعل يتعدى به، الخصائص جـ300/2، وقال ابن جنى: "كان أبو على يستحسنه وينبه عليه، الخصائص جـ 300/2.

(2) رجز للفرزدق قاله حين هرب من زياد بن أبيه وروى: كيف ترانى قالياً مجنى:. اضرب أمرى ظهره للبطن قد قتل اللـه زياداً عنى، المحتسب جـ52/1، والخصائص 310/2.

(3) الديوان ص 93.

(4) ارجع إلى: بحث الإعلام وحركية اللغة للدكتور إبراهيم الدسوقى ضمن كتاب بحوث مؤتمر علم اللغة الأول (اللغة العربية فى وسائل الإعلام) ديسمبر سنة 2002 م.

وقد يأتى الفعلان اللازم والمتعدى بلفظ واحد، كبناء فعل نحو: كسب، يقال: كسب زيدٌ المالَ، وكَسَبه غيرُه. وجَبَرَتْ اليدُ، وجَبَرتها. وهبط: هبط زيد، وهبطه غيره. ومن ذلك قراءة الأعمش: ﴿لَمَا يَهْبُطُ﴾[البقرة:74] "بضم الباء"[1]، ورأى ابن جنى أن فَعَل المتعدى يجيء على يَفْعِل مكسور العين (يهْبِط)، كضرب يضرِب، وحبس: يحبِس. ويجيء فَعَل غير متعدى على يفْعُل مضموم العين، كقعد: يقعُد، وخرج: يخرُج.

وقد يتداخلان، فيجيء هذا فى هذا، كقتل يقتُل، وجلس يجلسُ، ورأى ابن جنى أن ضم العين (يهبط) أقوى قياساً من يهبِط (بكسر العين) فى اللازم نحو: سَقَط يسْقُط، وعليه يقاس هَبَط، يهْبُط بالضم؛ لأنه لازم، وهى قراءة الأعمش[2].

ورأى بعض العلماء أن هبط فى الآية متعدٍ، ومعناه: لما يهبُط غيره من طاعة الله (عز وجل) أى: إذا رآه الإنسان خشع لطاعة خالقه، إلا أنه حذف المفعول تخفيفاً، لدلالة الكلام عليه ونسب الفعل إلى الحَجر، أى: منها ما يهبُط الناظرَ إليه. أى: يخضعُه ويخشعه، ويقال: هبط الشيء وهبطته.

وقراءة الجماعة: (لما يهبِط) بكسر الباء، وهو أقوى قياساً من يهبُط (بالضم)؛ لأن معناه: لما يهبِط مبصرَة ويحطه من خشية الله. ومن ذهب إلى أنه غير متعدٍ، على تقدير أو إن منها لما لو هبط شيء غير ناطق من خشية الله لهبط هو؛ لأن غير الناطق تصح منه الخشية[3]، ومثله: هلك الشيء وهلكته، ونحو: هلكه الله يهلكه، وأصبح ذا مالٍ مهلوك، والفعل المتعدى الثلاثى يأتى منه اسم المفعول زنة "مفعول"[4]. وقد يأتى وزن "فَعَلَ" بمعنيين متضادَّين نحو: بعتُ الشيءَ، وبعتُه: اشتريته[5]، ورنوت الشيء: أرخيته وشددته. وشعبتُ الشيءَ:

---

(1) الصاحبى ص 372.
(2) المحتسب م 92/1.
(3) المحتسب م93/1.
(4) نفسه.
(5) الصاحبى ص 372.

جمعته وفرقته[1]، وعطوت الشيءَ وتناولته، وأعطيته غيرى: ناولته إياه، والظنين: المتهم، وأصله مظنون، وهى ظننت التى تتعدى إلى مفعول واحد، وتأتى على وجهين بنفسها نحو: ظننت زيداً، وتعدى بالحرف نحو: ظننت بزيد. أى: اتهمت زيداً. وجاء فى رسالة عمر ﷺ فى القضاء: "... أو ظنينا فى ولاءٍ أو نسب" أى: متهماً فى ولاء أو نسب.

ومن ذلك قول عبدالرحمن بن حسان[2]:

فلا ويمين الـلـه ما عن جنَاتِة

هُجِرْتُ ، ولكن الظنين ظَنِينُ

وجاء فى بعض المصاحف، وعليه قرئ "بظنين" فى قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾[التكوير:24] أى: بمتهم، وقرئ بالضاد، أى: بخيل[3]، وقد يتعدى الفعل بحرف نقيضه فى المعنى؛ لأنه حمل عليه، قال القحيف العقيلى:

إذا رضيت علىَّ بنو قشير لعمر الـلـه أعجبنى رضاها

عدى الفعل رضى بعلى، حملاً على ضده "سخط" فتعدى بما يتعدى به نقيضه حملاً عليه، وقد جعلوا النقيض مشاكلاً للنقيض، لأن كل واحد منهما ينافى الآخر؛ ولأن الذهن يتنبه لهما معاً بذكر أحدهما[4]، وقد تكون الهمزة الزائدة فى أول الفعل للشيء نفسه، وليست فى التعدية، بل يتعدى الفعل نفسه دون شيء ومن حروف التعدية، ومن ذلك: أقشع الغيم (أقشع:لازم) ويقال: قشعته الريحُ، وأنزفتْ البئرُ (ذهب ماؤها)، ويقال: نزفنا البئرَ.

وأنسل ريش الطائر، ويقال: نسلتُ ريشَ الطائر. وأكبَ فلانُ على وجهه (سقط)، وكببته على وجهه. ويبنى للمجهول، قال تعالى: ﴿**فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي**

(1) الصاحبى ص 372.
(2) الكامل جـ 17/1.
(3) التبيان فى إعراب القرآن جـ 1273/2.
(4) ارجع إلى الأشباه والنظائر، جـ 214/1، وارجع إلى التغليب فى الأشباه والنظائر جـ 146/1.

﴿النَّارِ﴾[النمل:90] وقع المفعول نائباً عن الفاعل[1]. والعرب تجعل ضمير الظرف مفعولاً على السعة كقولهم: يوم الجمعة سرته، ومكانكم قمته، وشهر رمضان صمته، فهذا يشبّه فى السعة بقولكم: زيد ضربته[2].

والفعل المتعدى تتصل به ضمير يعود على غير المصدر أو الظرف نحو: القرآن حفظته، والكتاب قراءته، ويخرج عن ذلك: الجلوس جلسه زيد؛ لأن جلس غير متعدٍ، والضمير فيه يعود على مصدر سابق، وكذلك قولنا: اليومَ استرحته. واستراح فعل لازم، والضمير يعود على ظرف، فليس دليلاً على تعدى الفعل؛ لأن الأصل: اليوم استرحت فيه، ثم حذف حرف الجر توسعاً. والأصل إقامة الإعراب على الأصل بعد نزع حرف الجر نحو: قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّه شَهِيدًا﴾[النساء:79]. والمعنى كفاك اللـه شهيداً. وحسن بزيد رجلاً. أى: حَسُنَ زيد. زيدت الباء لما تضمن معنى التعجب، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللـه النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾[البقرة:251]. والمعنى: دَفَع اللـه الناسَ. و﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق:38]. والمعنى: ما مسنا لغوب، ومن تفيد التقليل.

وحمل بعض العلماء النصب على أصل موضع الحرف على الاتساع، فهو مفعول منصوب على السعة بعد نزع الخافض، فتحول المجرور المعدى إليه بحرف إلى مفعول به منصوب، وكل خافض فى موضع نصب إذا حذفته وصل الفعل فعمل فيما بعده[3]، والقاعدة: لا يجوز إضمار حرف الجر مع بقاء عمله فى الموضوع الذى لا يقضى فيه بزيادة فلا يجوز فى: تنح عن الطريق. تنح الطريق؛ لأن الحرف صار كأنه جزء من الاسم.

---

(1) ارجع إلى فقه اللغة ص 234، ورأى الثعلبى أن الأفعال: قشع، نزف، نسل، كب لازمة، وتتعدى بلفظها لمفعول دون زيادة الألف أو الهمزة أو التضعيف.

(2) الكامل للمبرد ج32/1.

(3) الأصول فى النحو، ابن السراج 265/2، 266. والكتاب جـ37/1، والمقتضب جـ32/2.

ويحذف حرف الجر قياساً مع بقاء عمله فى "الـلـه" تعالى- قسماً عند البصريين، وأجاز الكوفيون قياس سائر ألفاظ المقسم به على "الـلـه" فى القسم، يقال: الـلـه فعلت كذا؟ - عند البصريين - ويقال: المصحفِ لأفعلنَّ - عند الكوفيين - وهذا غير جائز عند البصريين، لاختصاص لفظ "الـلـه" - تعالى - بخصائص ليست فى غيره، فمنها: دخول "يا" فى النداء عليه فتدخل على "ال"، ومنها قطع الهمزة فى "يا الـلـه"، و"أ فالـلـه" و"ها الـلـه"، ومنها الجر بلا عوض من الجار، ومع عوض عن الجار بها التنبية نحو: "ها الـلـه" وهمزة الاستفهام "آ لله"، ومنها، إلحاق الميم به تعوض عن حرف النداء فى "الـلـهمّ"[1].

ومنها تفخيم اللام فيه بعد الضم والفتح ولا تفخم فى سواه، وأرى أن حرف الجر حذف فى لفظ الجلالة مع بقاء عمله؛ لكثرة استعماله فى القسم، فاستغنى عن حرف القسم لشهرته فيه وعدم التباسه بغيره عند الحذف، والعرب تسقط ما يفهم من الكلام وما يغنى عنه غيره على أن يكون ما فى التقدير.

والمشهور عدم جواز حذف ربّ مع بقاء عمله[2]؛ لأن المجرور داخل فى الجار غير منفصل، فصار كأنه شىء من الاسم؛ لأنه معاقب للتنوين، ويجوز حذفها قياساً بعد الواو، والفاء، وبل وهو قليل، فالجر بربّ مضمرة بعد الواو، والواو تكون دليلاً عليها، وتعرف بواو ربَّ[3]. قال الأعشى[4]:

وقصيدةٍ تأتى الملوك غريبة   قد قلتها ليقال من ذا قالها؟

وقال جرّان العود[5]:

---

(1) ارجع إلى: شرح الكافية جـ295/4 وأرجح رأى البصريين فى جواز حذف حرف القسم فى لفظ الجلالة "الـلـه" لشهرته فى القسم وسلامة القسم به، فالقسم بغير الـلـه (أو بأحد أسمائه) لا يجوز، نحو: المصحف، والكعبة، والبيت الحرام.

(2) الكتاب: سيبويه جـ354/1، 263.

(3) المساعد على التسهيل، ابن عقيل، جـ295/2، 314.

(4) الديون ص144 وروى:

وغريبةٍ تأتى الملوك حكيمة   قد قلتها ليقال من ذا قالها

أوضح المسالك رقم: 293، وشذور الذهب ص 133 رقم 65،146، رقم 68. وقطر الندى رقم 22.

(5) شرح كافية ابن الحاجب جـ294/4.

وبلْدَةٍ ليسَ بها أنيس   إلاَّ اليعافيرُ إلاّ العين

وأضمرت "ربَّ" بعد الفاء فى قول ربيعة بن مقروم[1]:

فإن أهلِكْ فذى حَنق لظاه   عَلَى تكادُ يَلْتَهبُ التهابا

الشاهد: فذى حنق: ذى مجرور بربَّ مضمرة بعد الفاء. وأضمرت بعد بل فى قول رؤبة مرتجزاً[2]:

بل بلدٍ ذى صُعُدٍ وأصْبَابْ

وأضمر حرف الجر ربَّ مع بقاء عمله دون أن تنوب عنه الواو أو الفاء أو بل فى بعض ما سمع عن العرب، ومنه قول جميل بثينة:

رسمِ دارٍ وقفتُ فى طلله   كدت أقضى الحياة من جَلَلِهْ

الشاهد: رسمِ: مجرور على تقدير ربَّ، ورسم مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة مع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الجر بعد رُبَّ المضمرة. وإضمار الحرف مع بقاء عمله شاذ[3]، ويجوز فى ربّ إن نابت عنها الواو أو الفاء أو بل. وقد وقع حذف الجار فى المسموع النادر من كلام العرب الفصحاء، وذلك فيما سبق ذكره فأغنى عن تكراره، أو فيما ضمن فى المعنى مما لا يلتبس بغيره. وقد وقع الحذف فى سياق العطف المتكرر، فأغنى ذكر الحرف فى المعطوف عليه عن ذكره فى المعطوف لحمل الثانى على الأول، وهذا يعرف بالمعطوف المتصل، ومنه قول النبى ﷺ: "من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربعةٍ فخامسٍ أو سادسٍ"[4].

والمعنى: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن قام بأربعة فليذهب بخامس أو سادس على الزيادة.

---

(1) خزانة الأدب جـ26/10 وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ص 544 وشرح الكافية جـ296/4.

(2) شرح الكافية جـ296/4، وديوان رؤبة ص 6، وخزانة الأدب جـ32/1.

(3) شرح الكافية جـ295/4 وديوان جميل ص 189.

(4) صحيح البخارى، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الصيف والأهل.

قال ابن مالك: " هذا الحديث قد تضمن حذف فعلين وعاملى جر، باق عملاهما بعد " إن" وبعد الفاء ..." [1].

وحكى يونس بن حبيب من قول بعض العرب: " مررت بصالح، إن لا صالحٍ فطالحٍ " [2]. على تقدير: إن لا أمرَّ بصالح، فقد مررت بطالحٍ، فحذف أمر والباء بعد "إن" الجزاء، وأبقى عملهما، وحذف مررت والباء بعد "الفاء". وقد يحذف الحرف لتقدم ذكره ويبقى عمله. ويجوز الحذف أيضاً فى المعطوف المنفصل، كالمنفصل بلا نحو: لم أجد شيئاً مع محمد ولا زيدٍ ولا محمودٍ. والمقرون بالهمزة نحو: مررت بزيدٍ؟ فتقول: أزيدٍ بن عمروٍ؟ بجر زيد[3]. ويجوز أن يضمّن فى جواب عن سؤال.

جاء فى الحديث فى جواب من قال: "فإلى إليهما أهدى؟ قال ﷺ: أقربِهما منك باباً" [4]. بجر أقرب، وقوله ﷺ: "فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير السواك سبعين صلاة" [5]. أى: "بسبعين" فأسقط الباء وأجرى الجر. ومنه قول الفرزدق[6]:

إذا قيل أى الناس شر قبيلة

أشارت كليبٍ بالأكف الأصابعِ

جر "كليب" على تقدير "إلى": أشارت إلى كليب. وهذا جائز إذا دل عليه المعنى، وقد صح، فالحرف يُضمن فى الجواب، فيجر اللفظ على تقدير حرف جر محذوف نحو: بمن مررت؟ الجواب: زيدٍ[7].

---

(1) شواهد التوضيح ص 94.
(2) نفسه ص 94.
(3) المساعد على التسهيل جـ431/1.
(4) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب حق الجوار فى قرب الأبواب: والشاهد فى صحيح البخارى "إلى أقربهما منك باباً" فلا شاهد فيه. لثبوت إلى.
(5) نقله ابن مالك عن جامع المسانيد.
(6) الديوان ص 362 و المساعد على التسهيل جـ431/1.
(7) ارجع إلى المساعد على التسهيل ج431/1، 299/2، نزع الخافض، الدكتور إبراهيم بركات ط 1986م، ص 37، 38.

ويجوز العمل به فى المشهور من كلام الناس مما يضمن فى المعنى أو يسبق ذكره، فيكتفى بالمذكور، ولا يكرر لفظه فالأول يغنى عنه.

لقد تناولت فى هذا الكتاب بعض ما فذ فى العربية عن القياس العام من نادر كلام العرب ومآثرهم اللغوية، وتناولت فيه أثر الحمل فى الأصوات والحركات والأبنية، وقد أغفل ذلك كثير من الباحثين، وتناولت عرف العربية فى التعبير عن المعانى الخاصة، وما ترك حكم ظاهر لفظه؛ لأنه محمول على معناه، وما وقع فى العربية مشاكلاً غيره فوقع على لفظه حملاً عليه، وأثر المماثلة فى اللفظ والمعنى، وأثر حروف المعانى فى العربية وعلاقة بنيه اللفظ بمعناه، وتناولت أثر الحمل فى الإعراب، وعلاقة الإعراب بالمعنى.

وقد اجتهدت فى تحصيل مادة هذا الكتاب وتبويبها بحسب الموضوعات، ولم أدع فيه علماً ولا رأياً غير ما نقلته عن العلماء، فانتهيت فيه إلى ما وصلوا إليه ولا أدعى عليهم باطلاً، ولا أدعوا إليه، وسكت فيه عما لا أعلم.

والحمد لله رب العالمين

محمود أبو المعاطى عكاشة (1)

---

(1) انتهيت من مراجعته بحمد اللـه تعالى وتوفيقه فى يوم الاثنين 13 صفر 1427هـ الموافق 13 مارس 2006م.

المراجع

- الإبدال، لابن السكيت، تحقيق د. حسين محمد شرف، الهيئة العامة للمطابع الأميرية 1398هـ
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، محمد بن يوسف الغرناطى (أبو حيان الأندلسى)، تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدنى، ط1987/1م.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة، أحمد بن محمد الدمياطى، رواه على محمد الضياع، نشره عبد الحميد أحمد، القاهرة 1359هـ
- الازدواجية فى اللغة العربية، سمير شريف، مجمع اللغة العربية، الأردن 1988م.
- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، الدكتور محمود فهمى حجازى، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت).
- الأشباه والنظائر فى النحو، جلال الدين السيوطى، تحقيق عبدالقادر الفاضلى، المكتبة العصرية، لبنان ط 1420/1هـ 1999م.
- الاشتقاق، عبد الله أمين، مكتبة الخانجى، القاهرة ط1420/2 هـ
- الاشتقاق والتعريب، عبد القادر المغربى، ط1947/1م، القاهرة.
- الأصول فى النحو، لابن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1405/1 هـ
- الأضداد، أبو البركات ابن الأنبارى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، 1987م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق الدكتور زهير غازى، عالم الكتب، بيروت، ط1988/3م.
- إعراب القرآن المنسوب للزجاج، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1963م.
- الاقتراح في أصول النحو وجدله، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق الدكتور محمود فجال، مطبعة الثغر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الألفاظ والأساليب، إعداد مجمع اللغة العربية، أشرف عليه محمد شوقى أمين، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية 1405هـ 1985م.
- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، أبو الحسن على بن عيسى الرمانى، تحقيق فتح الله صالح المصرى، دار الوفاء، المنصورة ط1408/2هـ 1988م.
- الإنصاف فى مسائل الخلاف، أبو البركات ابن الأنبارى، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط1375/4هـ
- الإيضاح فى شرح المفصل، لابن الحاجب، تحقيق د. موسى بناى العليلى، مطبعة العانى، بغداد، 1402هـ
- الإيضاح فى علل النحو، لأبى القاسم الزجاجى، تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار العروبة، مصر 1978م.
- البحر المحيط، لأبى حيان، نشر مطابع النصر الحديثة، الرياض، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط1993/1م.
- بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الدمشقى (ابن قيم الجوزية) تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1994/1م.
- البغداديات لأبى على الفارسى، تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوى، مطبعة العانى، بغداد، نشر وزارة الأوقاف العراقية.
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق السيد صقر، مكتبة دار التراث، ط1393/2هـ 1973م.
- التتمة في التصريف لأبي عبد الله محمد بن أبي الوفاء الموصلي، المعروف بابن القبيصي، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي. ط1414/1هـ - 1993م.
- التصريف الملوكي، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق الدكتور البدراوي زهران، الشركة المصرية للنشر، لونجمان، ط2001.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، حققه وقدم له محمد كامل بركات. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1387هـ-1967م.
- تصحيح الفصيح، لابن درستويه، تحقيق محمد سعيد النعسان، ط1390/2هـ
- تصريف الأسماء، الطنطاوى ط 1975/5م.
- التطور النحوى فى اللغة العربية، برجشتراسر، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، دار الرفاعى 1402هـ 1982م.
- تفسير النسفى، عبد الله بن محمد النسفى، دار الكتاب العربى، بيروت (د. ت).
- تهذيب إصلاح المنطق، للتبريزى، تحقيق د. فوزى عبد العزيز مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986م.

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى، تحقيق عبد الرحمن على سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1975/1م.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)، محمد بن أحمد القرطبى، المكتبة التوفيقية (د. ت).
- جامع البيان فى تفسير القرآن، جعفر بن جرير الطبرى، المكتبة التوفيقية2004م.
- الجمل فى النحو، للزجاجى، تحقيق د. على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1404/1هـ
- الحجة في القراءات السبع للإمام ابن خالويه، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط1397/2هـ-1977م.
- حرب الكلمات فى الغزو الأمريكى للعراق، محمد داود، دار غريب ط2003/1م.
- الحمل على الجوار فى القرآن الكريم، الدكتور عبد الفتاح أحمد الحمور، مكتبة الرشد، الرياض، ط1405/1هـ 1985م.
- خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادى، تحقيق الدكتور عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، ط1989/1م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنى، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1999م.
- دراسات لغوية، الدكتور حسين نصار، دار الرائد العربى، بيروت، 1406هـ 1986م.
- دراسات لغوية، الدكتور عبد الصبور شاهين، ط1995م، مكتبة الشباب.
- دلالة الألفاظ، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، 1997م.
- زينة الفضلاء فى الفرق بين الضاد والظاء، أبو البركات بن الأنبارى، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، ط1391هـ 1971م.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1405/1هـ-1985م، وطبعة المكتبة التوفيقية.
- شرح ألفية بن مالك، المسمى بمنهج السالك إلى ألفية بن مالك، مطبوع مع حاشية الصبان وشرح الشواهد للعينى، مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة، (د.ت).
- شرح التصريح على التوضيح، زين الدين خالد عبد الله أبى بكر الأزهرى، وبهامشه حاشية يس بن زين الدين، دار إحياء الكتب العربية (الحلبى)، القاهرة.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضى الدين محمد الاستراباذى، مع شرح شواهده للبغدادى، حققه محمد نور الحسن وصاحباه، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ-1982م.

- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، بهاء الدين بن عقيل، مكتبة التراث، ط1400/20هـ 1980م.
- شرح كافية ابن الحاجب، رضى الدين محمد الاستراباذى، تحقيق أحمد صقر، المكتبة التوفيقية (د.ت).
- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن على بن يعيش، تحقيق أحمد السيد وإسماعيل عبد الجواد، المكتبة التوفيقية.
- شرح ملحة الإعراب، لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري، تحقيق بركات يوسف هَبّود، المكتبة العصرية، ط1421/3-2000م.
- الشفاء (المنطق) 3- العبارة، أبو على بن سينا، تحقيق محمود الخضيرى، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1390هـ 1970م.
- شواهد التوضيح والتصحيح، جمال الدين (ابن مالك)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).
- الصاحبى فى فقه اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبى (د. ت).
- ظاهرة الإعراب فى النحو العربى وتطبيقها فى القرآن الكريم، دار المعرفة، الإسكندرية 1994م.
- ظاهرة الضعف اللغوى، إعداد مجموعة من العلماء، دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية ط1414/1هـ
- عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب، محمد بن أبى بكر الهمدانى، حققه عبد الله كنون، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط2 /1393هـ 1973م.
- العربية تواجه العصر، د. إبراهيم السامرائى، دار الحرية للطباعة، بغداد ط1982/3م .
- العربية لغة الإعلام، عبد العزيز مطر، منشورات دار الرفاعى، الرياض ط1983/1م .
- القياس فى اللغة العربية، محمد الخضر حسين الجزائرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986م (د. ط).
- الكامل فى اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ط1420/1هـ 1999م.
- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1397هـ 1977م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله محمود الزمخشرى، دار المعرفة، بيروت.

- اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو ط1955/1م.
- لغة الجرائد، د. إبراهيم اليازجى، مطبعة التقدم، مصر1977م، والضياء 1989م.
- اللغة والسياسة فى عالم مابعد 11 سبتمبر، الدكتور محمد داود، دار غريب ط2003/1م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق فؤاد سزكين، الخانجى، القاهرة 1954م.
- مجمع الأمثال، أحمد بن محمد النيسابورى الميدانى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية 1955م.
- مجمع البيان فى تفسير القرآن، أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى، تحقيق هاشم الرسولى المحلاتى، وفضل الله اليزيدى، دار المعرفة، بيروت ط 1986م.
- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جنى، تحقيق على النجدى وصاحبيه، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1415هـ 1994م.
- المحرر الوجيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافى، دار الكتب العلمية ط1993/1م.
- مختصر فى شواذ القرآن، من كتاب البديع، ابن خالويه، عنى بنشره برجستراسر، المطبعة الرحمانية 1934م.
- المخصص، ابن سيده، ط 1، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق 1916م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مطبعة دار إحياء الكتب (الحلبى).
- مدخل إلى لغة الإعلام، د.جان جيران كرم، دار الجيل، بيروت ط1992/1م.
- المذكر والمؤنث، أبو بكر ين الأنبارى، حققه الدكتور رمضان عبد التواب، وعبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1419هـ 1999م.
- المزهر فى علوم اللغة، جلال الدين السيوطى، تحقيق محمد أحمد، محمد أبو الفضل، على محمد البيجاوى، دار التراث، مصر (د. ت).
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ط1991م.
- مشكل إعراب القرآن، مكى بن أبى طالب، تحقيق يس بن محمد الواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية 1394هـ 1974م.
- معانى القرآن، سعيد بن سعدة البلخى المجاشعى (الأخفش)، تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ط1985/1م.
- معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدنانى، مكتبة لبنان، بيروت ط1985م.

- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب ، مؤسسة الرسالة ط1409/3هـ 1988م .
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر ط3.
- مغنى اللبيب، لجمال الدين بن هشام الأنصارى وبهامشه حاشية الأمير، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبى وشركاه (د.ت).
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر 1415هـ 1994م.
- المقرب، ابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبورى، مطبعة العانى، بغداد، ط1391/1هـ 1971م.
- من أسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، ط1994/7م.
- المورد فى النحو والصرف، فتحى بيومى حمودة، دار البيان العربى، جدة، ط1/ 1405هـ 1985م.
- النحو وكتب التفسير، الدكتور إبراهيم عبد الله، الدار الجماهيرية، ليبيا ط1990/3م.
- نزهة الطرف فى علم الصرف، عبد الله بن يوسف النحوى (ابن هشام)، تحقيق أحمد هريدى، مكتبة الزهراء، ط1410هـ 1990م.
- النشر فى القراءات، أبو الخير محمد، ابن الجرزى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- النهاية فى غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى.
- الوضع اللغوى فى الفصحى المعاصرة، د. محمد حسن عبد العزيز، ط1992/4م.

****

الفهرس